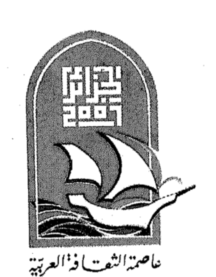


أ.د. سعيد دحماني

من هيبون - بونة إلى عنابة
تاريخ تأسيس قطب حضري

منشورات مؤسسة بونة للبحوث والدراسات
1428هـ / 2007م


عاصمة الثقافة العربية

من هيبون - بونة إلى عنابة

تاريخ تأسيس قطب حضري

الدكتور سعيد دحماني

من هيبون- بونة إلى عنابة

تاريخ تأسيس قطب حضري

منشورات مؤسسة بونة للبحوث والدراسات
عنابة - الجزائر

عنوان الكتاب : من هيبون – بونة إلى عنابة

تاريخ تأسيس قطب حضري

المؤلف : الدكتور سعيد دحماني

الطبعة : الأولى 1428 هـ/2007 م

النّاشر : **مؤسسة بونة للبحوث والدّراسات**

ص ب. : A 76 (وادي القبة) – عنابة – الجزائر

: (213) 72 10 87 82

الناسوخ (الفاكس) : (213) 38 83 22 78 /(213) 38 51 80 88

البريد الإلكتروني : Saad_alandaloussi@hotmail.com

الموقع على شبكة الإنترنت :

www.bounamagazine.5u.com

رقم الإيداع القانوني : 2006-1781

الترقيم الدولي (ردمك) : ISBN : 9961-914-05-8



الإهداء

إلى والـدتي و والـدي

إلى زوجـتـي

إلى أبـنـائـي

مـــقــدمـــة

يمتاز موقع عنابة أنه لم ينقطع فيه العمران البشري منذ ظهور الإنسان.

واحتفظت المدينة بتسميتها الأولى : **هبون-بونة**، ونعتها: "**مدينة العناب**"، منذ اكثر من ألفيتين. فنعتها "**بالعناب**" يعود إلى العصور القديمة، إذ صورت شجرة العناب في فسيفساء "**آيون**" (Aion)، إله السنة. وبالتالي فهذه المدينة "**البرية والبحرية**"، حسب تعبير البكري، عاشت تطورات التاريخ الوطني وتاريخ البحر الأبيض المتوسط على مدى قرابة ثلاث ألفيات.

ووردت أخبار هذه التطورات المتصلة بالمدينة، تارة في كتب التاريخ العامة، وتارة دراسة منجمة حول موضوع معين أو فترة معينة. وكنت قدّمت، سنة 1984، صورة مقتضبة عن تاريخ المدينة تحت عنوان "**عنابة**"، صدرت عن وزارة الإعلام والثقافة في مجموعة *"فن وثقافة"*. إلا أنه أصبح من الضروري مراجعة هذه الصورة الأولى.

فجاء اثراء المونوغرافيا السابقة في قالب تقديم هيكل عام يروي كل مراحل تاريخ المدينة، وذلك بجمع ما وصلت إليه معرفة تاريخ بونة-عنابة. وأُثْرِيت محاور الطبعة السابقة المتصلة بالأحداث التاريخية من أقدم العصور إلى سنة 1962، كما أضيفت

محاور أخرى خاصة بالتطورات الثقافية والاقتصادية والاعمارية عبر نفس المسار الزمني.

والغرض هو تقديم صورة، اشمل ما تكون، عن مختلف حلقات مسار المدينة عبر العصور، تمكن المتطلع إلى التعرف على تاريخ المدينة من بلوغ مرامه دون عناء كبير، كما تتيح للمقبل على البحث المتخصص والدراسة المدققة تعميق محور من المحاور المقدمة وإثراءه.

إذ أنّ الوصول إلى التعريف على مختلف جوانب تاريخنا الوطني يعتمد، فيما يعتمد، على سبر طوايا التاريخ المحلّي لكل منطقة ولكل مدينة.

لكن أهم من يتوجه إليهم هذا الكتاب هم مواطنو البلدية. إذ كان أساسيا التشبع بهوية مدينتهم التاريخية للتمسك بها والدفاع عنها. فهذان الشعوران المتصلان بالوُطَيِّن البلدي أساس التمسك بالوطن الكبير وإجلاله.

بونة، مدينة العناب

أول شوال 1427 هـ

24 أكتوبر 2006 م

سعيد دحماني

الإطار الجغرافي

الإطـــار الـــجـــغـــرافـــي

مدينة عنابة، التي تبل شواطئها مياه الخليج المسمى بها، تَتْكَأَ غربا على منحدرات جبال الإدوغ، وتتفتح شرقا وجنوبا وغربا على سهول عنابة. وإضافة إلى هذا، يستقبل الخليج بقرب المدينة وادي سيبوس وطوله (255 كم) ثاني وديان الجزائر.

ســـهـــول عـــنـــابـــة

السهل الصغير

يمتد بين سفح الإدوغ ورُبى بوحمرة، وهذا السهل امتداد لسهل الخرازة.

السهل الكبير

يسقيه واديان كبيران يجريان من الجنوب إلى الشمال: وادي سيبوس ووادي بونموسة. وهذا السهل الذي بنته رواسب الأنهار والموجود جنوب وشرق المدينة، قد انتهى توطيده جنوبا على جانبي وادي سيبوس. أما شرقا فتنصبّ مياه وادي بونموسة وغيرها في مصب مشترك يدعى المفرق أين خُلِقَت قرعة تُدعَى المقدة والمراقدة تحتلها، خاصة في الفترات الممطرة، سطوح مياه لا تجد جريانا منظما ويمكن مشروع إِحياء وادي بونموسة الضخم المنطلق من سد الشافية من تجفيف وتهيئة هذا السهل.

الخـــلــيـــج

هنا يوجد الجوف القاري الممتد على 23,5 كم عند مصب المفرق وتَهيِئُ صخرته قاعدة متينة أين تستقر ديدان المرجان. وهذه المنطقة غنية بالقنبري الذي اشتهر به الخليج.

الإدوغ

يرتفع الإدوغ إلى 1008 م بجبل بوزيزي ويرمي ظله على المدينة والبحر الأبيض المتوسط.

وتضاف إلى الجبال الأساسية شرقا ربى بوقنطاس وربى البلاليطة التي تليها ربى بوحمرة، ومنحدرات عنابة ورأس الحمراء التي تقدم، بفضل إقامة الطريق، طنفا جميلا يشرف على الجون على امتداد عشرة كيلومتراتٍ.

وتكون المنحدرات، النازلة من الإدوغ، مجموعة من المدرجات المنضدة من ممر ابن آوى إلى منارة رأس الحمراء وإلى مختلف الجونات التي تكون شواطئ لطيفة ومرافئ صغيرة مثل "البرج الجنوي" والشاطئ اللازوردي، وشاطئ ريزي عمر (جون صائدي المرجان) وجون الخروبة وجون القطارة...

ونشير أن روابي بوحمرة تنتهي شمالا إلى تلين : تل الأرطغان (34 م) وتل القديس أوغستين (55 م) امتدت بينهما مدينة هبون.

العصور الجيولوجية الكبرى

كان موقع المدينة لا يزال مغمورا تحت بحر العصر الجيولوجي الثاني (بين 226 مليون سنة ق.م و70 مليون سنة ق.م). ونقص عمق هذا البحر أوائل العصر الجيولوجي الثالث (أثناء الأيوسين). ويستمر تقهقر البحر بانتظام أثناء الاوليغوسين (حوالي 35 مليون سنة ق.م). وينتهي بروز البر الكامل عند اواخر العصر الجيولوجي الثالث (7 إلى 6 ملايين سنة ق.م) ولم تبق إلا سطوح ماء كونت بحيرات حقيقية منها بحيرة فزارة أو بحيرات منطقة القالة.

وتشرع في نفس الوقت تحركات الأرض والطيات التي تشيد التضاريس، أثناء العهد الجيولوجي الثالث، بين الميوسين (25 مليون سنة ق.م) والبليوسين (7 إلى 6 ملايين سنة ق.م). ويبدو أن خليج عنابة الناتج عن انهيار في صخر الإدوغ الصلب معاصر لهذه الفترة.

وهكذا تتقدم الخطوط العامة للتضاريس والساحل ابان العصر الجيولوجي الرابع في الهيئة التي هي عليها اليوم.

عصور ما قبل التاريخ
والتاريخ القديم

عصر ما قبل التاريخ

ظهر الإنسان منذ عهود مبكرة جدا داخل موقع عناية هذا الذي و صفنا خطوطه العريضة.

فاهم عصور ماقبل التاريخ ممثلة في كامل جبل إدوغ وفي ضاحية عنابة الغربية، وفي منطقة بوحمرة، وفي رأس الحمراء.

ومكنت البحوث المتأخرة التي شُرِع فيها ابتداءً من الخمسينات من العْثور على مَشْطَرات من الصناعة الحجرية التي تمثل مراحل ماقبل التاريخ الكبرى.

ومكن الإدوغ وقرباس وضفاف بحيرة فزارة من العثور على لقى مؤرخة من العصر الحجري القديم السُّفلي (200.000 ق.م). في حين مكن رأس الحمراء من العثور على ماعون من العصر الحجري القديم المتوسط والعلوي (بين 50.000 و40.000 سنة ق.م).

أما ربى بوحمرة و الإدوغ فاستوعبت بقايا من مواد العصر الحجري الحديث ترجع أساسا إلى الحضارة القفصية.

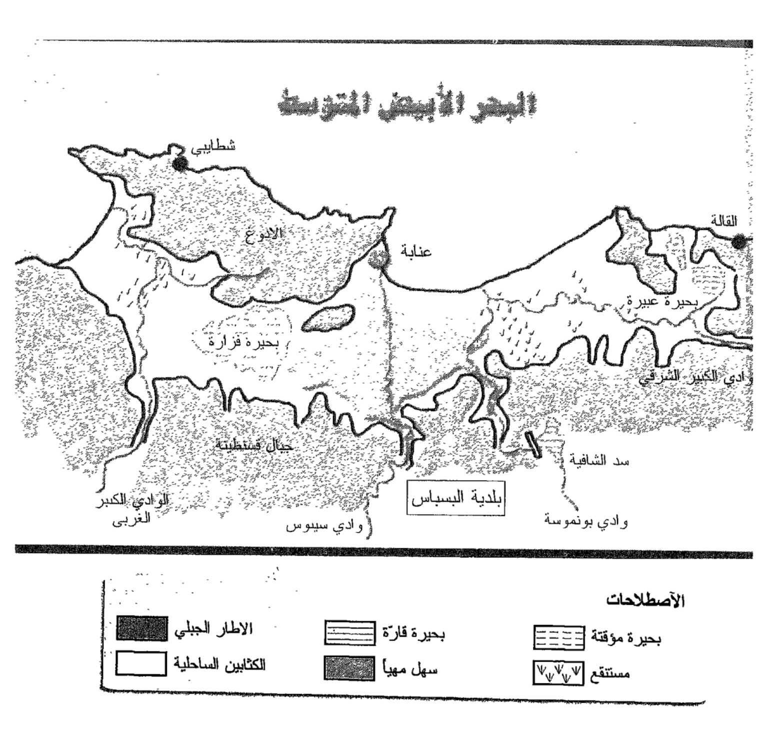
فتؤكد هذه الشهادات عن ماض بعيد أن الإنسان عمر هذه الجهة وتعاطى بها إلى نشاطات. وعلى حدود العصر الحجري الحديث وبداية العصر التاريخي ساير هذا الإنسان التطور الذي عرفته نوميديا الشرقية، ما بين الألف الثالثة والألف الأولى ق.م.

وتبين البحوث الحديثة أن حضارة-الحضارة النوميدية- قد وُلدت أثناء هذه الفترة. وتبرز شخصية هذه الحضارة مثلا في أشكال القبور : الحوانيت والدلمن التي بقي منها البعض إلى بادئ القرن الحالي في الجهة.

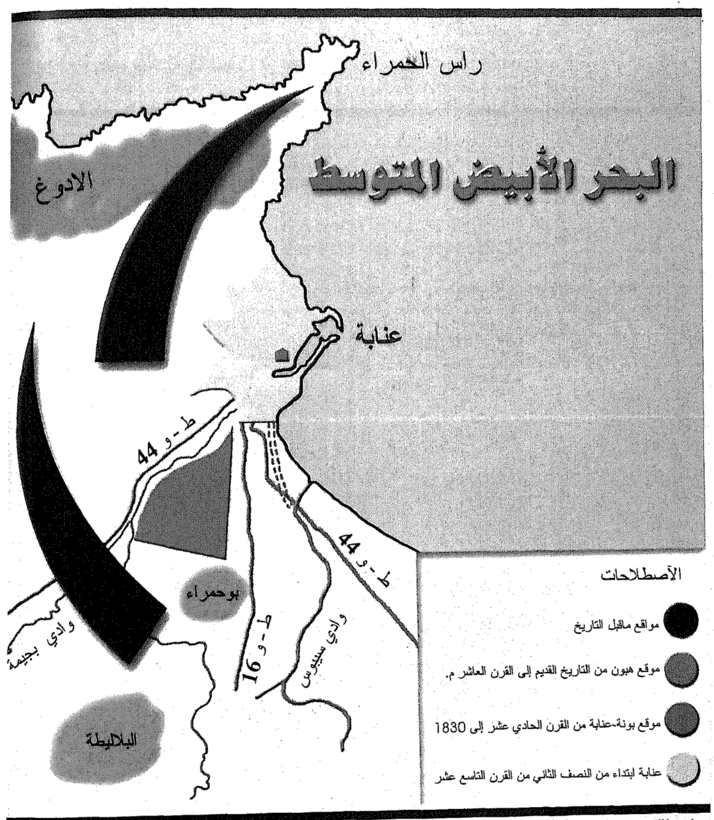
وعرفت نوميديا الشرقية التي كانت جهة عنابة جزءً منها، نواميس دفنية كانت تجرى فيها عادة إزالة اللحم من جثث الموتى والقربان. ومثل هذه التفاصيل تجعلنا نعتقد أن الاتصالات مع الحضارات المتوسطية الوسطى والشرقية انطلقت من قديم قبل الاتصال مع الفينيقيين.

.وأساس الحياة الاقتصادية يتمثل في الفلاحة التي بدأت في الظهور أواخر عصور ما قبل التاريخ: فالوثائق مثل رسوم ملجأ العنز (على كيلومترين جنوب بوثلجة) تؤكد ذلك. أما الزراعات فتستوعب أنواعا عديدة تغلب عليها الخضر والأشجار المثمرة التي لا تزال ترسم طابعها على المنظر الفلاحي حتى يومنا هذا. وتمثل الطينيات المكتشفة في القبور أواني ذات استعمال يومي تشهد أن النوميديين كانوا يصنعون، بين أواخر العصور الحجرية وبداية العصور التاريخية، الكسرة والعصيدة والكسكسي...

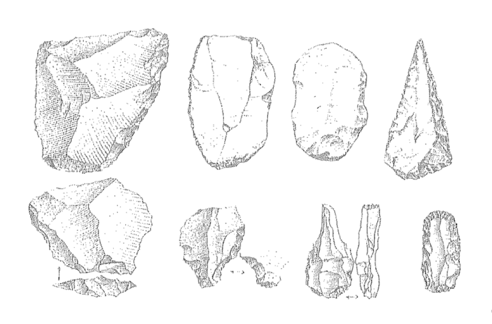
وكل هذه الأشياء تؤكد استقرارية البشر العمرانية في الشرق الجزائري وخاصة بجهة عنابة، وحركتهم الاقتصادية المتجهة أساسا نحو الأرض وتربية الماشية.



الاطار الجغرافي لجـهة عنابة



مواقع الانتصاب البشري عبر العصور



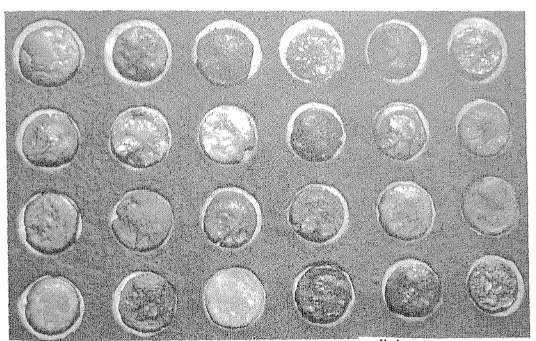
أواني حجرية
من منطقة رأس الحمراء



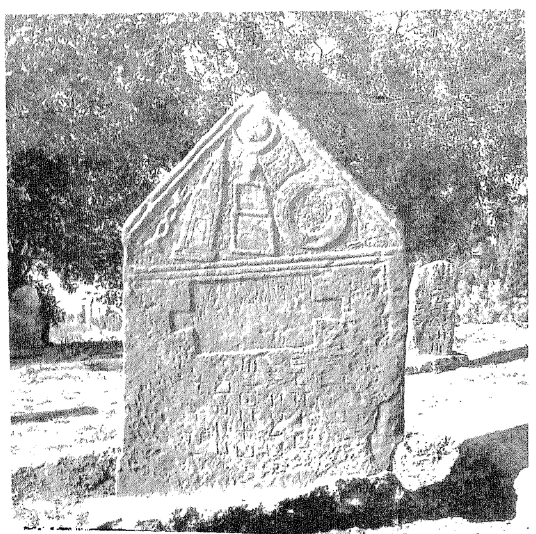
مغارة العنز
(منطقة بوثلجة)



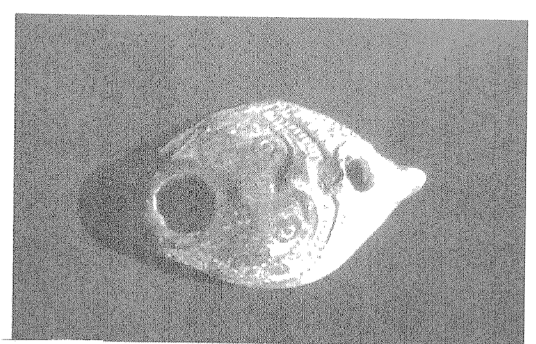
دُلمن منطقة وادي زياد



عملة ماسنيسا و خلفائه



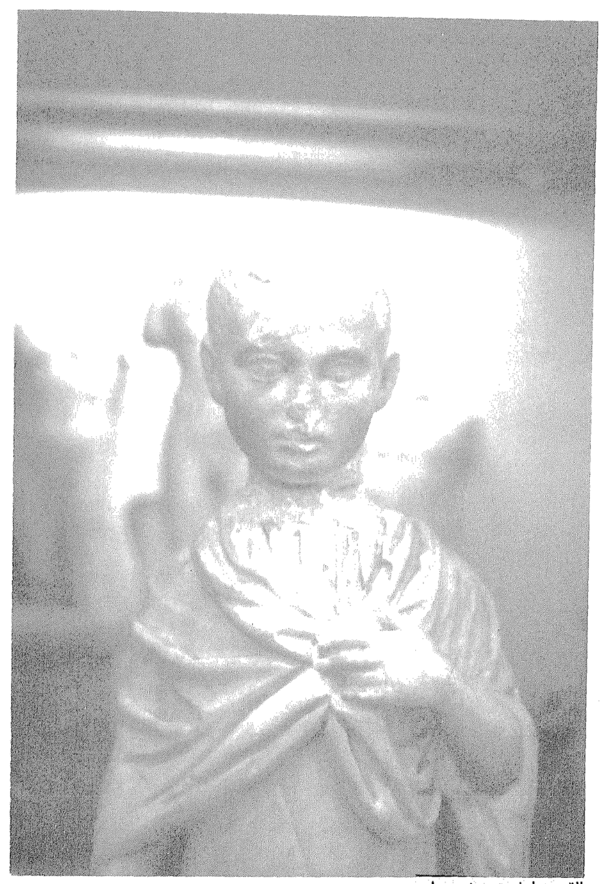
شاهد أمازيغي مزدوج اللغة مكرس "لسكتوت"



مصباح فينيقي



شاهد امازيغي بدون كتابة



القديس اوغستين عند صباه

مصابيح مسيحية من البرنز

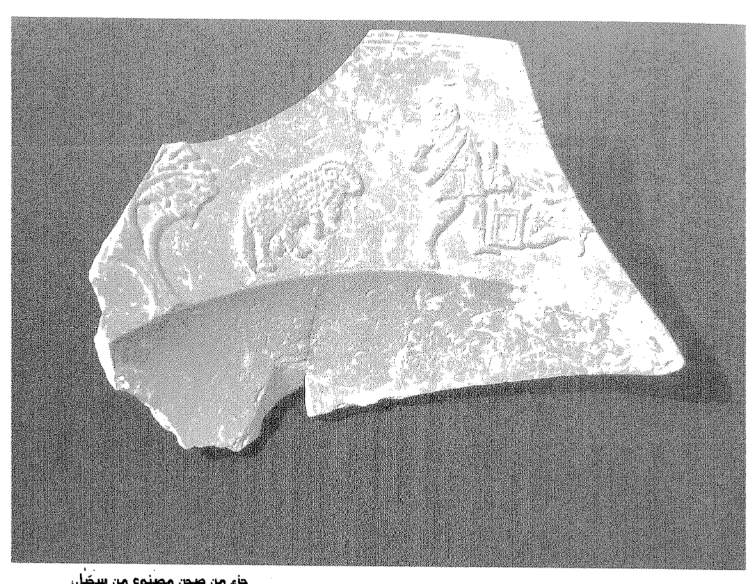


مصابيح مسيحية من البرنز

نقيشة وندالية



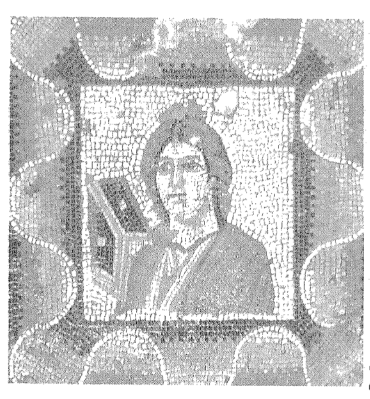
عملة بيزطية
من الذهب (بوحجار)



جزء من صحن مصنوع من سجّيل،
زُيِّن بمنظر من "اضحية ابراهيم"



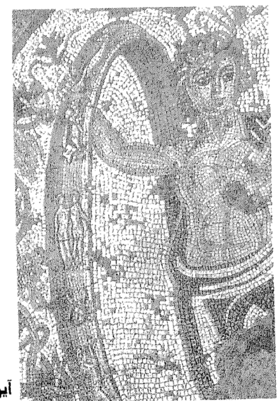
المسيح المظفر



كاليوب، ملهمة الخطابة
(جزء من فسيفساء الملهمات)

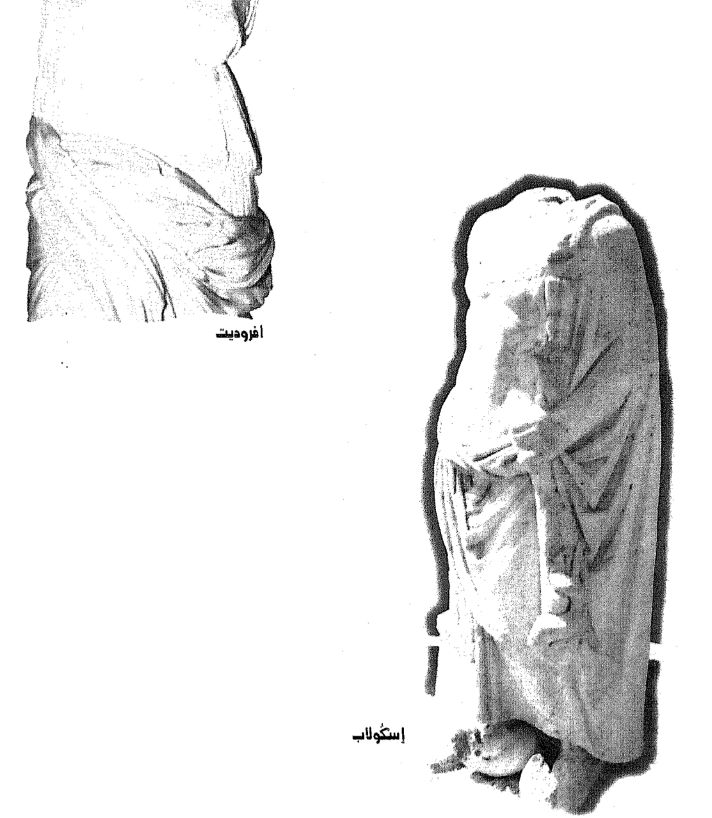


ثالي، ملهمة الكوميديا
(جزء من فسيفساء الملهمات)



آيون، اله السنة

فسيفساء "آيون"



أفروديت

إسكُولاب



فسيفساء الصيد



تمثال النصر لهبون

هيبون النوميدية وأصولها

هـــبـــون الـــنـــومـــيـــديـــة و أصـــولـــهـــا

تشهد الالفية الاولى ق.م. التطور المطرد لشعوب المنطقة لما قبل التاريخ: "فرغم تضاريس [نوميديا الشرقية] المشوشة وغاباتها خاصة بالجزائر الشرقية، فهي الباب المفتوح أمام الحضارات الشرقية. وإذا اثرت قرطاج بطابعها تأثيرا عميقا في المنطقة الشرقية القصوى من هذا المجموع، فذلك لأنها وجدت مجالا مهيئا"[1].

ويبدو أن إنسان هذه الجهة عند التحول من عصور ما قبل التاريخ إلى الازمنة التاريخية -قبل حلول الفينيقيين بكثير- اتصل بالثقافات الشرقية والغربية المتوسطية. فالتشابه في بعض مظاهر القبر مع مظاهر اخرى من البحر الأبيض المتوسط جدير بالاعتبار

فأثناء هذه الألفية، التي تتكثف فيها الاتصالات البشرية عبر البحر الأبيض المتوسط، شرع بشر الفترة الانتقالية التاريخية في تكوين مجموعات ثقافية وسياسية. والمجموعة التي تنتمي إليها جهة هبون هي المجموعة النوميدية الشرقية التي برزت فجأة في المصادر التاريخية عند انفجار الصراع القرطاجي الروماني من أجل الهيمنة على شمال افريقيا والبحر الأبيض المتوسط أثناء القرن الثالث ق.م. :

---

(1) G.CAMPS, *"Massinissa"*; p.134

"فلا عجب أن كان النوميديون القاطنون هذه الجهات أول الشعوب التي دخلت التاريخ وأظهرت أكثر استعدادا في تنظيم أنفسها في شكل مملكات"[1].

*

**   **

يقدم موضع هبون جميع العناصر المساعدة على خلق تجمع اجتماعي اقتصادي شبيه ببليدة أو قرية يعززها مرسى نظرا للعلاقات البحرية القديمة مع شعوب اخرى من البحر الأبيض المتوسط. فينبسط الموضع بين سفح جبل قابل للعمران ومصب وادي سيبوس والخليج، وينفتح الكل على السهول والجبال المشجرة المجاورة.

فالعمران البشري الذي ما فتئ يتطور منذ ما قبل التاريخ، لم ينتظر"الايجيين"و"الكريتيين" أو البونيقيين القدامى لخلق مركز تجمع.

واقصى ما يمكن اعتباره أن البونيقيين عند حلولهم وبالاتفاق مع السكان الاصليين وضعوا مركزهم التجاري اما قرب المركز النوميدي وأما بالمساكنة في نفس المركز النوميدي العتيق.

ويبدو – على أية حال – أن ظهور محطة فينيقية على موقع هبون وقع حوالي القرن الثاني عشر ق.م. ولكن أهم مراحل تطور الموضع يستحسن اعتباره في إطار تطور نوميدي بحت:

---

(1) المصدر السابق، ص. 135

"فالبحوث الاثرية تكشف يوما بعد يوم، ومن خلال المخلفات الرومانية والفينيقية، عن مجتمع اصيل بسيط التنظيم غير أنه عارف بفنون الفلاحة والحياة القارة وحتى المدينة(...). ولم ينتظر الافريقانيون القدامى الهيمنة القرطاجية أو الرومانية لتشييد المدن(...). كما لا يمكن فهم وجود المدن أو القرى عند النوميديين بدون فلاحة وحد ادنى من المبادلات"[1].

وتسلط كشوف المصادر القديمة السابقة للقرن الثالث ق.م. والبحوث الاثرية أضواءً أقوى على المملكة الماصيلية التي تنتمي هبون إليها. وأول شيئ مؤكد هو أن هذه الدولة النوميدية سابقة لماسنسا بكثير، أي للقرن الثالث ق.م. ومن جهة اخرى فإن ماسنسا أساسا وأهم اعقابه: ابنه ميقيوسا (148-118 ق.م.) وابن اخي هذا الاخير يوغرطا (118-105 ق.م.) وحفيده يوبــا الاول (60-46 ق.م.) قد نظموا هذه الدولة. وقد آحتلت هبون- في عهودهم- مكانة مرموقة إذ استعملوا هبون كمدينة ملكية، وبسطوا بها سلطتهم ومراقبتهم وهذا ما اكسبها في العصور القديمة تسمية "هبو رجيوس" أي "هبون الملكية" واكتسبت هذه الأهمية بفضل موقعها كمخرج بحري ولوجودها في قلب الأراضي الماصيلية على المحور الشمالي الجنوبي الذي يربطها بتيفستا (بتبسة) وعلى المحور الشرقي الغربي الذي يمر بطريق قرطة قرطاج عبر دقة.

---

(1)نفس المصدر، ص. 49

وجهويا فإن هبون الماصيلية كانت المخرج والموقع السياسي للعرشين النوميديين الماصيليين: عرش يونطة (ويقطن الساحل من الإدوغ إلى القالة) وعرش مسيصيرة (ويقطن بلاد سيبوس وبونموسة والوادي الكبير ووادي الشافية).

واقتصاديا طبع تشييد الدولة الماصيلية -خاصة أثناء قرن ماسنسا- بحركة مكثفة لعبت فيها هبون دورا مهما.

فبوجودها عند مخرج السهول والجبال، كانت المدينة سوقا للمنتوجات الفلاحية والرعوية. وتأكّد الآزدهار الصناعي والتجاري بنمو مصانع الاواني الطينية والخزفية النوميدية التي ارتفع انتاجها. كما تشهد كثرة وتنوع الدنون والخزف المستوردة عن حيوية التجارة وخاصة التجارة الخارجية. فقد احتوت هبون بوصفها ميناءً جزءً من البحرية التجارية والبحرية الحربية لماسنسا وخلفائه. فمن هنا صُدِرَّت المنتوجات الفلاحية وخاصة القمح إلى أقطار البحر الأبيض المتوسط الغربي واليوناني.

فنتج عن هذا الآزدهار الاقتصادي تمدن قوي. ومن الراجح جدا أن يكون جزء من جدار الواجهة البحرية بهبون معاصرا لهذه الفترة الماصيلية، وكذلك بالنسبة لبعض أجزاء الفن المعماري المكتشفة تحت مبنى الكوريا(Curie أي مقر مجلس شيوخ المدينة): التاج الايوني الضخم وقطعة من سارية من نفس الطراز. ويرجح أن يعود تصميم المدينة الموروث في العصور اللاحقة إلى

الفترة الماصيلية.

وقد كان تنظيم هبون السياسي على غرار المدن الماصيلية. إذ نظمت المدينة تنظيما مستقلا عن الكنفدراليات القبلية رغم كون المدينة سوقا لهذه القبائل. فالمعتقد أن كان على رأس المدينة لجنة أو مجلس جماعة صاحب السيادة المحلية. أما الإدارة فتخضع لثلاثة موظفين سامين أحدهم الآقليد (أو الملك) معين لمدة سنة واحدة ورئيسان .

وتعود المراقبة العامة لرئيس الدولة الماصيلية الذي كانت قبضته الإدارية على المدن الملكية قوية.

أما دينيا فتَعْبد هبون على غرار النوميديين، الالهة الماورية. وانتشرت التعبدات للقوات الطبيعية وسط الغيران أو حول ثغرة صخرة (اليس التعبد الحالي لِلالّة بونة تركة قديمة لهذه التعبدات؟). بيد أن النوميديين يغلب عليهم التعبد للأموات. فاعتناؤهم بالشواهد لدليل على ذلك، كما يجدر إضافة ذكر التقديس الملكي في شكل التعبد للملوك الماصليين.

هيمنة قرطاج

يعتقد أن ابتداء من اتصالها بالعالم البونيقي أصبحت المدينة تسمى "بهبون". لأن أصل تسميتها لا يزال غامضا فيعترض تفسير الكلمة وتحديده فيما يعترض الالتباس بينها وبين تسمية مدينة اخرى "هبو ديارتوس" (بنزرت) القريبة من هبون. فإذا تركنا جانبا مختلف التأويلات التي يغلب عليها احيانا طابع الهزل، يبقى أن الكلمة قريبة جدا من الكلمة الفينيقية "عبون" ومعناها الخليج والجون. وقد تطور إلى "هبو" و"هبون". وأصل كلمة "عبون" هو نفس أصل الكلمة العربية (إذن سامية الاصل) عب وعباب أي الماء المتدفق. وبما أننا أمام موقع على الشاطئ يستجيب لتعريف خليج وجون وماء متدفق، فإنه من المحتمل أن سمى الفينيقيون بهذا الإسم الميناء أو القلعة التي آنتصبوا بها بين القرنين الثاني عشر والسادس ق.م.

فلا يستبعد أن كانت هذه التسمية في الاصل من نوع "خليج..."، ثم مع طول المدة سقطت الكلمة الثانية ولم يبق إلا كلمة "هبون" الإسم الذي نجده في جميع النصوص منذ أن بدأ ذكر المدينة فيها. وآندمجت هبون في المجموعة القرطاجية أو خضعت لهيمنة قرطاج حوالي القرن السادس ق.م. ويبدو أنها تمتعت في تلك الفترة ببعض الشهرة في العالم القرطاجي، وربما هي التي تعرضت لغزو *اوماكوس* قائد جيش *اغاتوكل* صاحب سركوزة.

أما التنظيم السياسي أثناء هذه الفترة فربما كانت له منظومة يقل اختلافها عن منظومة النوميديين، فتنظيرها بالتنظيم القرطاجي قد قلص عدد المسؤولين السامين أو الشافظين (Suffètes) إلى إثنين. ويبقى مجلس القدامى على حاله إذ كانت مؤسسة تبنتها قرطاج أيضا.

واجتماعيا يكوِّن العنصر اللوبي النوميدي النسيج الإنساني الأساسي. بيد أنه من الراجح أن تكون الطبقة الحاكمة بونيقية.

وتأثرت المدينة وجهتها ثقافيا بالعادات والتقاليد والديانة واللغة البونيقية. بيد ان هذا التأثير كان اثراء للحضارة المحلية أكثر منه فرض حضارة بديلة على النوميديين. إذ:

"...غلط غلطا فادحا هؤلاء الذين ارادوا الاعتماد في تفسير الحضارة النوميدية على التأثير البونيقي وجعل المدن البونيقية خالقة لكل شكل من الحضارة في بلاد البربر(...) والاعتماد في التفسير نفسه على ما اوتي به من جديد حتى الفنيات الأكثر بساطة أو الجمالية الأكثر ثانوية للبربر، إلى حد التناسي أن الفينيقيين ليسوا اول بحارة الأبيض المتوسط (...) وأنه انطلاقا من العصر الحجري الجديد قامت علاقات بين شمال افريقيا وشبه الجزر والجزر الأوروبية المجاورة"[1].

(1) G.CAMPS, " *Massinissa* "; p..50

وعندما حلت ساعة الآستقلال، تفسر حيوية وجذور الحضارة النوميدية العميقة، رغم الارتواء من الحضارة البونيقية، سبب قطع هبون وناحيتها علاقتها مع قرطاج للآنضواء تحت حكم الملك سيفاكس ثم المملكات الماصلية.

وعلى أية حال، وأثناء الفترة القرطاجية، لعبت هبون وميناؤها دورا هاما في التجارة المتوسطية. فمن هبون كانت تُصدّر محصولات الجهة الفلاحية. كما استمرت المدينة في انطلاقتها في أنشطتها الصناعية والتجارية.

وتحملت هبون، ابتداء من القرن الثالث ق.م.، عواقب الحروب البونيقية. وعرفت نهب الجيوش الرومانية لها حوالي 205 قبل المسيح. ولكن هيبون بعد الهزيمة القرطاجية عقب معركة زامة (202 ق.م) استرجعت مكانتها كمركز هام مع صفتها مدينة ملكية.

ضم هبون إلى الإمبراطورية الرومانية

وتاتي روما على الآستقلال النوميدي بعد آنتفاضة يوغرطا وبعد هدم قرطاج. فدانت نوميديا اولا لنوع من نصف حماية ابتداء من 104 ق.م. ثم انساقت المملكة النوميدية في تيار الصراعات القائمة بين الأحزاب الرومانية أثناء الحرب الأهلية التي تواجه فيها قيصر وبومبيوس. وتحالف الملك يوبا الاول مع بومبيوس الذي أدت هزيمته سنة 46 ق.م. هزيمةَ حلفائه الماصليين وضياع آستقلالهم. فكانت هبون ومنطقتها آخر مسرح لهذه الماساة. وقد انتحر يوبا الاول حتى لايسقط بين أيدي الجيوش القيصرية.

فضم الرومان إليهم مملكة يوبا الاول لتصبح افريقا الجديدة ومركزها هبون. وكان اول وال، سالوست المشؤوم الذكرى.

وتعم فترة جديدة من الاستقرار، فتستعيد المدينة نموها لاسيما أن وراءها ماض طويل، ماض حضاري وماض من الآزدهار. والواقع أن هبون لا تقوم إلا بمتابعة انطلاقتها. فهي تقدم مظهرا خاصا بها. فلا هي المستعمرة العسكرية مثل تيمقاد أو لامبيز. ولم تعرف قدامى الجنود الرومانيين ولا الحامية العسكرية.

الإدارة

مدينة هبون جزء من افريقا البروقنصلية ويديرها بروقنصل (Proconsul) مولىً من قبل مجلس الشيوخ الروماني ويقيم بهبون أحد نوابه الثلاثة.

كما كان سلك الموظفين السامين والاعيان الدينيين يتركب من قساوسة *أوغست* ومن قضاة سامين ومن موظفين من طبقة *الكوريال والديكريون*. ومن اجل هذه الإدارة الجديدة اقام التخطيط المعماري مركزا سياسيا وإداريا وهو الفُرُوم (مركز تجمع المؤسسات Forum) وفروعه من مباني دينية وإدارية.

وضع المدينة القانوني

أصبحت هبون في عهد الإمبراطور أوغست مدينة ذات كيان قانوني (مونيسبيوم Municipium). ثم ارتقت إلى صف مستعمرة (كولونيا Colonia) في عهد القياصرة الانطونينيين، فرسمت في قائمة قبيلة *كويرينا (Quirina)* بروما.

فهل كان هذا الإدماج نتيجة استيعاب سريع للحضارة الرومانية؟ يبدو أن الإمبراطورية الرومانية كانت في حاجة إلى المدينة و إقليمها فأرادت بالإدماج استجلابها إليها.

*
** **

الاقتصاد و إدارته

كان أساساً اقتصادا زراعيا يكون امتدادا للانطلاق الذي وقع أثناء الأحقاب الماضية. فالأرض خصبة تنتج مختلف الثمار منها غابات الزيتون أساس إنتاج الزيت؛ وتنتشر الأشجار المثمرة على

الجبال المجاورة (القارص والتين واللوز والرمان والعناب..).
ولكن أساس الثروة الزراعية هما الدالية والقمح اللذان كانا يتدفقان بكميات وافرة على هبون قصد تصديرها: فكانت هبون المرسى الرئيسي للصادرات في الشرق الجزائري القديم.

ولم يكن القطاع الصناعي معدوما. فهناك النشاط المعدني الذي يستخرج المرمر النوميدي ذا الخطوط الرمادية من حضائر رأس الحمراء والبورفير الأحمر والبورفير الأخضر من حضائر رأس الحديد والرداء الأسود. ولا يستبعد أن الحديد كان يستخرج من الجهة وأن الافران كانت تذيبه في الأحياء الجنوبية من المدينة. ويشمل القطاع الاقتصادي الإنتاج إذ، زيادة على معاصر الزيت، وجدت معامل الفخار والصباغة. وكان الصيد البحري نشاطا ذا شأن ولا تزال اثار معمل لتصبير السمك ضخم الحجم يشهد بأن هذا النشاط كان له شأن، و توجد هذه الآثار قرب البازليكة الكبرى.

وكانت التجارة الداخلية مزدهرة: وتتجلى ضخامة المبادلات التجارية داخل هبون في ما عثر عليه من بقايا السوق الكبير.

وتبرهن إدارة المدينة الاقتصادية على الآزدهار الاقتصادي لهبون وإقليمها. اذ كانت هبون مقر مندوب إمبراطوري مكلف بالأملاك العقارية الحكومية المتوكل على شراء القمح لتموين روما. فكانت هبون احد مستودعات الحبوب الإمبراطورية.

المجـتــمــع والـــمــعــتــقــدات

يُرَجّح أنه لم يتغير تركيب المجتمع بهبون بعد الآحتلال الروماني. إذ أن القاعدة البشرية الاصلية نوميدية اختلطت إلى حد قليل بالمشارقة الفينيقيين وغيرهم، ولكن تغلغل بعض معالم الحضارة البونيقية مثل اللغة والدين كان قويا.

وبالرغم من انتصاب مجمع الآلهة الروماني باربابه مثل يوبتر ومينرفة...الخ، فإن الشرك الهبوني على غرار الشرك بالشمال الافريقي العتيق اكمله ذو اصالة، فالمذاهب الجديدة، في الواقع، ليست إلا لباسا لمذاهب الجدود، مثل التعبد لبعل-ستورنوس أو التعبد للسيريرس و بلوتون (وهي آلهة الفلاحة والثروة).

*
** **

الــتــوحــيــد بــهـــبـــون

لم يترك لنا التاريخ من التوحيد إلا اخبار الدين المسيحي. مع أنها عرفت قبل المسيحية الدين اليهودي. ويشير أوغستين إلى طائفة يهودية في الخطبة الوعظية رقم 196 . كما عارض اليهود في مجادلة عنوانها *"الخصومة بين الكنيسة والبيعة"*. وتؤكد وجود هذه الطائفة وثائق اثرية وهما مصباحان زيتيان معروضان بالمتحف.

*
** **

أما المسيحية فظهرت في فاتح القرن الثالث بهبون. وانتشرت بسرعة بين قوم شديدي التفاعل بالتأثير السامي الذي يحمل في كيانه فكرة اله واحد تستوي أمامه درجة الآدميين جميعا. وكما هو الشأن في جميع ارجاء الإمبراطورية الرومانية تصادم المعتقد الديني الجديد بالمبادئ السياسية والدينية لهذه الدولة، فنتج عن ذلك صراع عنيف بين القوتين. فقدمت هبون للكنيسة نصيبها من الشهداء وأهمهم القديس ثيوجنيس (Théogènes) أول أسقف بهبون و36 مسيحيا آخرين قتلوا في شهر جانفي من سنة 259، تحت حكم الإمبراطور فاليريانوس (Valérianus)، و شهد ملك ديوكلسيان (Dioclétien) مقتل ليونسيوس (Léontius) حوالي سنة 303...الخ. وتحت التهديد بالآضطهاد سلم قساوسة ومسيحيون النصوص المقدسة للوثنيين. وسمي من سلم هذه النصوص *"ترادیتوريس"*(Traditores أي خونة). وكان من بين هؤلاء القساوسة من منح الدرجة الكنيسية إلى بعضهم.

وبعد فترة اولى من الانتصار عرفت الكنيسة الأفريقانية غليان الجدل بين مختلف التيارات الدوغماتية مثل التيار "البيلاجياني" (Pélagianisme) وعرفت "أفريقا" خاصة المذهب الدوناتي الذي تميز بنظرة متشددة للمسيحية. ومؤسس المذهب "دونات" (Donat) كان من بين الأساقفة النوميديين المناهضين لأي اتصال "بالترادیتوريس". فهل كانت الدوناتية تعبيراً عن عقيدة

مسيحية كان الافارقة يريدونها تعبيرا خاصا بهم يمكنهم من فرض أنفسهم سياسيا؟

وفي نفس الفترة اصابت "أفريقا" ازمة مبيعات المنتوجات الفلاحية بسبب ايقاف روما شراءها إذ استفحلت فيها ازمة اقتصادية خطيرة. فساعدت هذه الوضعية على بروز صراع اجتماعي كان له الصدى بين العمال الفلاحيين والحرفيين. فانطلقت نوع من مقاومة الفقراء والذين سلبت أراضيهم ضد الملاك الكبار: وهذه الحركة هي حركة "السيركنسليون" (Circoncellions).

فالدوناتية وحركة "السيركنسليون" انتهتا إلى إنشاء نوع من التحالف الغير مدبر على مستوى القيادات على مايبدو، يقاوم السلطة الرومانية وكذلك الكاثوليكية الافرقانية التي كان قساوسها الرسميون بقرطاج متسامحين مع "الترادیتوریس".

فقد تكون الدوناتية محاولة استرجاع النوميديين لمصيرهم في الميدان الديني لتمهيد الطريق لاسترجاع مصيرهم السياسي. فلم يكن من محل الصدفة أن تمت هذه الحركة في قرن انفجرت فيه الانتفاضات وحركات المقاومة المسلحة ضد الامبريالية الرومانية عبر جميع انحاء الجزائر القديمة (أفريقا البروقنصلية، ونوميديا السرتية، وموريطانيا السطيفية و موريطانيا الشرشالية).

وتكــاد المدينة كلها تدين بالمذهب الجديد عند حلول أوغستين بهـــا، في حين أن عباد المسيحية الرسمية أصبحوا قلة.

فبادر أوغستين بإعادة المسيحية الكاثوليكية إلى قوتها مستعملا في ذلك الخطاب والقلم، خصوصا في إطار المجامع الدينية المتعاقبة وأهمها المجمع المنعقد بهبون في البازليكة الكبرى (أو بازليكة السلام) يوم 8 أكتوبر من سنة 393. ولم يحكم على الدوناتية نهائيا إلا أثناء انعقاد مجمع سنة 411 بقرطاج.

انتصر القديس أوغستين بالتوصل إلى الحكم على الدوناتية ومكن المذهب الكاثوليكي من الانتصار بهبون. فلم يقدِّم المذهب الدوناتي لمواجهة أوغستين إلا رئيسا ضعيفا وهو "بريميانوس" (Primianus) الذي لم يقدر على الابقاء على وحدة صفوف شيعته، كما تصرف بدون منهاجية. والحقيقة أن الدوناتية فقدت زعيمها في شخص "دونات": "فطوال أربعين سنة صمد ذاك المصارع القوي. ومما لاشك فيه أن تقدم الدوناتية السريع يعود الفضل الأكبر فيه لعمله. إذ كان يملك خصال قائد؛ فبوصفه منظماً متعففاً ومتفقهاً في مذهبه وخطيباً ومصنفاً غزيراً وزعيماً ومتشدداً مع نفسه ومع الآخرين، ومعتزاً بنفسه وقوي الشكيمة والصلّب، استطاع – كما يعترف له بذلك معارضه "اوبتات الميلي" (Optat de Milev) – فرض متطلبات صعبة على أساقفته"[1].

---

(1) Ch.A. Julien, *"Histoire de l'Afrique du Nord"*; T. I; p. 219.

القديـــــس أوغستيـن

إنها شخصية فذة اثرت بطابعها على مدينة هبون وجهتها أكثر من ثلاثين سنة. وقيمته الشخصية عالمية أيضا، إذ كان من دعائم الكنيسة المسيحية كما كان لتعليمه وآرائه الدينية اعتبار شائع، فهو الذي بنى الفكر اللاهوتي الكاثوليكي .

وآسمه أوريليوس اوغستينوس (Aurelius Augustinus). ولد *بثاغست* يوم 13 نوفمبر 354. في اعتناقه للمسيحية ربما ورث من أمه "مونيكة"(Monica) التي كانت مسيحية. أما ابوه باتريسيوس (Patricius)، من اعيان ثاغست، فقد بقي وفيا لمعتقدات اسلافه و لم يعتنق المسيحية إلا سنة قبل وفاته. وبعد تلقيه للمبادئ الاولية من التعليم بُعِث بأوغستين من طرف والديه إلى *مادوروص* (مداوروش)، المركز الفكري بجنوب نوميديا: وهناك تعلم اللغة اليونانية، وهناك أيضا تعلم البلاغة والنحو إذ كانت لمداوروش شهرة بأساتذتها في هذه المواد. ثم انتقل إلى قرطاج أين دخل في عالم آخر: عالم الدراسة والتفكير الذي ينهل منه، وهناك احتك بالفلسفة من خلال قراءته لأحد مؤلفات سيسرون (Ciceron) وعنوانه "الهرتنسيوس" (Hortensius). وكان هذا سنة 373. وهي الفترة التي اعتنق فيها آراء المانوية.

وفي سنة 374، وبعد 7 سنوات من الدراسة والاستمتاع بالملاذ بقرطاج عاد أوغستين إلى ثاغست أين أصبح أستاذا. وابتداء

من ذلك العهد انطلق في سلك التدريس. فعلم على التوالي بقرطاج ثم بروما سنة 383 وبميلانو سنة 384. غير أن مطالعاته وخاصة مطالعة كتب الفيلسوف "بلوتان" (Plotin) ومواضبته على سماع خطب الوعض والإرشاد التي يلقيها "امبرواز" (Ambroise)، أسقف ميلانو، وتأثير أمه التي آلتحقت به في إيطاليا فصلته عن المانويين. لكنه تردد طويلا قبل أن يُعَمَّد في شهر أفريل سنة 387.

وتوفيت أمه في السنة الموالية "بأوستيا"، فعاد إلى أفريقا وآنتصب بعض الوقت بقرطاج، ثم عاد إلى مسقط رأسه ثاغست أين مكث مدة ثلاث سنوات يدرس ويؤلف بين سنة 388 وسنة 391؛ وألف على الخصوص حوارا حول الموسيقى وناظر المانويين. وحوالي 390 أتى عائدا أحد أصدقائه بهبون، فلم يبرح المدينة منذ ذلك الزمن.

وعين سنة 391 معاونا لأسقف هبون، ثم خلفه سنة 395. وعند حصار هبون من طرف الوندال بقي أوغستين بين ذويه، شاحذا هممهم، الشيئ الذي لم يفعله الوالي الروماني الكونت "بونيفاس" (Comte Boniface) الذي وبخه أوغستين قائلا: "من كان يحتمل (...) أنه في حين "بونيفاس" (...) المقيم بهذه المقاطعة يقود جيشا في مثل هذه الضخامة (...) يخرب العنجهيون فضاءً في مثل هذا الاتساع ..." وظل في منصبه الأسقفي إلى وفاته يوم 28 أوت 430، والمدينة لاتزال محاصرة.

وانطلق أوغستين في صراع حقيقي ضد جميع التيارات المعارضة للمسيحية الرسمية. فناظر المانويين، وكافح الدوناتية اقصى الكفاح. وكانت النظرية التي يدافع عنها صلبة: "لا أحد يستطيع النجاة إلا بالإغاثة الإلهية و قليلون هم المختارون".

وقد ألف كثيرا في علم اللاهوت الاعتقادي وفي علم اللاهوت الأخلاقي، كما انتج مقالات حول علم التربية. ومن بين مؤلفاته: "الاعترافات" (حوالي سنة 397) و"مـــديـــنـــة الله" (412-427) و "الرسائل" (من 386 إلى 429).

فهو الفيلسوف والعالم باللاهوت الذي اعطى للكاثوليكية أسسها العقائدية بتطعيمها بكل ما في الثقافة اليونانية-الرومانية من العناصر الإجابية.

*
** **

وقع الآنحطـــاط الرومانـــي

الـــونـــدال

وخضعت هبون لجيوش الوندال في شهر أوت من سنة 431.

وقام الآحتلال على مايبدو بموجب اتفاق على ايقاف القتال الذي نتج عنه تهديم المدينة الجزئي، ونجت مكتبة أوغستين واخلي سبيل الكونت بونيفاس والأسقف بوسيديوس (Possidius) اللذين تمكنـــا من مغادرة هبون.

وجعل جنسريق (Genséric) ملكهم من هبون عاصمة له أين امضيت معاهدة السلم في شهر فيفري سنة 435 التي جعلت من جنسريق تابعا للإمبراطورية المتداعية، وبقيت هبون عاصمة الوندال حتى سنة 439 عند استيلاء جنسريق على قرطاج (أكتوبر 439).

واستقر سلم نسبي في هبون أين لانت شدة الوندال وأصبح جيشهم، خاصة تحت حكم آخر ملوكهم جلمير (Gélimer)، جيشا ضعيفا وَهِنًا.

وتقلصت المدينة في هذا العهد، ولا يستبعد أن هجرها سكانها الذين قد تفرقوا داخل الإقليم؟

ولم تكشف الحفريات بعد عن مرور الوندال بهبون إلا عن قبور متناثرة بين اطلال هبون وشاهد مقام لذكرى ارمنغو (Ermengo) زوجة أحد القواد الوندال وحلي من المعدن معروض بالمتحف.

البيـــزنطيـــون فـــي هبون

فلم يجد الجيش الجستيني سنة 533 تحت قيادة بليزير (Bélisaire)، عناءً كبيرا في وضع حد للسلطة العسكرية الوندالية. بيد أنه آنتصب، عوض الانحلال الوندالي، الفكر القانوني الثقيل الميال للجدل البيزنطي الفـــارغ. فكان تذمر الأهـــالي منه أكبر من

تذمرهم من الوندال.

واستعادت المدينة نَفَسَها وعرفت من جديد نهضة محتشمة إذ استرجعت مكانتها كمدينة أسقفية وطمحت الرفاهية فيها– وإن كانت محدودة في البداية– إلى أيام جميلة اخرى.

ولكن هبون انفصلت نهائيا عن الإمبراطورية الرومانية، إذ أن ضعف روابطها بها لم يقو على مواجهة الازمات. وبالرغم من تجديد الإمبراطورية في بيزنطة، فهبون مثل سائر شمال افريقيا دخلت بعزم في حركة النهضة النوميدية.

بونة في العصور الوسطى والحديثة

بـــدايــــــة الـــعـــهـــد الإسلامـــــي

لا تعطي المصادر اخبارا كافية عن تاريخ المدينة وإقليمها بين القرن السابع م. والعاشر م.، وخاصة عن عهد آنتصاب الإسلام في شمال افريقيا. ويبدو أن هبون وإقليمها بقيا بعيدين عن معارك الفتح، وهذا يرجع إلى كون هبون كانت خارجة عن محاور الانتشار الإسلامي الذي سار في العشريات الاولى من العهد الإسلامي في اتجاه المسالك الداخلية تاركا السواحل وخاصة السواحل الشمالية.

ومن الروايات القلائل عن هبون -بونة-عنابة، في المصادر العربية حول الفتح، تلك التي تروي كيف ضغطت جيوش حسان بن النعمان على افارقة أقاليم قرطاج وبنزرت حتى اجبرتهم إلى الالتجاء إلى إقليم هبون حوالي 692. وإذا كان الأمر كذلك، فإن المدينة كانت تشكل منطقة هادئة وسلمية حتى اوائل القرن الثامن م. و هكذا-إلى أن ياتي مايخالف ذلك-لم تفتح هبون عنوة ولم يكن الفتح الإسلامي سبب خراب هبون العتيقة. والبكري الذي يروي عادة أهم الأحداث المتصلة بتاريخ كل مدينة يصفها لا يروي كتابه شيئا عن هبون.

والأمر الأكيد أنه ظل الموقع العتيق معمورا وإن كانت المساحة تقلصت. وكان هذا التقلص نتيجة لآنحطاط المدينة أثناء العهد السابق وللتقهقر الاقتصادي العام في البحر الأبيض المتوسط.

ولهذا يبدو أن هبون لا تقوم بأي دور تحت حكم الولاة الامويين والعباسيين ابان آنتصاب الإسلام بالشمال الافريقي.

*

** **

هـبـون - بونـة و الفاطميين

حكم الفاطميون المغرب الشرقي من 910 إلى 973 م.

وأول ما تعود هبون-بونة للبروز على المرسح التاريخي فذلك عند آنتصاب الحكم الفاطمي. فبعد مرور قرنين على الفتح أصبح إسلام شمال افريقيا أمرا واقعا. فقرر شعوب شمال افريقيا الذين تسلحوا بمذهب يطابق ميولهم للحرية بالقيام بدور فعلي في إدارة مصيرهم.

والأقاليم التي كانت مهيأة تاريخيا لهذا المشروع هي الأقاليم التي رأت بزوغ حضارة قارة منذ نهاية العصر الحجري الجديد: ومن بين هذه الأقاليم نوميديا وشعبها الذي وضع الأسس التي اعطتها أهمية تاريخية مكنتها من فرض شخصيتها من جديد ابتداء من القرن العاشر ميلادي، ومن المعلوم أن هبون - بونة شاركت في آزدهار نوميديا.

فليس من الصدفة أن توجه مؤسسو الحكم الفاطمي لشعوب نوميديا القديمة ومنها قبائل كتامة. لذلك تنخرط هبون-بونة، عند انطلاق الدعوة الشيعية في حزب الداعي عبد الله وتمثل احدى

المراحل الهامة في الاستحواذ على الملك من طرف الفاطميين، وتصبح فيما بعد احدى ديار صناعة البحرية الفاطمية مثل القالة. فأُدْمجت إذن هبون-بونة في الخريطة الجغرافية والسياسية الجديدة لشمال افريقيا الإسلامي.

فابو عبد الله الذي أُلْتمِس منه التدخل في نزاع داخلي لقبيلة اوربة (إذ كان جزء منها مقيما بناحية هبون-بونة)، بعث بجيش آنتصب بمنطقة "مجاز المراكب". وبالتالي تعود هبون-بونة على مسرح التاريخ أثناء نهاية القرن التاسع م. وبداية القرن العاشر م. بمناسبة حدث عسكري. وأثناء القرن العاشر م.، حين ثورة يزيد صاحب الحمار، ساعده امويو الاندلس بارسالهم أسطولا بقيادة محمد بن رماحيس، وهذا الأخير حسب ماروواه ادريس عماد الدين، بعد أن قضّى شتاء 334 هـ/946 م. بالميرية، غزا الشواطئ وانتهى إلى الارساء بهبون-بونة.

*

** **

هبـــون-بونـــــة الصنهاجيــــــة

خلف الزيريون الفاطميين سنة 973. واستقل بنوعمومتهم الحماديون عنهم وحكموا الجزائر الشرقية من 405 إلى 518هـ/1015 إلى 1152 م.

وتدخل هبون-بونة في مرحلة جديدة من تاريخها عند انتصاب بني زيري كخلفاء -ظاهريا- للفاطميين، في حين أن بني

زيري كانوا أصحاب السلطة الحقيقيين ورؤساء نوميديا القديمة التي أصبحت "افريقيا" الإسلامية الجديدة.

وحسب شهادة الرحالة ابن حوقل، فلهبون–بونة "عامل قائم بنفسه ومعه من البربر عسكر لا يزول كالرابطة". فكانت، بين نهاية القرن العاشر م. وبداية القرن الحادي عشر م.، امارة مستقلة من بين ولاتها: زاوي، ابن زيري. وهذا الأخير من مؤسسي الدولة الصنهاجية.

إن الدولة الحمادية (المنبثقة عن انقسام السلطة الزيرية) تضطلع، ابتداء من 1055، بدور فعال في المنطقة، إذ أن جيرانها زيريي المهدية ضعفوا من جراء هجمات قراصنة جزر البحر الأبيض المتوسط، ونتيجة للنزوح الكثيف لبني هلال وبني سليم. فأصبحت قلعة بني حماد عاصمة افريقيا الاولى، ونتيجة لذلك احرزت بونة على مكانة الصدارة بوصفها ثغرا وميناءً تجاريا.

وخلال هذه المرحلة الجديدة، شاركت بونة في الأحداث الداخلية للبلاد الحمادية الزيرية. فأثناء حكم المنصور بن الناصر (481-498 هـ/1088-1105م)، عاشت الدولة الحمادية ثورة بلبار، عمّ الملك ووالي قسنطينة. وهي الفرصة التي كان يترقبها رئيس أحد العشائر الهلالية ابن مسعود واستغلها للاستيلاء على بونة. فكلف المنصور ابا يقني، أمير جيشه، بمهمة استتباب النظام بقسنطينة وبونة. وعند حصوله على الانتصار ثار ابو يقني ضد

ملكه المنصور، وانحاز إلى صاحب المهدية الزيري تميم بن المعز مسلّما له مدينة بونة. وعين ابو يقني اخاه ويغلان واليا على بونة. ولكن تميم بن المعز فضل اسناد ولاية بونة لابنه ابي الفتوح سنة 1094 م.

وكان رد فعل المنصور بن الناصر بمحاصرة بونة سبعة أشهر انتهت باسترجاع الثغر. وإثر ارتقاء آخر الحماديين يحيى بن العزيز على العرش، نصب اخاه الحارث واليا على بونة. واعتمادا على هذا الموقع، حاول الحارث تشجيع اخيه الملك يحيى على الثبوت والصمود أمام بروز الموحدين؛ ثم بعد فقدانه السيطرة على المدينة استنجد الحارث سنة 548هـ(1153م) بملك صقلية روجار الثاني.

فكان الضوء الأخضر لتدخل الصقليين الذين ارتموا على منطقة كانت محط اطماعهم منذ امد طويل، مستغلين الفوضى الناتجة عن ضعف الدولتين الحمادية والزيرية. وارسل روجار الثاني، صاحب صقلية، أسطوله تحت قيادة فيليب المهداوي لآحتلال بونة باعانة الهلاليين (548 هـ/1153 م). فخُرِّبت المدينة وأُسِّر أهلها ولم يترفق فيليب إلا بعلماء وصلحاء المدينة، فمكنهم من مغادرة بونة[1]. وبعد اخضاع المدينة، اعاد روجار الثاني إلى ولاية بونة الحارث الذي قبل مقابل ذلك حماية الجند الصقلي.

---

(1)أنظر ابن الأثير، *"الكامل في التاريخ"*، ج 15، ص 187

والملاحظ أن بونة كانت مسرح نهاية مسار الدولتين الصنهاجيتين. إذ أن آخر ملوك المهدية، الحسن بن علي، نزل حوالي 543-544 هـ/1149-1150م، على الحارث واخذه اخوان الحارث في حمايتهم وساعدوه على الالتحاق بمدينة الجزائر. وعند هربه أمام الموحدين ارسى آخر الحماديين يحيى ببونة أين حاول اخوه الحارث تشجيعه على الصمود من أجل الابقاء على دولتهم.

بونـــة من القــرن الثالــث عشـــر م.

إلى القــــرن الخامــس عشـــــر م.

عند توسع سلطة الموحدين، تؤكد المصادر التاريخية دور بونة كميناء مندمج في المواصلات والازمات المتوسطية. وإضافة إلى ذلك أصبحت المسالك البرية أقل امنا، مما جعل من بونة معبرا أكيدا للالتحاق بالغرب، إما بمتابعة السفر بحرا و إما برا.

*

** **

بـــونـــة و الــمــوحــدين

وحكم الموحدون من 1130 إلى 1270.

إذ في أواسط القرن الثاني عشرم. ظهرت بغرب شمال افريقيا محاولة جديدة لقيام إمبراطورية بعد فشل الإمبراطورية المرابطية، وتزعمها عبد المؤمن بن علي، أمير الإمبراطورية الموحدية. وأثناء المرحلة الأخيرة من حملات التوسع نحو المغرب الشرقي، اطرد عبد المؤمن الصقليين النورمانيين وأحلافهم من بونة التي اخضعها سنة 1157. وحتى يعزز من قدرتها الدفاعية حرص عبد المؤمن على توطيد السور. وتعود بونة بوصفها مرسى إلى نشاطها خاصة انه في عهد الموحدين أصبح الأسطول الشمال الافريقي أقوى الأساطيل الإسلامية من حيث التجهيز والقواعد البحرية. وكـــان على هذا الأسطول أن يواجه مزاعم واطـــمـــاع

الجمهوريات التجارية الاوروبية.

*

** **

بـونــــة و بـنــــي غـــانــيــة

وآنتصب سنة 1209 بنوغانية آخر ممثلي المرابطين ببونة بعد اخضاعهم تونس. ويمثل آنتصاب إمارة بني غانية إلى سنة 1226 علاقة بونة الوحيدة بالمرابطين. ومن الأدلة القليلة على ذلك ما عُثِر عليه من دنانير مرابطية بمسجد ابى مروان سنة 1967 .

*

* * **

بـونــــة-عـنـــابــــة الـحـفـصـيــة

حكم الحفصيون المغرب الشرقي من 1228 إلى 1574 م.

فمن أجل اعادة إدماج القطاع الشرقي من شمال افريقيا داخل الإمبراطورية الموحدية اسند الخليفة الموحدي الناصر (611-1213/595-1198) إلى وزيره الأول أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص عمر الهنتاتي ولاية افريقيا مؤقتا ومهمة تحطيم حكم بني غانية، وكانت الحملة موفقة ولكن ابا محمد عبد الواحد قرر البقاء نهائيا بافريقيا.

وبعد فترة وجيزة حُكِمت فيها افريقيا من طرف ابي العلاء عم ابي الأمير الناصر ثم من طرف ابنه أبي يزيد، رجع الحكم إلى ابن أبي محمد ابن أبي حفص، عبد الله بن أبي محمد بن أبي حفص

سنة 623 هـ/1227 م. وهكذا انطلق تشييد الدولة الحفصية في الجزء الشرقي من شمال افريقيا، الذي كانت بونة جزءً منه، إلى أوائل القرن العاشر هـ/السادس عشر م.

ويتأكد دور مركز جهة بونة-عنابة كثغر ومنطقة حدودية. وتعزز مركز المدينة عند انطلاق عمليات السلطان ابي زكرياء الاول (625-647/1228-1250) من أجل فرض سلطانه على الجناح الغربي للمجال الحفصي، وهو المجال الحمادي سابقا. فزحف ابو زكرياء الاول سنة 626 هـ/1229 م. على قسنطينة وبجاية ونصَّب بهما عامليه. ويؤكد ابن خلدون أن هذا السلطان نصّب بالغرب الحفصي عماله وحامياته العسكرية بالمناطق الحدودية.

ومنذ بداية العهد الحفصي كان حكام بونة-عنابة من العائلة المالكة. فحوالي 626 هـ/1229م. كان حاكم بونة ابو علي عمر بن ابي موسى عم الملك. وفي سنة 636 هـ/40-1239 م. كلف نفس الملك ابنه ابا يحيى زكرياء. وعند وفات هذا الأخير أصبحت بونة-عنابة من مشمولات انظار اخيه ابي عبد الله محمد سنة 646 هـ/50-1249 م. وقد دفن ببونة-عنابة، بالقرب من ابي مروان، السلطان ابو زكرياء نفسه الذي توفي سنة 647 هـ/51-1250 م. ولم تنقل رفات السلطان إلى قسنطينة إلا في سنة 666 هـ/70-1262 م.

وانتهى الجناح الغربي من السلطنة الحفصية إلى تكوين كتلة متباينة، خاصة عندما أعلن ابو زكرياء الثاني-ابن ابي اسحاق- استقلاله كسلطان ببجاية، باسطا سلطته على قسنطينة وبونة-عنابة والزاب. فعزز ابو زكرياء أدوات سلطانه تجاه تونس، ومن ذلك أن عزز موقع بونة-عنابة. وهكذا طوال حكمه من 683 إلى 689 هـ-(1284-1300م)، واجه هجمات أصحاب تونس: فأثناء هذه الحقبة تم تشييد قلعة القصبة على جبل عابد. وتستمر بونة-عنابة في استقبال حكامها اما من بين امراء البيت الحفصي، عندما تسمح بذلك علاقة القوى السياسية، وأما من بين القواد العسكريين من بين العبيد المعتقين.

ففي سنة 1319 م. عُيِّن مسرور، مولى السلطان الحفصي ابي يحيى ابي بكر، بصفته قائد الجيش لاخماد ثورة قبيلة ولْهاصَة وخاصة الذين واجههم الحفصيون ابان آنتصابهم في الحكم فَقُتِل القائد مسرور. فخلفه ابن السلطان ابو العباس الفضل في بونة-عنابة وعين السلطان لمساعدته القائد ضافر السنان. ويدل هذا الاغتناء الفائق بهذه المنطقة من المملكة على أن مركزها الحساس موجود بين بجاية وبونة-عنابة: إذ تمر هناك الحدود مع جيرانها بالغرب، أي بني زيان بتلمسان الذين هددوا الحفصيين أثناء النصف الاول من القرن الرابع عشر م. ولمواجهتهم تحالف السلطان الحفصي ابو يحيى ابو بكر مع بني مرين بالتعاهد مع سلطانهم ابي

العباس الذي عزز هذا التحالف بزواجه من احدى بنات السلطان الحفصي. ولذلك عند انطلاقه في اخضاع شمال افريقيا له، بنية استرجاع الإمبراطورية الموحدية لفائدته، لا يتجاوز ابو الحسن حدود افريقيا (737هـ/37-1336 م). ولكنه ينتظر وفات حليفه لاستحواذه على تونس (747هـ/47-1346م). وإذ تزوج ثانية اخت عامل بونة-عنابة الفضل، ابقى ابو الحسن هذا الأخير في منصبه (748هـ/48-1347م)، وتعود بونة-عنابة من جديد إلى الحكم المستقل لأنها الإقليم الوحيد الذي يسوسه عضو من العائلة الحفصية.

ولاييأس الفضل من أن يرى ابا الحسن المريني يعيده على رأس الدولة الحفصية. ولكن السلطان المريني لا يستجيب إلى امله، فهو يسيطر على إمبراطوريته ولا ينوي التفريط فيها. إلى حد أن اسخط بتصرفاته الناس جميعا وخاصة العنصر العربي الذي رفض اقطاعه الأراضي. فآنفجرت الثورات في كل الجهات وخسر ابو الحسن الإمبراطورية التي شيدها بصعوبة.

وأصبحت بونة-عنابة سنة 749-750هـ/1349-1350م، قاعدة الانطلاق من أجل استرجاع قسنطينة وبجاية من يد المرينيين وكذلك تونس.

فآغتنم الفضل الفرصة لاسترجاع قسنطينة وبجاية ثم تهيأ لاسترداد العرش بتونس، ولكن ابن ابي الحسن، ابا عنان قام

بأنقلاب ضد ابيه وأعلن عن ارتقائه للملك بمراكش. ومن بين ما قام به هو اطلاق سراح أميرين حفصيين كانا عاملين على قسنطينة وبجاية. فاستعاد كلاهما منصبه ومكنوا ابا الفضل من الرجوع إلى ولايته بونة-عنابة (سنة 749هـ/1348م) وفي السنة الموالية استنجدت قبائل كعوب الهلالية بابي الفضل ضد ابي الحسن المريني، فاغتنم الحفصي الفرصة لاستعادة تونس من جديد فحقق حلمه في الاستيلاء على العرش الحفصي (سنة 750 هـ/1350م). ولكن بونة-عنابة تشهد آحتلالا مرينيا جديدا عند انطلاق أبي عنان في حملاته الجديدة سنة 756هـ/1356م.

واستعاد الأمير الحفصي أبو يحيى زكرياء المدينة أين أقام على رأس حامية عسكرية. وجعل ابو العباس، اخو يحيى زكرياء وعامل قسنطينة، من بونة-عنابة ثغرا حدوديا لعمله حسب ما أورده ابن خلدون. وعزم تأكيد صفة الثغر لبونة-عنابة يوحي أن تقوية الجهاز العسكري للمدينة رافقه تعزيز القصبة وربما توسيعها.

وعند اعادة ابي العباس توحيد المملكة الحفصية للمرة الثانية سنة 770هـ/1369م، وعند تعيينه اخاه أبا يحيى زكرياء عامل بونة-عنابة، حاجبا، خلفه بها اخوه ابو عبد الله محمد؛ ويوضح ابن خلدون ان العامل استقر"بقصره" في بونة-عنابة.

وتبقى المدينة وقلعتها مقر إقامة أمراء الجناح الغربي لسلالة الحفصيين: فحتى سنة 797 هـ/1395م، استمر ابو عبد الله محمد

قائما بأمور المدينة؛ ثم حوالي 800هـ/1398 م تعهد بها الأمير زكرياء، اخو السلطان ابي فارس. وبين 933 هـ و940 هـ/1527-1534م، كان بها عاملا ابو العباس ابن الحسن آخر سلاطين الحفصيين.

إدماج بونة-عنابة في الجزائر الحديثة

احتفظت بونة-عنابة بموقعها الاستراتيجي داخليا؛ فهي منطقة اتصالات بحرية مع الزيانيين والمرينيين، كما قامت بدور في علاقات الحفصيين بدول الغرب المغاربي. وكذلك كانت قلعة في العلاقات المتوسطية داخل بحر ما فتئت الأساطيل والقرصنة الاوروبية تقوي ضغطها على سواحلنا. وبالرغم من النزاع بين المرينيين والحفصيين، فهؤلاء الأخيرون حافظوا إلى آخر القرن الرابع عشر م. على الكفاية من القوة لفرض احترام الجمهوريات التجارية الإيطالية أو دولة الارغوان لهم.

وفقد الحفصيون السيطرة على مصيرهم في القرن السادس عشر م. حتى أنهم لعبوا ورقة الإسبان وأصبحوا تابعين لهم. فكانت النتيجة أن ثارت بونة-عنابة في وجه العامل الحفصي يوم 4 أوت 1534 واستغاثت بخير الدين الذي كان قد بادر صحبة بابا عروج إلى طرد الإسبان من مدينة الجزائر. فوصل خير الدين إلى بونة-عنابة أين ترك جزءً من أسطوله وانطلق في حملة اطاحت بالسلطان مولاي حسن بتونس يوم 18 أوت 1534.

وبعد الآحتلال الإسباني الذي دام من 1535 إلى 1540، حرِّرت بونة-عنابة وأدمجت في الدولة الجزائرية الجديدة المؤسسة حديثا، وكونت جزءً من بايلك الشرق حين انتهى تحديد التقسيم الإداري بين 1557 و1567.

وإذا كان تنظيم المؤسسات الإدارية معروفا، فالمصادر المتوفرة حاليا لا تذكر إلا بعض من كانوا على رأس هذه المؤسسات: القائد أحمد شربي أو غربي؟(1725)، والقائد الحاج حسن (1783-1786) والقائد رجم بن ربايع (؟) والمركانتي الحاج عمار بن زقوطة (1827-1830).

السكـــان و الـــمجتمــع

من القـــرن الثامـــن م. إلى القـــرن الـــخامـــس عشــــر م.

كانت بونة-عنابة وجهتها مأهولتين بالأمازيغ حتى القرن الحادي عشر؛ وجذعاهما من البتر والبرانس ممثلون هناك. فولْهاصَة، من بطون البتر، تقيم أساسا بالريف. ويمثل البرانس فخذٌ من قبيلة اوربة، وهو ما يؤكده البكري الذي يذكر أيضا جماعة من مصمودة؛ وكانت هذه القبائل تقطن حول المدينة. وكذلك كتامة، من بطون البرانس، كانوا من أهل جهة بونة-عنابة.

ويضاف إلى هذه العناصر بقايا من جماعات حضرية خاصة تنتمي إلى عهود التاريخ القديم.

أما العناصرُ العربية والتابعون لهم فيمثلونَ عددا ضعيفا من السكان. فحتى القرن التاسع م. كانوا يتكونون من ممثلي الحكم الاغلبي والجند.

فمختلف هذه العناصر البشرية تشكل المجتمع الأمازيغي الإسلامي الذي اقبل على تشييد نفسه بين القرنين الثامن والحادي عشر م. محققا إلى حد ما تماسكا قويا.

وانطلاقا من 1051 دخل هذا المجتمع في مرحلة جديدة. إذ مسّت شمال افريقيا حركة نزوحية معتبرة، ولحقت منذ بدايتها منطقتنا. وهو ذالك النزوح الذي فرضه فاطميو مصر على بني هلال وبني سليم. وادى انتشار هذا العنصر البشري الجديد، سواء

إداريا سواء كنتيجة لسياسات الزيريين والحماديين والموحدين، إلى تغييرات هامة في توزيع المجموعات البشرية وتولد عنه مجتمع مغاربي جديد.

وتطورت بونة-عنابة وجهتها في نفس الاتجاه. فخضع أهل الريف إلى تغييرات هامة نتيجة لعلاقاتهم مع النازحين العرب. إذ المجموعات البربرية للمنطقة، التي تقلص منها عدد كتامة نتيجة لمشاركتهم في الحركة الشيعية للفاطميين، تطعمت بأحد بطون بني سليم وهم مرادس فخذ من قبيلة عوف.

وبقطع النظر عن الأسباب السياسية والعسكرية، تكمن أيضا السهولة النسبية في آنتصاب الوافدين الجدد في العجز الديمغرافي للقبائل الأمازيغية، الذي يؤكده ابن خلدون، بين القرنين العاشر والحادي عشر م. ومكن بذلك النزوح العربي في القرن الحادي عشر من سد هذا العجز.

ويبدو أن أهل المدن قد حافظوا بشريا على مميزاتهم السابقة. وإضافة إلى ذلك، خاصة منذ بداية القرن الحادي عشر م.، عاشت بونة-عنابة استقرار الاندلسيين بها من تجار ورجال علم...الخ واستؤنف النزوح الاندلسي بين القرنين الرابع عشر والسادس عشرم.

فيمكن الجزم أن أُرسيت قاعدة مجتمع جديد حضري وريفي ابتداء من القرن الرابع عشرم.

وشاهدت نهاية القرون الوسطى اندماج النازحين العرب في المجموعة الاجتماعية العرقية للمنطقة. فكل فرع من الجماعات القبلية المنتمية إلى أحد العنصرين المركبين لهذا المجتمع تأثر بالفرع الآخر. ورغم أنهم كانوا اصلا من الظعن، فإن الوافدين الجدد آندمجوا في الحياة الاقتصادية للمنطقة المطبوعة بالاستقرارية والنشاط الفلاحي؛ فقوم مرداس مثلا تأقلموا مع الاستقرارية الفلاحية.

*
** **

بعض ملامح المجتمع

يمثل أهل الريف في منطقتنا العنصر الاول. فهو يكون الاغلبية العددية. وترتكز قاعدة تنظيمه على القبيلة؛ ويستند التمييز داخل هذا المجتمع على النسب القبلي وعلى الصف. ومهما بلغ حد أستقلال القبائل فتبعيتها للمدينة قوية من أجل "حاجتهم إلى الامصار في الضروري... بطبيعة وجودهم" حسب تعبير ابن خلدون. وكانوا من الفلاحين والمربين للمواشي.

أما السكان الحضريون فهم قلة عدديا ولا يمثلون إلا أقل من عشرة في المائة من سكان المنطقة. فأهمية المدينة تكمن في سيطرتها على "الضروري"، وفي كونها الممثل للسلطة الشرعية. وهنا بالمدينة فالفئات الاجتماعية مميزة؛ منها فئة الحاكمين، ومنها العلماء والفقهاء والقضاة والمفتيون، ومنهم المنتجون كالحرفيين،

ومنهم التجار وأصحاب الخدمات. وحتى لو كانوا من اصل قبلي، فمرجعياتهم الجديدة حضرية: الانتماء المهني، حاشية السلطة...الخ ويعتمد الانتماء الإيديولوجي على الدين. وانتشر الإسلام ببونة- عنابة و منطقتها ابتداء من القرن السابع ميلادي. وانتهت الاغلبية الساحقة إلى اعتناق العقيدة الإسلامية. بيد أنه من الملاحظ أن مسلمي منطقتنا تبنوا اكراها أو طوعا، قرابة قرن (التاسع والعاشر م.)، الشيعة الاسماعيلية، مذهب الفاطميين. وكانت كتامة أشد تعلقا بالشيعة. ولكن انتصرت السنة ابتداء من القرن الحادي عشر م.

وبقيت من المجتمع السابق جالية مسيحية من سليلي الاهالي المسيحيين القدامى. وكان رجال الكنيسة مازالوا يشرفون على تادية الشعائر الدينية في القرن الحادى عشر. وتعيين *القس* "سيرفاند" (Servand) أسقف هبون من طرف البابا "غريغوار *السابع*" (Grégoire VII) سنة 1076 م. دليل على ذلك. وإلى هؤلاء المسيحيين الاصليين يضاف التجار الاوروبيون والمرتزقة من جنود الحامية.

ووجدت كذلك جالية يهودية، تتكون من عناصر أهلية لم ترتد عن معتقدها، يضاف إليهم بعد انهيار الاندلس المسلمة اليهود الاندلسيون خاصة ابتداء من القرن الخامس عشر م.

*

** **

كانت هبون-بونة أيام الدولة الاغلبية عاصمة كورة، جزء من عمل ربما كان مركزه بافريقيا (مدينة تونس ؟).

وأثناء حكم الفاطميين، يبدو أن هبون-بونة كانت على رأس ثغر عسكري مستقل، مقام حول رباط حسب شهادة ابن حوقل.

وابقت السلطة الحمادية هبون-بونة على دورها كثغر تابع لقلعة بني حمادِ ثم بجاية. واحتفظت المدينة بهذا الوضع مع الحفصيين الذين سيروا هذه المقاطعة مباشرة من العاصمة.

وأثناء كامل هذه الفترة الطويلة، كان العامل صاحب السلطة العمومية: فهو أمير الجيش والشرطة، وهو رئيس الإدارة الجبائية، وبذلك كان يراقب مختلف الدواوين: ديوان الجيش وديوان المراسلة وديوان الخراج والبريد وبيت المال. وتمثل العدالة المؤسسة الأساسية الثانية. فالقاضي المعين من طرف العامل يخضع إلى نفوذ القاضي الاعظم المتواجد بعاصمة الملك. ويتبع القاضي المحتسب وهو عون قضائي يراقب أخلاقية ومطابقة الخدمات وكذلك نظافة الشوارع...الخ. وكانت التربية والتعليم من مشمولات انظار المسجد. في البوادي كان التسيير قائما داخل القبيلة على "الجماعة" وهي مؤسسة تتمثل في مجلس، مكوّن من وجوه القوم، ينظر في كل قضايا القبيلة ويسيّر شؤونها. وتخضع الجماعات القبلية إلى ترتيب قائم على "العصبية".

السكـــان و الــمجتمـــع

من القرن السادس عشـــر إلى القرن التاســـع عشـــر م.

يستمر مسار تكوين المجتمع كما ورد في الفصل السابق إذ اضيفت اسهامات جديدة بشرية ابتداء من النصف الثاني من القرن السادس عشر م. فالجزائر الحديثة التي يشرف عليها نظام الدايات عاشت وفود مجموعات بشرية منتمية إلى بلدان شرق البحر الأبيض المتوسط، وخاصة من اوروبا البلقانية. وهم عموما من العسكر المجندين للعمل في مختلف الحاميات. وإلى هؤلاء يضاف ورود العديد من المرتدين المسيحيين، وهم العلوج، اغلبهم اصيل جنوب اوروبا الغربية. وكان لبونة-عنابة نصيبها من هذه الاسهامات البشرية. وتبين أسماء الأعلام مجموعة من القاب عائلات ايقاعها بلقاني وإيجي وألماني وإيطالي.

والخلاصة أن لوحة التركيبة البشرية لبونة-عنابة ومنطقتها ناتجة عن تطور آنتصاب مختلف العناصر البشرية منذ العصر القديم الاول. فالمدينة ومنطقتها اللتان تغطيان جزءً من جبل إدوغ غربا، والسهل البحري حتى القالة شرقا، والأودية جنوبا، يأهلها سكان منحدرون من اختلاط عنصرين بشريين رئيسيين، الأمازيغ والعرب، انضافت إليهم اسهامات جديدة. وكانت النتيجة تكوين مجتمع مستقر من الفلاحين ومربي الماشية في البوادي، ومن الرابطات الحرفية ومن التجار ومن اعيان العلم والجيش...الخ في

المدينة. وجميعهم متعلقون أولاءِ بأرضهم وهؤلاء بمدينتهم، ولكن شيمتهم جميعا التفتح على الآخرين والتسامح بطيبة خاطر مع كل وافد جديد.

*
** **

بعــض المعطيــات الديمغرافيــة

يصعب وضع تقديرات لسكان بونة-عنابة من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر، غير أن التغيرات هامة. واعتمادا على مختلف المصادر تقدم التقديرات الأرقام التالية:

1607	8.000 إلى 10.000 ساكن
أوائل القرن الثامن عشر	12.000 ساكن
1808	4.000 إلى 5.000 ساكن
1832-1830	1.500 ساكن

وبعد زيادة ملحوظة من بداية القرن السادس عشر إلى منتصف القرن الثامن عشر، يصاب سكان بونة-عنابة بنقص كبير في العدد. ويبدو أن سببه الرئيسي مساوئ الطاعون الذي لم ينفك يَفْتِك بالجهة ابتداء من 1783. وبلغ عدد الموتى يوميا، خلال سنتي 1786 و1787، أثناء أشد أوقات العدوى ثمانين إلى مائة ميت. وفي سنة 1830 نتج خلو المدينة من السكان عن جلاء السكان أمام انعدام الأمن الذي خلفه الآحتلال الآستعماري.

المؤسسات ابتداء من القرن السادس عشر

تحتفظ هيكلة المجتمع بطابعها العام على النحو الذي وصفت به بالنسبة للقرون الماضية. ولما كانت المصادر الخاصة بالعصر الحديث اوفر فهي تمكن تعرفا اعمق على المجتمع والمؤسسات التي تسيره.

ويطبع هذا المجتمع اختلال توازن هيكلي هام: فهو مجتمع اغلبيته ريفية وقبلية؛ والعنصر الحضري منه أقلية: فبونة-عنابة هي المدينة الوحيدة، بأتم مفهوم الكلمة، في المنطقة. فهذه الهيكلة هي تلك التي تطبع تنظيم المؤسسات: مؤسسات الدولة في المدينة، والمؤسسات القبلية المرتبطة بالسلطة إلى حد ما خارج المدينة.

وابتداء من الربع الأخير من القرن السادس عشر، أصبح إقليم بونة- عنابة تابعا إداريا لبايلك الشرق عاصمته قسنطينة. وهذا الإقليم، المسمى سنجاق بونة-بلد العناب، يغطي مواطن القالة وطبرقة و باجة عند احداثه حوالي 1580؛ ثم اقتصر فيما بعد على منطقة بونة-عنابة و القالة.

وكانت السلطة الوصية التي تتولى السنجاق واوطانه هو *الخليفة* المقيم بقسنطينة.

مؤسسات المدينة

يُعيَّن على رأس الإدارة *قائد الدار*، ويسهر على شرطة المدينة ويتكلف بتموين الجيش ويسيّر الأملاك العمومية للبايلك

داخل المدينة وفي الأرياف ويحقق في القضايا الإجرامية داخل المدينة. ويرأس *قائد الدار* مجموعة *الأمناء* الحرفيين يضاف إليهم مقدم الجالية اليهودية. ويرأس *قائد الدار* مجلس القضاء عند المحاكمات. إلا أنه منذ نهاية القرن الثامن عشر أو بداية القرن التاسع عشر، اما احتجب *قائد الدار* واما عوضه شخص أصبحت له اليد العليا على شؤون المدينة وخاصة العلاقات التجارية مع الأجانب و هو *القائد المركانتي*.

ويعتمد تسيير المدينة على مكلفين آخرين يحملون كذلك لقب *قائد*. فكانت قباضة المستحقات الجمركية على السلع الواردة إلى المدينة من مشمولات انظار *قائد الباب*، وتشمل مصلحته *خوجة* (كاتبا) واحداً أو أكثر. وتعود مراقبة الأسواق إلى *قائد السوق*. ويتكلف *قائد الزبل* بنظافة الشوارع. *أما قائد القصبة* فيسهر على الأمن العمومي، خاصة ليلا، معتمدا في ذلك على مجموعة من أعوان الأمن يدعون *القبجية*، وهو الذي يقوم بتطبيق العقوبات. ويراقب تجارة التبغ قائد *الدخان*.

وتعود العدالة بالنظر إلى مجلس مكون من المفتي الذي يرأسه، ومن قاضيين: احدهما مالكي والآخر حنفي، ومن عدلين مساعدين للقضاة، ومن الناظر وهو القائم بشؤون المساجد. ويوجد بالمدينة شيخ *البلد* وهو رأس اعيانها له دور أخلاقي أكثر منه إداري. ويقع اختياره من بين الأعيان الدينيين أو الطرقيين.

ويسير *بيت المال*، وهي خزينة الجماعة ، *الوكيل*، ويجمع *بيت المال* المواريث بدون وارث. ويقدم بيت المال الاعانة للمعوزين و يسهر على الدفن والعناية بالمقابر.

ويتولى *البراح* ايصال الإعلانات و الأنباء...الخ.

أما قباضة المغارم فتُسيَّر من طرف اعوان تابعين *لقائد الدار* وهم : *قائد العشر* مكلف بتقدير المداخيل الجبائية من الأراضي الفلاحية، و*قائد الجبري* المكلف باستخلاص *الجبري* المفروض على أملاك البايلك، وقائد *عزيب البقر* وقائد *عزيب الجلب* المكلفان بجمع الغرامة على مواشي البقر والغنم.

ويسهر على الدفاع *الآغا* الذي يقود الحامية العسكرية المرابطة بقلعة القصبة. وهذه الحامية القارة مكونة من مجموعة انكشاريين ومجموعة صبايحية. وتقدم -عند اللزوم- القبائل مجموعات من الجنود الإضافيين تدعى *الدواير*، يقودها شيوخ القبائل ويسمى هؤلاء الإضافيون *المالكية*.

والمسؤولون السامون المدنيون والعسكريون من "قيِّاد" المصالح والقضاة والآغا وممثلي الاعيان الدينيين يكونون مجلسا، وهو الديوان. ويستشار الديوان ويُـمكَّن من الاطلاع على الاحداث المصيرية أو الحالات الاستثنائية. أما الأجانب المقيمون ببونة-عنابة فيسكنون منزلا مخصصا لهم، الفندق، ويهتم بهم *المحرك* نوع من ضابط شرطة مكلف بالأجانب.

التنظيــم داخــل السنــجاق

يعتمد المجتمع في البوادي على الهيكلة القبلية وتنظيمها المتميز. و يختلف وضع القبائل القانوني من قبيلة إلى اخرى.

فمنها قبائل *المخزن* المعمرة لجانب من الإدوغ وجهة البسباس. وهي عموما خليط من القبائل المختلفة الاصل. وتمد هذه القبائل السلطة فرق الخيالة مقابل اقطاع أراضي فلاحية لها.

وتحيط قبائل *الرعايا* بالمدينة مُشكِّلة حِزَاما؛ وهذه القبائل خاضعة لسلطة المدينة مباشرة.

وتقيم القبائل الحليفة بجبال مَجْرَدَة وجهة القالة.

وتسكن القبائل المستقلة بالإدوغ وجهة القالة وجبال بني صالح.

وأياًّ كان وضعها القانوني فكل مجموعة من هذه القبائل تنتمي إلى عرش يتفرع إلى بطون مكونة من دواوير.

ويرأس العرش القايد. ويعين من بين الشرفاء من طرف الباي على رأس قبائل المخزن والرعايا. أما بالنسبة للقبائل الحليفة والمستقلة، فوظيفة قايد وراثية بين اعيان عصبة قوية.

ويرأس فرعا من العرش الشيخ. ويتولى امور الدوار أحد اثريائه أو أسنّ القوم.

والقايد يرأس مجموع المشايخ. فله سلطة الشرطة ويفصل في الخلافات بين اعضاء القبيلة. كما يسهر على أمن الطرقات.

إذ كانت تقام على شبكة الطرقات مراكز مراقبة، ويسمى المركز منها *القناق*. وتعود مسؤولية هذه المراكز للمشايخ من أجل ضمان أمن المسافرين والقوافل. وفي نطاق أملاك العرش، يسهر القايد على التوزيع السنوي للأراضي الفلاحية. وهو الذي يجمع بعض المغارم. ويجند القايد الفرسان الذين يقودهم في حالة استنفار؛ وتسمى مجموعات الفرسان القبلية *الدواير*. ويستخدم قايد العرش مجموعة فرسان على الدوام و هي *دائرة المرازقية؛* و*الزمالة* هي مجموعة الفرسان الدائمة المستخدمة من طرف قايد قبيلة.

ويساعد القايد *طالب* يلتزم بالكتابة، و*باش مكاحلي* كمسؤول على الأمن.

*

** **

المؤسسة الصوفية

وهذه المؤسسة القائمة على التصوف تفرعت إلى *طرق* منذ العصور الوسطى وتضخمت في نهاية الدولة الموحدية، لتبلغ اوجها بين نهاية القرن الخامس عشر والقرن التاسع عشر. وكان تأثير الطرق الاجتماعي-الثقافي وحتى السياسي هامّا.

ويتكون تأطير هذه المؤسسة من اغلبية من رجال ونساء المنطقة. ومن حيث العقيدة فالطريقة قريبة من عموم السكان.كما أن المؤسسة التصوفية فوق الفروقات بين المدينة والريف وبين

مختلف المجموعات القبلية. فتغلغلها في المجتمع يجعلها أهم همزة وصل بين السلطة والسكان. وإضافة إلى هذا الدور يجدر ذكر دورالطرق في التعليم. وهذه الطرق القائمة على تعاليم عبد القادر الجيلاني أو على سلوكات صوفية مقتبسة منه، تجتذب روادها على السواء من بين طبقات العلماء ومن بين الطبقات الشعبية. فبونة-عنابة تعد مريدين من القادرية منتمين غالبا إلى النخبة، باتصال مع كبار أعلام التصوف الجزائري. كما عرفت المدينة ومنطقتها طرقا لها سلوكات متميزة مثل *العيساوة والشابية*.

ولا تزال بونة-عنابة ومنطقتها محتفظة بذكرى مشايخ متصوفين مثل عيسى الويشاوي وبلعيد والحطاب ومحمد ساسي البوني وابراهيم التومي وطراد الذيابي والدندان.

نبـــذة من الحيـــاة الفكريـــة

كان المسجد والزاوية منهل المعرفة ومركز اشعاع ثقافي أثناء هذه العصور. وتعتمد هذه المعرفة وهذه الثقافة على المواد التقليدية منها العلوم الدينية والتصوف والشعر والطب والحساب...الخ

فأيام الحماديين والحفصيين والدايات لم تكن بونة-عنابة ثغرا دفاعيا وسوقا تجارية فحسب بل عرفت حياة فكرية نشطة. وكانت بونة-عنابة مسقط رأس أو موطن التبني لقائمة طويلة من رجال المعرفة، منهم :

*** ابو مروان عبد الملك بن علي**

فهو اندلسي الأصل آنتصب ببونة في موقعها الجديد الذي اقيمت فيه في القرن الحادي عشر. وصنف خاصة شرحا على الموطأ لماللك بن انس. وتوفي ابو مروان سنة 506 هـ/1108م. ودفن بالمسجد الذي لايزال يحمل اسمه. وفاقت شهرته حدود المدينة وكذلك حدود البلاد.

*** ابو عبد الله محمد الهواري**

يبدو أنه أصيل البلاد. ومن الممكن أنه من أشياخ ابي مروان، فيكون معاصرا للقرن الخامس هجري/الحادي عشرم.

*** أحمد بن علي بن يوسف تقي الدين البوني**

ولد ببونة، وتخصص في علوم الأرقام والكيمياء وصنف العديد من الكتب وخاصة منها "كتاب شمس المعارف". توفي سنة 622 هـ/1225 م. بتونس أين دفن.

*** أبو عبد الله محمد بن ابراهيم التمتام**

عاش في القرن الثامن هجري/الرابع عشر م. متفقه في العلوم الدينية، وارتقى إلى درجة مستشار للسلطان المريني ابي الحسن بفاس.

*** ابو العباس بن فارح الضرير**

من معاصري القرن التاسع هجري/الخامس عشر م. وكان مؤرخا. كما تعاطى إلى الطب وكان مدرسا ومرجعا في علوم التصوف.

*** ابو الحسن علي بن فضلون البوني**

كان مؤرخا. وصنف كتابا في تاريخ بونة: " الكُلَل والحُلَل" (برفع الكاف). ويبدو أنه عاش بين نهاية القرن التاسع وبداية القرن العاشر هجري / الخامس عشر والسادس عشر م.

*** احمد بن قاسم بن محمد ساسي البوني**

ولد حوالي سنة 1055 هـ/1644م. وينتمي من جهة الاب إلى ذرية سيدي بلعيد، أحد اولياء المدينة وكان جده محمد ساسي

المتوفي سنة 1643 م. فقيهًا وشغل منصب الافتاء. ويرتبط نسبه من جهة الأم بالشيخ عيسى الويشاوي، أحد اعضاء طبقة علماء المدينة أثناء القرن السادس عشر م. فواصل أحمد بن قاسم تقليدا في الانتماء إلى علماء المدينة إلى الطرق الصوفية. وشاركت عائلته في مجموعة العلماء ومنشطي الطرق للضغط على الحكم من القرن السادس عشر إلى القـــرن الثامن عشر م. إذ قامت العائلة بدور الوساطة بين الحكم والسكان خاصة أثناء ازمتين تواجها فيهما.

وصنف أحمد بن قاسم حوالي 175 رسالة، نثرا وشعرا، في شتى المواضيع : الدين والتاريخ والرياضيات...الخ. وقعت وفاته بين 1721 و 1747م.

صورة بونة - عنابة
في كتب الرحالة والجغرافيين

بــونـــة فـــي الـــقـــرن الـــعـــاشـــــر م.

إن موقع بونة-عنابة على المسالك البرية والبحرية، نتيجة لمعطيات طبيعية وللأهمية التي بلغتها ابتداء من القرن العاشر م. مما كان له الأثر في الآهتمام بالمدينة في المؤلفات التي نشرها الجغرافيون والرحالة. فالأخبار التي تعلم بالمسالك والمعطيات البشرية والاقتصادية...، تساعد المقبل البسيط على السفر ،كما تساعد الدواوين الأجنبية التي تبحث عن استعلامات. وتمكن هذه الأخبار، اليوم، من تتبع تطور المدينة. وتقدم النصوص التالية صورة للمدينة من القرن العاشر إلى القرن الثامن عشر م.

*
** **

وابن حوقل، التاجر والرحالة، الذي دون ملاحظاته عن رحلته إلى بلدان المغرب بين 947 و951 م. يقدم هبون-بونة كما يلي:

[I] "ومدينة بونة مدينة مقتدرة ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة ومقدارها في رقعتها كالأُرْبُس. وهي على نحر البحر. ولها اسواق حسنة وتجارة مقصودة وارباح متوسطة. وفيها خصب ورخص موصوف، وفواكه وبساتين قريبة وأكثر فواكهها من باديتها والقمح بها والشعير في أكثر اوقاتها كما لا قدر له. وبها معادن حديد كثيرة ويحمل منه إلى الاقطار الغزير الكثير. ويزرع بها الكتان.

ولها عامل قائم بنفسه ومعه من البربر عسكر لا يزول كالرابطة. ومن تجارتها الغنم والصوف والماشية من الدواب و سائر الكراع، وبها العسل والخير والمير ما تزيد به على من داناها من البلاد المجاورة لها. وأكثر سوائمهم البقر ولهم اقليم واسع وبادية وحوزة بها نتاج كثير..."(1)

*
** **

ويروي المقدسي (المتوفي حوالي 375 هـ/988 م) الملاحظة التالية عن هبون-بونة في القرن العاشر م. قائلا:

[II] "وبونة بحرية مسورة، بها معدن حديد، شربهم من آبار"(2).

(1) ابن الحوقل، "*صورة الأرض*"؛ بيروت، ص 77.

(2) المقدسي، " *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم* "، نشر شارل بيلا، الجزائر 1950 . ص. 18

بونـــة في القـــرن الـــحـــادي عشـــر م.

والبكري، مؤلف اندلسي، يصف المدينة، اعتمادا على وثائق رسمية قائلا:

[III] "ومدينة بونة اولية وهي مدينة اوغشتين العالم بدين النصرانية. وهي على ساحل البحر في نشز من الأرض منيع مطل على مدينة سيبوس، وتسمى اليوم مدينة زاوي. وبينها وبين المدينة الحديثة نحو ثلاثة اميال. ولها مساجد واسواق وحمام. وهي ذات ثمر وزرع. وقد سورت بونة الحديثة بعد الخمسين واربعمائة. وفي بونة الحديثة بئر على ضفة البحر منقورة في حجر صلد يسمى بئر النثرة منها يشرب أكثر أهلها. وبغربي هذه المدينة ماء سائح يسقي بساتين وهو مستتـــزه حسن. ويطل على بونة جبل زغوغ وهو كثير الثلج و البرد (...)

ومدينة بونة برية بحرية كثيرة اللحم واللبن والحوت والعسل وأكثرلحمانهم البقر. إلا أنها يصح بها السودان ويسقم البيضان. وحول بونة قبائل كثيرة من البربر: مصمودة وأوربة وغيرهما. وأكثر تجارها اندلسيون. ومستخلص بونة غير جباية بيت المال عشرون ألف دينار"[1].

---

(1)البكري، *"المسالك و الممالك"*؛ ص. 54-55

صنف الشريف الادريسي، بأمر من روجار الثاني الصقلي، كتابا كبيرا في الجغرافيا الوصفية، *"كتاب نزهة المشتاق"*، حوالي 1154 م. ونورد من بين ما ذكره عن بونة-عنابة مايلي:

[IV] " فقرة 136... ومدينة بونة وسطة. ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة. ومقدار رقعتها كالاربس، وهي على نحر البحر. وكانت لها اسواق حسنة وتجارة مقصودة وارباح موجودة. وكان فيها كثير من الخشب، موجود جيد الصفة. ولها بساتين قليلة وشجر وبها أنواع من الفواكه ما يعم أهلها. وأكثر فواكهها من باديتها. (...) وبها معادن حديد جيد. ويزرع بأرضها الكتان. والعسل بها موجود ممكن. وكذلك السمن. وأكثر سوائمهم البقر. ولها أقاليم وأرض واسعة، تغلبت العرب عليها. وافتتحت بونة على يدي أحد رجال الملك المعظم رجار في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة [1153م.]. و هي الآن في ضعف وقلة عمارة. وبها عامل من قبل الملك المعظم رجار من آل حماد[1].

*

** **

---

(1) الادريسي، *"المغرب العربي"* من *"كتاب نزهة المشتاق"*، من تحقيق محمد حاج صادق؛ الجزائر 1983؛ ص. 154-155

ويقدم لنا مؤلف *"كتاب الاستبصار"* المجهول المدينة. أثناء النصف الثاني من القرن الثاني عشر قائلا:

[V] "وبونة مدينة أزلية يعود بناؤها إلى العهد القديم وبها أطلال كثيرة. وقد بنيت على نشز من الأرض يطل على البحر الذي تلطم أمواجه أسوارها. وهي من أجمل المدن. يكثر فيها اللبن واللحم والعسل والسمك. يُوجد على شاطئها بئر منقورة في الحجر الصلد وماؤها من اعذب المياه ومن اصحها وأكثر سكانها يشربون منها. وبغربي المدينة مياه سائلة تستعمل لسقي البساتين والأرض. وتوجد البساتين بموضع مشرف على البحر وهو منتزه جميل. وجبل الإدوغ المطل على المدينة كثيرا ما يغطيه الثلج والبرد به شديد، ومن أعجب الأمور أنه يوجد هناك مسجد لا يسقط الثلج عليه وتبدو كأنها نقطة سوداء وسط الجبل الأبيض.

"وبغربي بونة بحيرة قطرها عشرة اميال تقريبا بها سمك كثير ومطلوب. ويعيش هناك طائر يسمى الكيكل يسكن على سطح الماء أين يضع بيضه، وعندما ينتبه إلى أن بشرا أو حيوانا يقصد صيده ياخذ الطائر بواسطة كراعه عشه وصغاره إلى قلب البحيرة أين يكون في مأمن. وهو طائر جميل معروف في مصر باسم خواص، وجلده الأملس والجميل يستعمل في مصر كفرو يباع بثمن غالي. ويدعى مرسى بونة مرسى الازقاق وهو من أشهر الموانئ. أمـــا بونة نفسها فتوجـــد على خليج يسمى

جون الازقاق أين الملاحة صعبة..."[1]

ويذكر ابن سعيد المغربي في *"كتاب الجغرافيا"*؛ ص. 142-143، إن بونة:" اول سلطنة [الحفصيين] على البحر..."

*
** **

وبالنسبة للقرن الرابع عشر م. يذكر ابن فضل الله العمري بونة من بين كبريات مدن افريقيا الحفصية، تحت إسم "مدينة العناب"، في كتابه *"مسالك الابصار في ممالك الامصار"*.

(1) أعيد تعريب النص عن ترجمة فانيان" *لكتاب الاستبصار*"؛ ص 30 و31

بونـــة-عنابـــة في القـــرن الخـــامـــس عشـــر و بدايـــة القـــرن الســـادس عشـــرم.

ويروي الإيطالي "ادورنو" في وصف رحلته عبر بلاد الحفصيين خلال سنة 1470 قائلا:

"وعلى مسافة إثنين وعشرين ميلا [من بجاية] توجد قلعة ومدينة تسمى بونة".

*

** **

بيد أنه بالنسبة لهذه الفترة فحسن الوزان (ليون الافريقي) الذي عاش بين 1490 و 1550، يقدم وصفا أشمل للمدينة في بداية القرن السادس عشر م.:

[VI] "وبونة مدينة اولية أنشأها الرومان على نحر البحر الأبيض المتوسط، على مسافة حوالي مائة وعشرين ميلا [شرقي قسنطينة]. وكانت تسمى في التاريخ القديم هبو. وكان القديس أوغستين اسقفا بها. وتغلب عليها الغوط، ثم فتحها عثمان ثالث خليفة بعد محمد (...).

واحدثت فيما بعد مدينة اخرى، تبعد عن السابقة بحوالي ميلين. وشيدت بحجارة المدينة القديمة. ويسمي أكثر الناس هذه المدينة الحديثة بلد العناب لكثرة هذه الثمار في هذا الموضع. ويجفف الناس العناب ويأكلونه في الشتاء.

"وتعد المدينة ثلاثة آلاف بيت، والسكان كثيرو الكثافة غير أن الديار الجميلة قليلة. ويوجد بالمدينة مسجد جميل مبني على نحر البحر. والرجال بها ضرفاء. منهم التجار والآخرون صناع أو نساجون وهؤلاء الاخيرون يبيعون قسطا وافرا من أقمشتهم في مدن نوميديا (...). ولا توجد عيون ماء ببونة ولكن صهاريج مياه المطر وترى بالجانب [الشمالي] من المدينة قلعة كبيرة تحيط بها جدران سميكة، وقد شيدها ملوك تونس، ويقيم العامل بالقلعة. وخارج المدينة زرعت البادية على مساحة اربعين ميلا طولا وخمسة وعشرين ميلا عرضا. وهي أرض جيدة لزراعة القمح تقطنها قبيلة عربية تسمى مرداس التي تفلحها وتملك القبيلة بقرا وأغناما عديدة؛ ويمير هذا البقر من الزبدة قدرا كبيرا حتى أن العرب عند بيعه.ببونة لا يربحون من الدراهم إلا القليل. وكذلك الأمر بالنسبة للقمح. وتأتي البواخر العديدة كل سنة من تونس وجربة ومن جميع الساحل وأيضا من جنوة لشراء القمح والزبدة من بونة: وكانوا يُستقبلون بطيبة قلب. ويقام السوق كل يوم جمعة خارج المدينة قرب السور ويستمر إلى المساء. وغير بعيد عن بونة يوجد شاطئ به المرجان. وليس لأحد الحق في اصطياده في البحر أو جمعه على الساحل، لأن الملك [الحفصي] اجر هذا الشاطئ للجنويين الذين طلبوا منه رخصة بناء قلعة به لأن القراصنة ازعجوهم. و لم يرض السكان متعللين أنه في مرة سابقة استحوذ

الجنويون على المدينة ونهبوها باستعمالهم نفس الحيلة. وقد استرجع أحد ملوك تونس القلعة فيما بعد"[1].

*

** **

(1) J.- L. L'Africain *"Description de l'Afrique "*; trad. Epaulard; T. II; p. 370-371

بونـــة – عنابـــة في النصـــف الثـــاني
من القـــرن الســـادس عشـــر م.

عاش مرمول كربخال، من جنود الإمبراطور "شارل كان" (Charles Quint) وجواسيسه، عشرين سنة بالبلدان المغاربية، منها سبع سنوات أسيرا. والملاحظات التي اوردها عن بونة–عنابة تعود إلى الفترة مابين 1540 و 1570.

[VII] "...، يسميها العرب موضع العناب، لوفرة هذه الثمار بها... ويسميها المسيحيون بون [أي الحسنة] بحق، لأنه أحسن وأخصبَ موطن في بلاد البربر، أين الهواء أصح. وهي مسورة ولها باب البحر، والاخر باب القصر الذي يبعد عنها مسافة نصف رمية رمح. وهو مقام على تل يشرف على المدينة وقد شيده ملوك تونس منذ عهد قريب، لإقامة العامل والحامية. فقبل آحتلال "شارل كان" لهذه المدينة وقبل حلول خير الدين بها، كان أهل المدينة في حد كبير من الثراء والكبرياء، إلا أنهم كانوا غالبا ما يقتلون الولاة ويهددون بتسليم المدينة للمسيحيين، إن لم يرسل قِبَلَهم ذوي الشرف. وقد أُتْقِن بناء المساكن بهذه المدينة. وبها مسجد تحاذيه مدرسة أين تدرّس شريعة محمد. ولا يوجد بها ولا بالقصر آبار ولا عيون بل صهاريج كبيرة تتجمع فيها مياه الأمطار الجارية من فوق سقوف المنازل، وهي سقوف على شكل سطحة يكسوها فراش

من الجير والتراب والإسمنت. وفي أسفل القصر، نحو الجنوب، هناك بساتين جميلة وديار نزهة ورياض عديدة بها أشجار ذات الثمار الجميلة. ولبونة ميناء صغير غير محمي من الريح تتجر فيه البواخر بالجلد والصوف والزبدة والتمور وسلع عديدة اخرى تزخر بها البلاد.

"وهناك سهول (البحيرة) طولها أربعة عشر ميلا وعرضها ثمانية، تسوح فيها جماعات كبيرة من البربر منهم الشاوية وبنو مرداس وبنو جريد وبنو عدوان وبنو منصور يعيشون في الدواوير مثل العرب وهم اغنياء بالقمح والخيول والأبقار، يتوجهون كل يوم جمعة إلى سوق تقام بأبواب المدينة يؤُمُّها تجار تونس وجربة وطرابلس وحتى تجار جنوة لأن الأرباح بها وافرة. وشمالي المدينة شاطئ مقوس يصطاد فيه المرجان، اعتاد ملوك تونس ايجار هذا الصيد للجنويين الذين، عندما راوا القراصنة يهاجمونهم، تحصلوا من الملك على رخصة بناء قلعة على صخرة. وعارض السكان وبينوا للأمير أن المسيحيين انقضوا فيما مضى على بونة باستعمال نفس الحيلة ولم يصل الجنويون إلى مقصدهم آنذاك. ولكنهم تحصلوا عليه فيما بعد. وبجنوبي وغربي المدينة ترتفع الجبال المريحة والبهيجة متصلة بجبال قسنطينة، تكثر فيها العيون والفواكه وجميع أنواع الصيد.

وغــربي المدينة ترتفع روابـــي طويلة خصبة بالقمح (...).

وتمتد هذه الروابي من الشرق إلى الغرب مسافة ثمانية وعشرين ميلا على عشرة اميال عرضا، ليس بها مدينة ولا قرية، ويسوح في ارجائها العرب والبربر. وبها عدة عيون يتولد منها بعض الوديان التي تجري عبر البلاد وتصب في البحر. وعندما استولى خير الدين على تونس استولى على بونة أيضا ووضع في قصرها حامية يقودها تركي. ولما استولى "شارل كان" على تونس (سنة 1535) بعث أيضا "باندريا دوريا" [Andrea Doria] على رأس ثلاثين سفينة و ألفين من رجال الحرب للاستيلاء على بونة. و لكنه وجد أنها اخليت من سكانها الذين تركوها اتباعا لأمر خير الدين. فمنهم من تركها بحرا و منهم برا فرجع "اندريا دوريا" إلى حلق الوادي بعد أن استولى على البعض من السفن الراسية، بدون ترك حامية بالمدينة ولا بالقصر. ولما اخذ الإمبراطور طريقه إلى إيطاليا أمر البحرية الحربية المتوجهة إلى إسبانيا أن تترك حامية ببونة عند مرورها. وكان ذلك. واول وال هو" الفار غوميز زغل " [Alvar Gomez Zagal] (...) وبعد موت هذا الوالي أمر الإمبراطور بالتخلّي عن هذا الثغر بعد قعر السور وتخريب بروج المدينة والقصر. ولكن رممت المدينة والقصر وبروجها لطيبة البلاد. ولما لم يستطع ملوك تونس المحافظة على هذه القاعدة استولى عليها الاتراك فعمروها بشرا و حصنوها"[1].

---

(1) Marmol, *"L'Afrique"*; Paris. 1667; T. II, p. 434-437

بونـــة – عنابـــة في القــرن الثامـــن عشـــر م.

كان "طوماس شو" (Thomas Shaw) قسا انغليكانيا قائما على أمور دينه بمدينة الجزائر، ابان القرن الثامن عشر. واثر جولته ببلادنا سجل ملاحظاته في كتاب صدر سنة 1738، منها المقطع الموالي المتعلق بمدينتنا:

[VIII] "و رأس الحمراء، المسمى عاديا في خرائطنا "مانا" قد يكون نشز "هبّي" كما ذكره "بطليموس". وهو امتداد ملحوظ للأرض [في البحر]، به آثار مَبْنِيَيْنِ. وفي الاتجاه الجنوبي الشرقي، يوجد مرسى البربر، ويسميه الاوروبيون مرسى الجنويين أين كان المالطيون وغيرهم من القراصنة الإطاليين ينصبون الكمائن للسطو على الجزائريين،.قبل أن يشيد هؤلاء قلعة. ويشكل نشز"ستوبوروم" الذي ذكره "بطليموس" المقدمة الجنوبية لهذا الخليج.

وعلى بعد ثلاثة أرباع الميل من رأس الحمراء، شيد الجزائريون على قمة ربوة قلعة ترابط بها حامية من ثلاث سرايا للمشاة. وعلى المنحدر الجنوبي الشرقي لهذه الربوة شيدت مدينة بونة التي يسميها أهلها "بلد العناب" لكثرة هذا الثمر الذي يــُجــْنـــَى في احوازها. وكلمة بونة من الراجح أنها تحريف لكلمة "هبو" أو "هبونة" (...).

ويعلمنا " ليون الافريقي" أن "بلد العناب" وقع بناؤها بحجارة آثار [هبون]؛ وباستثناء شارعين أو ثلاثة جُهِّزت بالحجارة على الطريقة الرومانية، فليس هناك ما يمكن أن يكون إلا من عمل المسلمين. فبونة كما تبدو اليوم قائمة على موقع "الافروديزيوم" الذي ذكره "بطليموس" والذي وضعه على الخط 15 ثانية شمال "هبو"...

وشرقي بونة يوجد خليج واسع. ووجد قديما عند جدرانها جنوبا ميناء صغير سهل جدا ولكنه اليوم يكاد يغمر نتيجة لما رمته المراكب من اثقالها في البحر. كما أُغفل تنظيف الخليج الذي أصبح غير مأمون. وبالرغم من هذه العوائق يُصَدّر من هذا المرسى الكثير من القمح والصوف والجلود والشمع...الخ، ومن اليسير الجعل منه المرسى الأكثر ازدهارا ببلاد البربر.

ومن الممكن أن تصير بونة نفسها مدينة لطيفة جدا لو مدت بالمياه العذبة ورمم خرابها.

ويذكر ابو الفداء أنها ثغر افريقيا (...).

وينبسط بين "بلد العناب" و"هبون" سهل مستنقع واسع تركه البحر[بعد غوره] وأين وجد في الماضي مرسى "هبو". وينساب وادي بوجيمة، الذي تعبره قنطرة رومانية طوال هذا المستنقع. ويتركب الواد من رفود وادي الذهب وعدد من السيول المنحدرة من جبل إدوغ وبعض الجبال الاخرى، وكثيرا ما يغمر وادي

بوجيمة ضفافه. ومن الممكن أن العدد الكبير من عروق وجذوع الشجر التي جرتها مختلف مجاري المياه ساعد على بناء السهل المذكور أعلاه.

ووادي سيبوس وإسمه قديما "آرموا" الذي ينصب في البحر بالقرب من بونة مثل بوجيمة، يجر مثله الكثير من الخشب (...).

وتضجع آثار "هبو" القديمة على رقعة من الأرض واقعة بين هذين الواديين. ولا تشمل اليوم هذه الآثار إلا بعض أجزاء من الجدران أو بضعة صهاريج مندثرة على مساحة دائرتها نصف ميل. وفي جوار هذه الآثار يعرض الأهالي للعيان موضع وآثار دير القديس أوغستين الذي كان أسقف " هبو". وكانت المدينة تسمى "هبو-ريجيوس" لا لتمييزها عن "هبو-زارتوس" فحسب، بل لأنها كانت. قديما أحد المدن الملكية لنوميديا. فيخبرنا "سيليوس ايطاليكوس" أنها كانت أحد الإقامات المفضلة عند الملوك النوميديين. وإذا كانت مدينة حرب قوية، سهلة الموقع من حيث التجارة ومن حيث الصيد وامكانية مختلف الترفيهات، تنعم بمناخ سليم وبالإشراف على البحر وبمرسى فسيح، تحيط بها السهول المسقية والجبال المكسوة أشجارا، قد استقطبت اهتمام الملوك النوميديين [فهذه المدينة] هي "هبو" التي جمعت كل هذه الميزات"[1].

---

(1)Th. Shaw, " *Voyage dans la régence d'Alger* " ; Tunis 1980; p. 337-340

التاريخ الاقتصادي والعلاقات الدولية من القرن العاشر إلى بداية القرن التاسع عشر

التاريـــخ الاقتصـــادي

من القرن العاشر إلى القرن الثامن عشر م.

لا تعدو الاسطر التالية على أكثر من معطيات عامة حول الاقتصاد أثناء القرون الوسطى والعصر الحديث، إذ تفتقد الدراسة إلى عنصر هام وهي الإحصاءات الاقتصادية. بيد أن الشهادات والوصف الواردة في الجزء السابق تمكن من رسم لوحة للحياة المادية ببونة-عنابة وجهتها من القرن العاشر إلى القرن الثامن عشر م.

المــــواصــــلات

في حين كانت هبون أثناء التاريخ القديم محطة رئيسية في شبكة الطرقات في اتجاه قرطاج شرقا وقرطة غربا وثاغست وتافستة جنوبا، فلا تذكر المصادر استمرارية وجود هذه الشبكة عند بداية القرون الوسطى. وربما يعود ذلك إلى كون جهة بونة-عنابة لم تكن تقوم بدور هام في العلاقات الجهوية آنذاك و خاصة منها العلاقات التجارية. فعند تحليل وضعية المسالك الموصوفة في النصوص الجغرافية الوسيطة، لا تبرز إلا أهمية شبكة الطرق البرية التي تربط القيروان بقسنطينة وسطيف أو المسيلة و هي شبكة قائمة على بعد حوالي خمسين كلم جنوب بونة، من القرن التاسع إلى القرن الحادي عشر م.

ولم تقحم خريطة الطرق الوسيطة بونة-عنابة في شبكة المسالك إلا ابتداء من القرن الحادي عشر م. فأصبح الطريق الداخلي المتجه إلى قسنطينة والمسيلة يمر ببونة، وكذلك الطريق الساحلي المتجه إلى جيجل وبجاية. إذ اكتست المدينة آنذاك أهمية سياسية واستراتيجية و اقتصادية.

وتقدم بونة-عنابة وساحلها مجموعة من المراسي والارصفة الممتدة من رأس الحمراء إلى المدينة والتي تمكن من استقبال مختلف أنواع السفن.

النشاطات و المنتوجات

بونة-عنابة وإقليمها اللذان كانا جزء من نوميديا العتيقة واللذان عرفا العمران والاستقرار البشري منذ القدم، يعودان من جديد إلى النمو الاقتصادي بعد فترة من الانحطاط دامت من نهاية القرن السادس إلى القرن التاسع م. وهي فترة عاشت مجموعة من التقلبات والنزاعات، ومن الراجح كذلك أن الجهة عرفت عجزا ديمغرافيا هاما. فلم يستعد النشاط الاقتصادي حيويته إلا حوالي منتصف القرن العاشر م.

وتمثل الفلاحة النشاط الأساسي. فالنصوص المروية في الجزء الرابع تؤكد استمراريته. وتأتي الحبوب من قمح وشعير في مقدمة الإنتاج الفلاحي. كما يزرع الكتان، ومن الراجح أنه ابتداء من القرن السابع عشر م. ظهرت فلاحة التبغ. وتؤكد المصادر

على وفرة انتاج اللحم والحليب والزبدة مما يدل على أهمية تربية المواشي وخاصة منها الأبقار. ومن بين ما تنتجه تربية الغنم الصوف وهي أساس نشاط الحرفيين واحدى المواد المصدرة.
ورغم النزاعات التي مست المنطقة، خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر م.، فإن حسن الوزان (ليون الافريقي) عند وصفه لجهة بونة-عنابة يدقق المساحة الفلاحية القائمة حول بونة-عنابة ذاكرا أنها تتربع طولا على اربعين ميلا وعرضا على خمسة وعشرين ميلا وتنتج قمحا من النوع الجيد. وتمون فلاحة الأشجار المثمرة السوق، فمنها أشجار البرتقال والتفاح والعناب...الخ وانتشرت غابة الزيتون انتشارا ملحوظا، إذ غرس مصطفى قردناش، وهو مهاجر اندلسي، ثلاثين ألفا من شجر الزيتون في إقليم بونة-عنابة. كما أخذت الغابة بنصيبها في هذه المنتوجات بتقديم الحطب الصالح لصناعة السفن خاصة. وأخيرا تنتج الجهة كميات وافرة من العسل والشمع.

ويقدم البحر السمك والمرجان. وكان الجنويون خاصة يستغلون المرجان وعلى الأخص المرجان الأبيض المقبل عليه اقبالا كبيرا في السوق العالمية. ويقوم نشاط جمع المرجان على طول الساحل حتى القالة.

وتملك الجهة مواداً معدنية اولية منها النحاس والحديد. ويستخرج النحاس من جبال الإدوغ بعين بربر، ويستخرج الحديد من مقطع الحديد، ومن تلال بوحمرة ومن منطقة عين أم الرخاء ومن منطقة وادي معبوجة (الحجار). ولم تكن الصناعة والصنائع

غائبة إذ يبدو أن صناعة النسيج كانت مزدهرة، على الأقل أثناء القرنين السادس عشر والسابع عشر، إذ يؤكد ليون الافريقي على نوعية النسيج الصوفي، فمن بين ما كان يصنع "أقمشة الصوف المسماة :قسنطيني، والبرانيس، والزرابي، والسروج...الخ".

وللمرسى ديار صناعة وإصلاح السفن. وورد ذكر دار صناعة منذ القرن العاشر م. خاصة بمرسى الخرز (القالة). وتواصل هذا النشاط إلى القرن الثامن عشر م. على الأقل مع تطور الأسطول البحري لمواجهة القرصنة.

وكانت بونة-عنابة سوق كامل الجهة. وزيادة على الحي التجاري المكون من مختلف الاسواق المختصة داخل المدينة، يعقد خارج المدينة كل جمعة سوق مفتوح لأهل البلاد والأجانب على السواء، ويبلغ الوافدون إلى سوق الجمعة في بعض الأحيان 6000 شخص. ويصدر الميناء القمح والزبدة والجلود والصوف إلى تونس وجربة وجنوة...الخ.

ومختلف هذه النشاطات خاصة منها الداخلية، عرفت فترات مد وفترات جزر؛ فكانت فترات الآزدهار من القرن الثاني عشر إلى القرن الرابع عشر ومن القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشرم. ثم دب التداعي ابتداء من القرن الثامن عشر ليبلغ حده الادنى بداية من القرن التاسع عشر م.؛ والتطور الديمغرافي من الادلة على ذلك[1].

---

(1)أنظر فصل *"السكان و المجتمع من القرن السادس عشر إلى القرن*

وانطلاقا من القرن الحادي عشر م. بونة-عنابة، التي انتقلت إلى موقع دفاعي، تعرضت إلى الضربات المضادة الناتجة عن النزاعات القائمة من أجل السيطرة على البحر الأبيض المتوسط. إذ هاجم المدينة تكتل نظمته بيزا وجنوة الإيطاليتين وبروفنسا الفرنسية سنة 1034. وبعد مضي قرن، سنة 1134، قامت بيزا وبروفنسا بهجوم جديد على المدينة. واحتل بونة، سنة 1153، جيش ملك صقلية رجار الثاني. وبعد مضي فترة من السلام تروي المصادر وقوع هجوم جديد قامت به فلنسيا وميورقة الإسبانيتان من 27 أوت إلى الثاني من سبتمبر 1399، و باء الهجوم بفشل ذريع.

بيد أن النزاعات المسلحة لم تمنع الرجوع إلى علاقات سلمية قائمة على التبادل التجاري. فقبلت الجمهوريات التجارية الإيطالية بالأخص إقامة معاهدات تجارية وقنصلية.

فبقايا السكان الاصليين المسيحيين المقيمين، المضاف إليهم جملة من التجار الاوروبيين الوافدين من أجل التعامل والتجارة مع بونة، كونوا على مايبدو جالية مسيحية معتبرة ونتج عن ذلك أن عين البابا "غريغوار" السابع سنة 1076 الأسقف "سرفاند". وحينئذ انطلقت فترة طويلة تخللها عقد المعاهدات واعادة عقدها.

وكانت جمهورية جنوة من الاوائل في المفاوضة من أجل الحصول سنة 1155 على امتيازات لصالح التجار والصيادين الجنويين في الموانئ ومنها مرسى بونة. وفي سنة 1160 فتح عبد المؤمن بن علي بموجب معاهدة، "الموانئ ومنها بونة" أمام التجارة والصيادة الجنويتين. وفي سنة 1166، تحصل البيزانيون على نفس الامتياز. وفي سنة 1186 كان دور الصقليين في ذلك. وجددت المعاهدة مع بيزا يوم 11 أوت 1204 لمدة عشرين سنة. ومرسيليا التي سبق لها أن ربطت علاقات مع السلطة منذ 1138، امضت، سنة 1270 ، معاهدة مع ابي عبد الله المستنصر الحفصي. وجددت معاهدة 1204 الحفصية البيزانية سنة 1234. وامضت جمهورية البندقية، سنة 1231، معاهدة مماثلة مع الحفصيين للتعاطي إلى التجارة مع المراسي الافريقانية ومنها بونة-عنابة. كما جدد امضاء المعاهدة التجارية.مع جمهورية جنوة سنة 1268. واقتفى الاراغون نفس الطريق مفضلا السلام، مؤقتا، فأمضى معاهدة سنة 1271 مع الأمير الحفصي ابي عبد الله المستنصر، وتفتح هذه المعاهدة مرسى بونة-عنابة في وجه التجار الاراغونيين. ويوم 14 سبتمبر 1313 أمضي اتفاق جديد بين بيزا والسلطان ابي يحيى زكرياء يقضي بتأسيس مقر بيزاني ببونة-عنابة. كما أمضى ملك فرنسا فيليب الثاني (1360-1404) بإسم تجار مرسيليا معاهدة تجارية لمدة 15 سنة.

وتنظم مختلف هذه المعاهدات الحركة التجارية للمتعاملين الإيطاليين والفرنسيين كما تحدد إقامة الرعايا الأجانب في الفنادق. فتقضي معاهدة 11 أوت 1204 الممضاة مع بيزا، في مادتيها 20 و21 مايلي :

20/"فندق بونة: يقام أيضا فندق ببونة أين لا يقبل أو يؤوى إلا الأشخاص الذين ترخصون لهم ذلك".

21/ "في العادات المماثلة التي يجري بها العمل بتونس: وتتبع و تحترم في بونة نفس العادات الجاري بها العمل بتونس".

وتدقق المعاهدة الحفصية-البيزانية الممضاة يوم 14 سبتمبر 1313 مايلي:

"ويُنْشَؤُ كذلك ببونة (...) فندق مخصص لهم [أي البيزانيين] لا يستقبل فيه أي مسيحي آخر.

ويجب اتباع نفس العادة المتبعة بتونس مثل ماهو الشأن بقابس وصفاقس و طرابلس."

فذكر هذه المنشات في مختلف المعاهدات يؤكد أن مرسى بونة-عنابة كان من بين المواقع المينائية للشرق المغاربي التي تربطها علاقات تجارية وصيد بحري بالجمهوريات الإيطالية وبجنوب فرنسا.

فالدول الاوروبية التي كانت حاجتها الأساسية المواد الاولية، تضمن تموينها منها بتجديد المعاهدات التجارية، وأكثر من ذلك

تحصل الجنويون على بناء حصن في موقع مرسى ابن الالبيري سنة 1401، بحجة الوقاية من غزوات منافسيهم المتوسطيين.

وتتناول التجارة على الخصوص المواد الاولية ومنتوجات الأرض. فتأتي السفن لشراء الصوف "بأقل ثمن وهي تساوي على الاقل في ميزتها أصواف إسبانيا وفرنسا والولايات الرومانية". كما تشتري الشب والزيت والجلود والشمع والفواكه الجافة والسمن...الخ ويبيع التجار الأجانب الذهب والأواني الحديدية والتوابل الشرقية. وينطلق هكذا نظام *"الكابتولاسيون"* (Capitulations)، (وهو النظام الذي يُوضَعُ بموجبه الرعايا المسيحيون حتما تحت حماية الدول الاوروبية الكبرى)، وهو النظام الذي سيسيطر فيما بعد. فانطلقت بذلك المبادلات الاقتصادية ذات الطابع الآستعماري.

النزاعــات والمعاهــدات

أثنـــاء العصـــر الحديـــث

إن التقلبات المتتالية التي عرفتها بونة-عنابة لم تساعدها على التقدم وخاصة مواجهة الأمم الاوروبية المتوسطية التي اغتنمت هذا الوضع لتعزيز تنظيمها وترسيخ غلبتها في ميدان الملاحة والتجارة. إذ منذ نهاية القرن الثالث عشر م. سجلت الحركة التجارية الاوروبية تقدم اقتصادها الإنتاجي والتوزيعي للمواد الآستهلاكية ونتيجته التقدم التكنولوجي خاصة في مجال النقل البحري.

ولكن أمام هذا الوضع، فإن دول شمال افريقيا لم تكن تقوى على التعايش متوازنة: فتنازع الحفصيون والمرينيون على الأخص حتى الاستنـــزاف في السباق إلى الهيمنة. وتسجل نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر م. الآنسحاب السياسي الكلي لشمال افريقيا أمام الدول المتوسطية ومنها إسبانيا شارل الخامس (شارل كان Charles Quint).

*

** **

غــزوة شـــارل كان

وعند اعتلاء "شارل كان" العرش، عادت بونة-عنابة إلى الحرب. إذ حاولت إسبانيا فرض الوصاية على الحفصيين.

وبادر "شارل كان" بالتدخل وافتك تونس يوم 21 جويلية سنة 1535 فتوارى خير الدين إلى بونة-عنابة. فارسل "شارل كان" القبطان الجنوي آدم إلى بونة-عنابة. ولكن تراجع هذا الأخير إلى تونس أمام أسطول خير الدين، فكلف شارل كان "الماركيس دي موندخار" (Marquis de Mondejar) "طبقا للمعاهدة المبرمة مع ملك تونس"، أن يحتل بونة-عنابة بالاستيلاء على *"قلعة القصبة"*. "وسَيُبْقي الماركيس داخل القلعة 600 جندي راجل من الإسبان ويعين القبطان دون الفار غوميز الزغل عاملا عليها..".

وعند وصوله يوم 23 أوت 1535 ارسى الأسطول الإسباني على شاطئ *"القطارة"*: "ومكث الإسبان ببونة مدة إثني عشر أو ثلاثة عشر يوما. وقضّوا كامل الوقت في النهب الشامل. فقلعوا حتى صفائح المرمر من جدران المنازل ونهبوا كل ما استعمل في البلاد من كبار الارحية وصغارها. أما الامتعة الكثيرة الثقل والواسعة الحجم فقد كسرت حتى يلتقط حديدها. وحملت الصناديق على البواخر. كما قُلِعَت الأبواب والنوافذ. أما السور، من الجانب البحري، ففتحت فيه ثغرات"[1].

---

(1) Maitrot, " *Bône militaire* "; p.70

وعقب هذا الفعل بارح الماركيس "دي مندخار" المدينة تاركا بها فرقتين بقلعة القصبة وعلى رأسها "دون الفار" وبالمدينة فرقة "روذريغ دي افلوس" (Rodrigo d' Avalos). غير أن الماركيس يعتبر في تقريره إلى الإمبراطور "شارل كان" وجوب آحتلال أكثر قوة :

"إتضح لي بعد تفحص وضعية المدينة والقلعة أنه يجب آحتلالهما معا مؤقتا لأنه يصعب إغاثة وتموين حامية القلعة في حالة سيطرة الماوريين على المدينة ".

ويطلب الماركيس ميزانية لتنظيم الآحتلال الإسباني: "سآحتفظ بالمدينة، إلى أن تعلمني جلالتكم بما يجب أن أقوم به.. ويقال إنّ خير الدين قد اعجب بهذه القاعدة وهو على صواب، لأنها تجمع مزايا جمة جدا تلائم آسمها. فهي حسنة الارتكاز على أرض سهلة. ومرساها محمي من الرياح وهناك واديان يسقيان مساحة واسعة من الأراضي الزراعية التي لا تقل خصبا عن ريف قرطبة. كما يوجد متسع تحتله بساتين بقرب المدينة، وبالجبل مراعي جيدة للبقر على الجوانب المطلة على البحر.

" كما توجد أيضا مراعي جميلة في بعض المضيقات الجبلية (...) ويرعى العرب أنعامهم حول المدينة أثناء الصيف ويسوقونها إلى السهل أثناء الشتاء. وأخيرا كامل المنطقة الجبلية كثيرة الصيد فيوجد بها الأسود والضرابين، والدببة والخنازير والأرانب والحجل

وتكثر الخنازير خاصة (...) وقد علمت جلالتكم أن الوادي الرئيسي في وسعه استقبال العدد الكبير من الشواني التي تستطيع قضاء الشتاء هناك عند مدخل البحر في طمانينة تامة. وقد تأكدنا من ذلك أخيرا بمكوث الأسطول هناك. ويزخر الواديان بالسمك حتى أنه يقتل ضربا بالعصي"[1].

وعند إثارته لاحتمال آستعمار آستيطاني، يقترح "دي مندخار" مايلي قائلا:

" ويمكن القيام بشيئ آخر وذلك بتاهيل بونة من جديد بجلب اليونانيين أو الآرناؤوط (اللاجئين بجنوب إيطاليا بعد وفات ملكهم اسكندر باي سنة 1467): وبالاستعانة بمائتين من الفرسان منهم نكون أسياد جزء عظيم من البادية (...) والقلعة وعندما تكون الاولى والثانية آهلة بالمسيحيين، يسهل تربية مواشي كثيرة ..."[2].

لكن شارل كان يفضل اتباع سياسة اخرى، فيأمر في رده:

"حتى يحفظ أمن الحامية المذكورة، و حتى لا تتعرض لأي سوء من طرف سكان المدينة الماوريين، بلغوا الأمر بتهديم السور رأسا على عقب بما في ذلك الأبراج التي تصل القلعة بالمدينة (...) وليكن من الواضح أن لن تردوا مدينة بونة للماوريين إلا بعد تهديم السور (...) وإذا كاتبكم ملك تونس أو حدثكم عامله الذي عينه

---

(1) المصدر السابق، ص. 83-84

(2) المصدر السابق، ص. 85

حول الموضوع، يجب عليكم التصرف بحذر وإجابتهم أنكم تردون المدينة عن قريب بعد نقل الأسلحة والمؤونة التي بقيت بعيدة إلى القلعة"[1].

وينهي "شارل كان" رسالته بالأوامر التالية :

"حرم على جميع بواخرنا التجارية أو غيرها (...) أن تتعاطى التجارة مع الجزائر أو مع أي مرسى يملكه الاتراك. ولا يسمح لها إلا الآتجار في وهران وبجاية وبونة وحلق الوادي، وهي مدن نملكها. فهذه مراسي موجودة في أقاليم جميلة جدا وموافقة لنشاط التجار"[2].

وهكذا فإن الإمبراطورية المقدسة الرومانية الألمانية وعلى رأسها إسبانيا تفضل الآحتلال المحدود، لأن امكانياتها لا تبدوا كافية لمواجهة مقاومة محتملة، خاصة أن الأسطول العثماني أصبح قويا في البحر الأبيض المتوسط. وتعرضت الحامية الإسبانية في بونة-عنابة للحصار والمقاومة الشعبية، الأمر الذي جعلها تغرق- بعد خمس سنوات-في الفوضى والجنون، إلى حد أن "شارل كان" أمر باجلاء بونة-عنابة سنة 1540، لأن الدولة الجديدة التي آنتصبت بمدينة الجزائر حالت دون آحتلال إسبانيا للجزائر. وهكذا أدمجت بونة-عنابة في المجال الترابي للدولـــة الجـــزائرية الجديدة

---

(1) المرجع السابق، ص. 88-89

(2) المرجع السابق، ص. 93

التي نشأت حديثا.

*
** **

السياســـة التوسعيـــة لفيليب الثانـــي ملك إسبانيـــا

فإسبانيا "فيليب الثاني"، استمرارا لسياستها التوسعية في غرب البحر الأبيض المتوسط، انطلقت في غزوة ضد بونة-عنابة سنة 1574، وكانت عواقب هذه الغزوة كارثة على المدينة التي هاجرها أهلها لمدة سبع سنوات .

وكرد فعل على سياسة ملك إسبانيا "فيليب الثاني" التي أقلقت المملكة الانغليزية والمملكة الفرنسية على السواء، فإن الجزائر، بايعاز من القسطنطينية، اعلنت الحرب على إقليم بروفانسا (جنوب شرق فرنسا) حليفة "فيليب الثاني" سنة 1585. وإضافة إلى ذلك، في نهاية القرن السادس عشر م، ونزولا عند التماس ملك فرنسا "هنري الرابع"، أمر السلطان العثماني غزاة مراد رايس بالقيام بحماية السواحل الفرنسية ضد سفن طوصكانا الإيطالية وبالمساهمة في الحيلولة دون آحتلال مرسيليا من طرف الإسبانيين. وحوالي سنة 1601 توسلت ملكة بريطانيا إلى العثمانيين طالبة منهم محاربة إيطاليا الجنوبية[1].

---

(1)أنظر Sir Godfrey Fisher, " *Légende barbaresque*"; Alger 1991; p. 183
trad. Farida Hellal;

ويضاف إلى ذلك ضغط الأسطول الجزائري على مجمل السواحل وعلى الملاحة في غرب البحر الأبيض المتوسط، خاصة تحت قيادة مراد رايس. و تكسرت شوكة التوسع الإسباني عند وفاة "فيليب الثاني" (1598)؛ و تغيرت سياسة الأطراف الاوروبية تجاه الجزائر التي كانت تسعى إلى اتباع سياستها المستقلة وهي سياسة لم تكن مطابقة آليا لسياسة القسطنطينية في علاقاتها مع اوروبا. فالملك الفرنسي "هنري الرابع" الذي ساعدته الجزائر في إدماج مرسيليا تحت راية المملكة الفرنسية، سيشارك في غزوة ضد سواحلنا سنة 1607، كمرحلة من مشروع احتلال بلدان شمال افريقيا من أجل احداث امارات يحكمها امراء اوروبيون. و قد ذكر "سوللي" (Sully) وزير"هنري الرابع" هذا المشروع في مذاكراته.

*
** **

غزوة التحالـف الطوصكانـي البروفنسالـي

انشئ تحالف إيطالي- فرنسي من طرف طوصكانا وبروفنسا بقيادة "فردناند" دوق طوصكانا. وقرر التحالف غزوة انتقامية على السواحل الشرقية الجزائرية سنة 1607. وشرعت التحضيرات في بداية شهر أوت، فأسندت قيادة العمليات إلى"سيلفيو بيكلومني" (Silvio Picolhuomini)، الابن الأكبر لدوق

طوصكـــانا يساعـــده في ذلك "الشوفـــالـــيـــي دي بورغـــار" (Chevalier de Beauregard) و"الشوفاليي فابريس كولوري" (Chevalier Fabrice Coloret). واستهدفـــت بونة-عنابة بوصفها أقرب نقطة من السواحل الإيطالية، حتى يتمكن الأسطول الوصول إليها بسرعة، وحتى يبقى الأسطول قريبا من قواعد انطلاقه. وإضافة إلى ذلك أخذ في الاعتبار اقتراب فصل الأحوال الجوية الرديئة.

وتجمعت فرقة الحملة العسكرية بمدينة "ليفورنا"، وتكونت الفرقة من أكثر من ألفين ومائتي محارب إيطالي وفرنسي ومغامر من مختلف الاصول. وعد الأسطول تسعة شواني وخمس سفن من نوع "بروتون" وطريضة واحدة وثلاث فرقاطات. وأُمّـِـر "انغران" (Inguerrane) على الأسطول. وانطلقت الحملة من "ليفورنا" يوم 30 أوت 1607.

واختِيرت جزيرة "غاليت" (على بعد 125 كلم شمال-شرق بونة-عنابة) كقاعدة تجمع الأسطول ونقطة الانطلاق للمرحلة الأخيرة وانتهى الأسطول إلى الجزيرة يوم 14 سبتمبر.

ويوم 15 سبتمبر شرع الأسطول في زحفه نحو السواحل الجزائرية التي اشرف عليها حوالي الساعة الواحدة صباحا في عرض رأس الحمراء. وحوالي الساعة الثالثة صباحا تموقع الأسطول على خط مرسى البرج الجنوي وانتشر في الخليج مقابل

المدينة. ونظم الهجوم على جبهتين.

فالفرقة المكونة من السرايا الفرنسية والأجنبية أسند إليها الهجوم على قلعة القصبة وتعطيل رد فعلها، لأنها موقع استراتيجي يسيطر على كامل موقع المدينة. وقاومت مستميتة حامية القلعة (مائة وخمسون مدافعا) التي أخذت بغتة ولكنها ابيدت وعلى رأسها الآغا.

والفرقة الثانية المكـــونة من الإيطـــاليين لا غير (ألف وخمسمائة رجـــل) آنقضَّت على المدينة وحاصرتها من جميع الجهات، في حين كانت السفن ترمي المدينة بقنابلها. وبعد آحتلال المدينة دار قتال عنيف بالشوارع. ودام القتل والنهب ست ساعات.

وكانت الحصيلة ثقيلة: مائتا اسير مدنيين قبضوا بالقصبة وألف وخمسمائة بالمدينة اركبوا جميعا على ظهر السفن. كما اخذت جميع قطع المدفعية الثقيلة من القلعة وكذلك مانهب من غنيمة في المدينة. فدفعت بونة–عنابة ضريبة ثقيلة.

بيد أن الإيطاليين تخلوا عن مشاريعهم، وبقيت فرنسا في حلبة السباق لوحدها.

وإذ علّقت المملكة الفرنسية مشروع الآحتلال، فإنها عهدت إلى مرسيليا ربط علاقات تجارية مع إقليم بونة-عنابة.

وسبق سنة 1561 أن أسس مرسيليان وهما "طوماس لينشيس" (Thomas Linches) و"كارلان ديديي" (Didier Carlin)، على ساحل القالة مصرفا سمي "باستيون دي فرنس" (دار فرنسا Bastion de France) بموافقة الجزائر وقبائل المنطقة؛ وهدم الجيش الجزائري المصرف سنة 1591 اثر تأزم العلاقات وخاصة لأن المصرف احتكر كامل حصاد القمح، الذي صدّر بأجمله مـــما منع السلطات الجزائرية مواجهة المجاعة في تلك السنة. وأجبر "ديديي" و"لينشيس" على الآنسحاب.

ثم رمم "مواساك" (Moissac) "الباستيون" ولكنه خرب سنة 1604 اثر أزمة حادة بين القسطنطينية وفرنسا. إلا أن العلاقات عادت إلى مجراها في نفس السنة. إذ تحصلت فرنسا من "الباب العالي" على آمتيازات معتبرة. وفيما يخص الجزائر استفادت فرنسا من الباب العالي ضمان صيد المرجان على أساس المعاهدات السابقة و عودة "الباستيون" إلى ملكية الفرنسيين. وذلك ما رفضته السلطة الجزائرية.

وتواصلت المساومات "المثلثية" (بين القسطنطينية وفرنســـا

والجزائر) إلى سنة 1626، تتخللها النزاعات المسلحة منها الغارة التي قررها الكاردنال "دي ريشليو" (Cardinal de Richelieu) واسند قيادتها لـ"دارجنكور" (D'Argencourt) حاكم "تربون" والهادفة إلى الاستيلاء على موقع "الباستيون" واعادة بنائه.

وفشلت الحملة واستؤنفت المفاوضات التي شرع فيها قبيل الحملة من طرف الكورسيكي "سانسون نبَلُون" (Sanson Napollon) وأُبْرِمَ الاتفاق يوم 19 سبتمبر 1628.

وأعيد تأسيس "الباستيون" وأقر الاتفاق اسناد إدارته على مدى الحياة "لسانسون نبلون". وتحصلت فرنسا على امكانية انشاء "تنازلات افريقيا" (Concessions d'Afrique) التي تشمل "الباستيون" ومستودعات القالة وموقع رأس بوفحل (رأس روزا) أين آنتصب أربعمائة شخص منهم مائة من الخفر المسلحين وآنتصبت ببونة-عنابة وكالة تجارية فرنسية.

إلا أن الكاردينال "دي ريشليو" لم يكن راضيا و أدّى تدهور العلاقات ابتداء من سنة 1637 إلى تخريب المنشآت التجارية الفرنسية. وأُمْضِي اتفاق جديد يوم 7 جويلية 1640، فأعيد بناء "الباستيون" الذي اسندت إدارته إلى "بيكي" (Picquet)، إلا أن هذا الأخير فشل في تسييره وركّم الديون تجاه الجزائر. فترك المؤسسة خفية مصطحبا اسارى من أهل القالة الذين باعهم في "ليفورنا" وكان ذلك في سنة 1658.

ونددت الحكومة الفرنسية بفعل "بيكي"، واعتقت الاسارى بشرائهم واعادتهم إلى ديارهم، ولكن الجزائر رفضت تجديد "التنازلات".

وأيام ملك "لويس الرابع عشر" (Louis XIV) عاد وزيره الكاردينال "مازارين" (Mazarin) إلى مشروع آحتلال شمال افريقيا. ومن بين موانئ الانزال المقترحة من طرف الجوسسة العسكرية وقف الاختيار على ثلاث نقاط وهي بونة-عنابة أو سطورة (سكيكدة) أو بجاية. وفي النهاية وقعت المحاولة على جيجل. وقاد الحملة الدوق "دي بوفور" (Beaufort) من جويلية إلى أكتوبر 1664، وباءت بالفشل. فآستؤنفت المفاوضات سنة 1666. وانتهت إلى سماح ديوان الجزائـــر بإنشاء "الشركة الفرنسيـــة" (La compagnie française) من طرف "آرنو" (Arnaud) مَوّلَــها "دي لافون" (De Lafont) و"ماصون" (Masson) و"دي لافونتين"(De la Fontaine) و"دي لالو" (De Lallo). ولكن "آرنو" وكيل الشركة المعتمد والمؤازَر من طرف الجزائر أعاد انشاء مصرف القالة. وادى سوء التسيير وحملة "دوكين" (Duquesne) سنة 1683 إلى تخريب المصرف.

واغتنم الانغليز الظرف وسعوا في التقارب مع الجزائر فنتج عنه معاهدة 1682. ومكنت هذه المعاهدة الانغليز من الآنتصاب في مصرف القالة إلى غاية سنة 1694.

وعرفت العلاقات الجزائرية-الفرنسية فترة جديدة من الآنفراج و ابرم اتفاق سنة 1684، إلا أن الفرنسيين انتظروا حتى 1694 لتطبيقه. فانشأ متعاملون مرسيليون تحت رئاسة "بيير هيلي" (Pierre Hély). شركة لاستغلال "تنازلات افريقيا" وهي"الشركة الفرنسية" (La compagnie française) والمعاهدة المبرمة يوم اول جانفي 1694 مع ديوان الجزائر تنص في بندها الخامس :

"فيما مضى (...) وفي آخر كل شهرين، كان مبلغ خمسمائة ريال يدفع بين أيدي قائد مدينة بونة. وابتداء من الآن لن يدفع إلى القائد (...) فيجب، كل شهرين، دفع مبلغ خمسمائة ريال إلى الشخص المعين من قبلي في منصب "آغا نوباجي" [قائد الحامية] (...) ولعون الشركة المقيم ببونة أن يتنقل كيف ما بدا له إلى قلعة القالة. وسيمنحه الآغا الرخصة لذلك"[1].

وتحصلت الشركة، زيادة على الامتياز على صيد المرجان، على احتكار التجارة مع فرنسا. ثم سلمت الشركة الفرنسية امتيازاتها "لشركة افريقيا"(La compagnie d'Afrique) سنة 1713 التي أحدثت بدورها مصارفا ببونة-عنابة والقالة. وفي سنة 1714 أصبحت التجارة تابعة "لشركة افريقيا الملكية" (Compagnie royale d'Afrique). والملاحظ أنه من وراء هذه التسميات المختلفة يضل الاحتكار بين أيدي التجار المرسيليين.

---

(1) Maitrot, " *Bône militaire*"; p. 125

ومن 1719 إلى 1730، تحصلت "شركة الهند" (La compagnie des Indes) على الامتياز على التجارة مع السواحل الشمال الافريقية ومن بينها ساحل بونة-عنابة. ثم تخلت "شركة الهند" عن امتيازها "لشركة افريقيا الجديدة" (La nouvelle compagnie d'Afrique) سنة 1731.

وابتداء من سنة 1741، حُوِّل هذا الامتياز إلى هيئة جديدة، "شركة افريقيا الملكية" (Compagnie royale d'Afrique). وتدهورت العلاقات الجزائرية-الفرنسية سنة 1764. فجمدت اموال الشركة ولكن عادت العلاقات إلى مجراها الطبيعي واستأنفت الشركة نشاطها بإدارة "دارمني دي بينيزت" (D'Armény de Bénézet) الذي ساء تسييره للمؤسسة سوءً كبيرا. واستقامت وضعية الشركة بإدارة وكيلها الجديد"مارتين" (Martin) الذي خلفه "برتراند" (Bertrand) الذي واصل اصلاحها. إلا أنه نظرا أن ثورة 1789 كانت معارضة للامتيازات التجارية، أصبحت التجارة مع شمال افريقيا حرة. وادى ذلك إلى اعتراض المصاعب للشركة التي حاولت الابقاء على حيويتها إلى أن وقع حلها سنة 1794. فعوضت "شركة افريقيا الملكية" "بوكالة افريقيا" (Agence d'Afrique) التي استحوذت على الامتيازات لصالح النظام الجديد بفرنسا.

ومـا اعلنت القسطنطينية العدوان على باريس حتى قطعت

الحكومة الجزائرية علاقاتها مع فرنسا. فامر باي قسنطينة آحتلال مصرف القالة وسجن مديره وبُعِثَ المستخدمون به من الاوروبيين إلى قسنطينة ثم إلى مدينة الجزائر. إلا أن الأزمة لم تطل إذ أُمضي اتفاق جديد، في سبتمبر 1800، بين الديوان وفرنسا فأعيدت "التنازلات" إلى فرنسا. واسند التسيير "لشركة افريقيا" التي ستخلفها بعد سنوات وكالة أخرى فشلت في عملها.

وفي سنة 1807، استرجع البريطانيون مصرف القالة وسيروه بصفة غير مباشرة عن طريق مختلف المتعاملين الاوروبيين. وفي شهر مارس 1817 أعاد اتفاق جديد "التنازل" لفرنسا لصيد المرجان والتجارة، فقام مصرف القالة و"الباستيون" من خرابهما.

آثـــار الآحتكـــار الأجنبـــي

يلاحظ منذ القرن الحادي عشر م. أن جيراننا المتوسطيين، خاصة الإيطاليين والفرنسيين منهم، يتسابقون من أجل السيطرة على السواحل الجزائرية، مستعملين تارة الحملات العسكرية وتارة امضاء المعاهدات من أجل الحصول على امتيازات تجارية احتكارية. وإن انتهى الإيطاليون بالاكتفاء بالمعاهدات التي تفتح لهم صيد المرجان والتجارة، فيبدو أن الفرنسيين، والبريطانيين عرضا، يبحثون على الحصول على الآحتكار المطلق وذلك منذ سنة1561.

ويستغل الفرنسيون والإيطاليون مرجان بونة-عنابة والقالة اقصى الاستغلال إلى حد استنفاذ المرجان ببونة-عنابة في القرن الثامن عشر. وكانت الشركة "التي تشتري كامل الصيادة وتبيعها في مصر وفي تونس وفي غينيا"، تقتني المرجان بسعر 4 إلى 14 ليرة لتبيعه بسعر 48 إلى 96 ليرة، كما تستحوذ الشركة على الجلود وعلى الشمع وعلى الصوف وعلى القمح. ويفرض قانون الشركة الداخلي لسنة 1767 أن :

"يراقب الوكيل العون المكلف بشراء الجلود والشمع حتى لا يشتري الجلود بأكثر من قيمتها المحددة وحتى لا يكون الشمع مغشوشا. وبما أنه يحدث في غالب الاحيان، أن يطلب الاتراك شراء الشمع متعللين في ذلك بمختلف الأسباب، فيجب على الوكيل

أن يسهر على أن لايمد منه إلا لمن تقدموا برسالة من الباي أو من احد ضباط ديوان الجزائر (...)

وعلى الوكيل أن يطالب مسبقا بحمولتي القمح الممنوحتين من طرف الحكم العثماني. وعليه أن يجد الوسائل و أن يغتنم جميع الفرص للحصول على شراء اقصى مايمكنه من المواد الغذائية"[1].

ويلاحظ أن آحتكار الحصول على السلع يقع على حساب البلاد والاقتصاد الجزائري. وقد أصبحت الحاجة إلى القمح أكثر الحاحا ابتداء من ثورة 1789 الفرنسية. فتلقى مدير الشركة ببونة-عنابة "غيبرت" (Guibert) التعليمات الآتية:

"...يكلف "غيبرت" بجمع كل مايمكنه من القموح لفائدة شركة افريقيا، مهما كان الخطر عليه وعلى ارزاقه، حسب مايراه صالحا. وإذا كان لليهود أو المحايدين ببونة قموح، فعلى "غيبرت" أن يبذل الجهد مستعملا جميع وسائل الحذر، لشرائها مع وجوب دفعها في أحد موانئ الجمهورية ... ويدفع ثمن القمح حسب اختيار البائع، اما في مكان انزال القمح، واما في بونة، أو في الجزائر، أو في ليفورنا، بالعملة المتفق عليها بعد دفع القمح في المكان المعين. ويطلب من المواطن "غيبرت" أن يحتفظ بالسر ما أمكنه حول عملياته وعملياتنا..."[2]

---

(1) Maitrot, "*Bône militaire*"; p. 130-131

(2) المصدر، ص. 143-144

ولا تستعمل هذه التجارة إلا راية الملاحة الأجنبية. ولا يقوم الأسطول الجزائري فيه بأي دور البتة. والتبادل المنصوص عليه في المعاهدات لم يطبق حتى ولا في صالح يهود بونة–عنابة: فلم يتمكن أي تاجر عنابي من الآنتصاب بمرسيليا ! فكان "اقتصاد عبيد". وكان حجم المبادلات ظاهريا في صالح مرسى بونة–عنابة والجهة التي يمونها. بيد أنه في الواقع تعود أرباح المبادلات على احتِكَارَيْن مُتَطَاحِنَيْن وهما الداي والباي من جهة لأنهما يستخرجان من هذه التجارة الجبايات للتخفيف من وطأة ضعف موارد الجبايات الداخلية ومداخيل الغزو، ومن جهة أخرى التجار الفرنسيون الذين يتحصلون على ربح وافر بشرائهم بأسعار يفرضونها و بيعهم بنفس الشروط حتى للجزائريين: وهذا ما يقع مثلا بالنسبة لتجارة الشمع ! وكانت نتيجة هذه الوضعية المتشعبة أن وصلت إلى مرحلة الاستحواذ الموالية، وهي تملك البلد المنتج نفسه من طرف النظام التجاري الاوروبي.

مصابيح اسلامية (القرن التاسع و العاشر م)

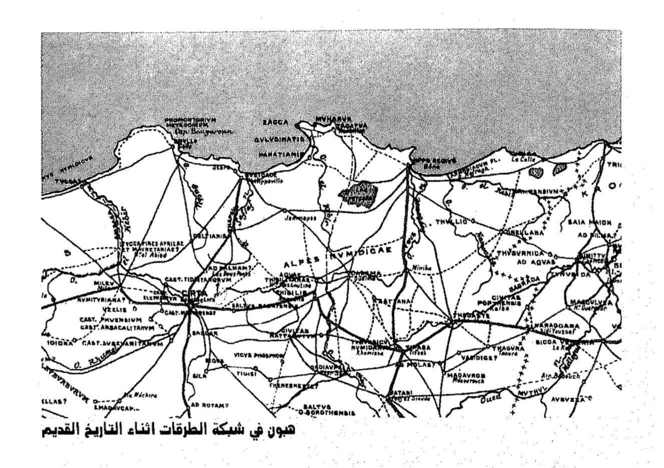


اجزاء من صحون حمادية

سطل حمام (القرن الحادي عشر)



دينار مرابطي



هبون في شبكة الطرقات اثناء التاريخ القديم

MER MEDITERRANEE

الآصطلاحات

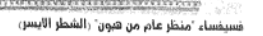
- - - - - طرق الفترة الرومانية
——— مسالك القرنين التاسع و العاشر م.
>>>>>>> مسالك القرن الحادي عشر م.
-oooooo- مسالك القرن الثاني عشر م.

بونة في شبكة الطرقات اثناء العصور الوسطى

حي بشرق مدينة هبون



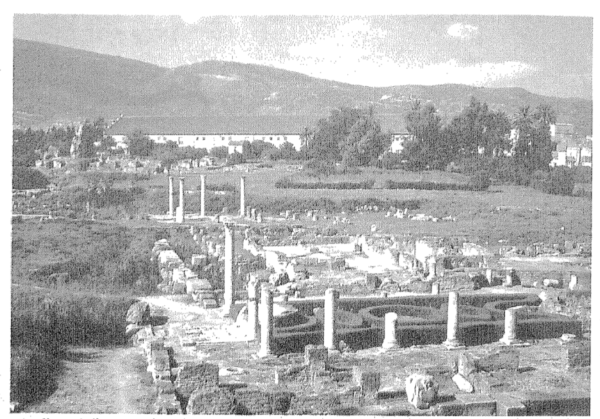
فسيفساء "منظر عام من هبون" (الشطر الايمن)



فسيفساء "منظر عام من هبون" (الشطر الايسر)

الفروم

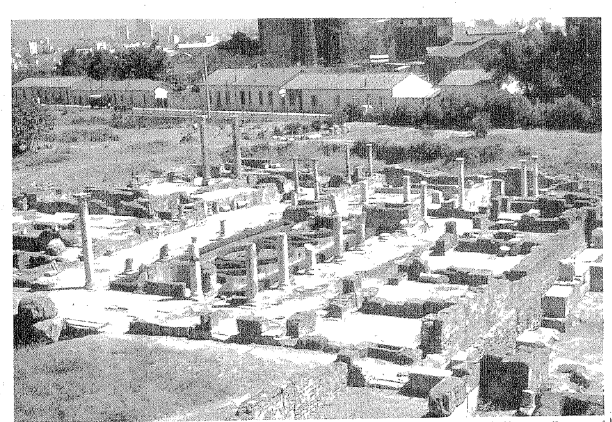
السوق


منظر من حي الواجهة البحرية


المسرح



حي الواجهة البحرية



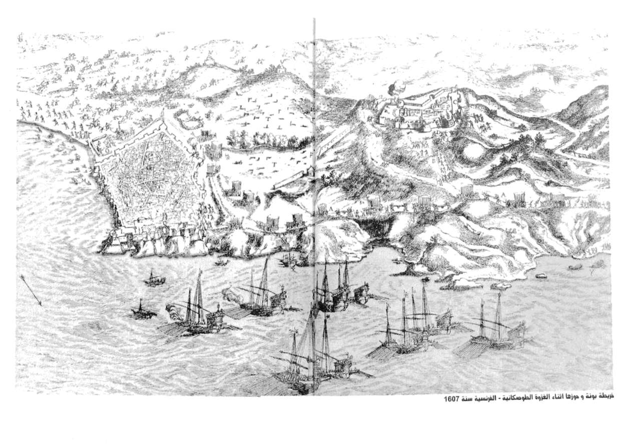
أحدى ميلات حي الواجهة البحرية



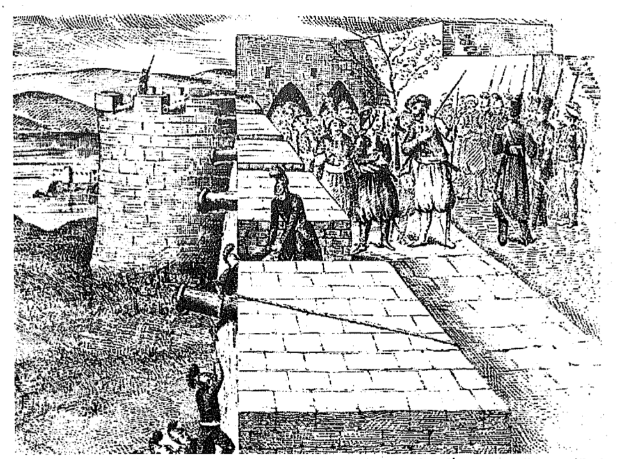
الحمامات الشمالية



فسيفساء "منظر عام من هبون" (تفاصيل معمارية)

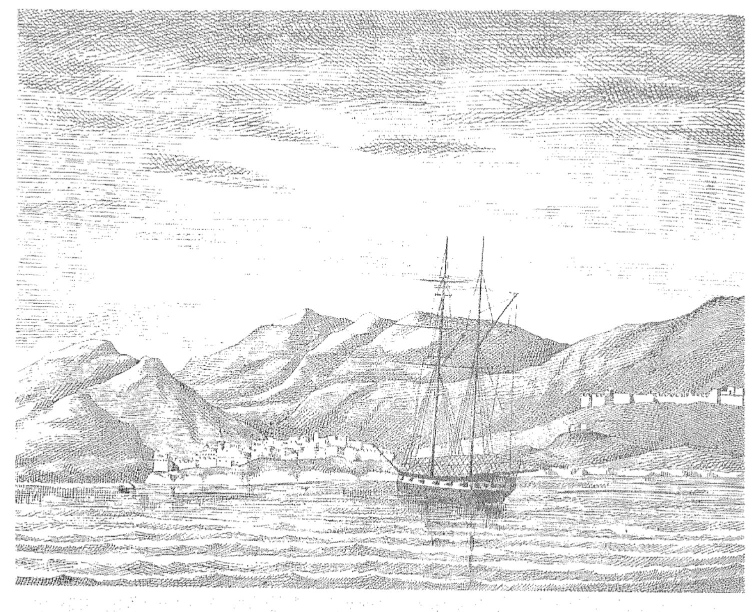


خريطة بونة و حوزها اثناء الغزوة الطوصكانية - الفرنسية سنة 1607



احتلال حصن القصبة سنة 1832

احتلال حصن القصبة سنة 1832



"البيَازنيز"، احدى سفن الاحتلال الاستعماري، وهي راسية امام بونة سنة 1832



خريطة عمالة قسنطينة، حوالي 1840



ايام ديسمبر 1960

الحكم الاستعماري

مـــراحـــل الآحـــتـــلال الآســـتعـــمـــاري

ارتقى حسين، آخر داي إلى سدة الحكم في بداية القرن التاسع عشر م. وتعاقب على مستوى بايلك الشرق ثلاثة ولاة: وهم أحمد بـــاي المملوك (1820-1822) وابراهيم باي (1822-1825) والحاج أحمد باي (1826-1836).

وعلى مستوى بونة-عنابة، لم يتغير نظام التسيير في مجمله، إلا أنه يسجل انزلاقا في صالح *القائد مركانتي* الذي أصبح أهم ممثلي الباي، له اليد العليا على تسيير العلاقات مع الاعوان التجاريين الأجانب في نطاق الآحتكار على المالية والتجارة الخارجية.

وضعفت الفلاحة وهي أساس الحياة الاقتصادية؛ وعانت مع التجارة خاصة الخارجية واستثمار رؤوس الأموال من الآحتكار المزدوج للباي و"وكالة افريقيا". وإلى ذلك يضاف الضعف الديمغرافي الناتج عن عداوي وباء الطاعون أثناء القرن الثامن عشر م. خاصة.

كما تحجرت الحياة الثقافية التي كانت تعيش على مكتسبات قديمة توقفت عن التطور.

والخلاصة، فسياسيا وإداريا، لم يعد يربط الحكام بالمحكومين إلا المغارم. وضعفت قنوات الاتصال بينهما الممثلة في

أعيان الطرق الصوفية. وأصبح الاقتصاد الذي سيطر على قيمته الإضافية الاوروبيون موجهًا نحو الخارج.

وأصبحت سياسة "وكالة افريقيا" (شركة افريقيا سابقا) التي كانت قاعدتها الاولى ببونة-عنابة والقالة والمزاحمة للداي في المضاربة على القمح، مصدر افساد العلاقات الجزائرية الفرنسية وأدت هذه السياسة إلى انطلاق عملية الاحتلال. وإذا لم يكن التوتر الذي أحدثته الوكالة ببونة-عنابة هو السبب الاول، فهو لاشك سبب أساسي.

*

** **

الأزمـــة الجـــزائريـــة-الفرنسيـــة لسنـــة 1827

إذ تذرعت الوكالة، سنة 1827، بخطر عدوان من طرف السكان، فبادرت بوضع جهاز عسكري للدفاع الذي قد يكون عملية استفزاز هيِّئت حسب سيناريو مبيت من قبل. ونشير هنا إلى جزئية هامة وهي أن ابن اخي القنصل "دوفال" (Deval) كان من بين موظفي "وكالة افريقيا" ببونة-عنابة. ويسرد "ميترو" في كتابه *"بونة العسكرية"* الأحداث بالصورة التالية:

"اجبرت هذه الهجومات الليلية (...) إلى اخذ اجراءات احتياطية (...) فصنع الاوروبيون مَدْفَعين من الخشب شبيهين بمدافع حقيقية ووضعوهما بشبابيك بيوتهم. فآنتشر الخبر أن

الفرنسيين سلحوا مؤسستهم بمدفع ورآى مركانتي بونة من واجبه إعلام باي قسنطينة الحاج أحمد.

فقام الباي برفع تقرير إلى الباشا في هذا الشأن. فاستدعى الداي قنصل فرنسا واستفسره حول معنى تسليح مؤسسة القالة. فوعد القنصل بمراسلة ممثله ببونة فورا؛ وعاد القنصل بعد زمن قصير إلى مقابلة الداي وشرح له الحيلة التي استعملها مواطنوه للتخلص من اللصوص. ولم يقبل الباشا هذه الشروح؛ فأجاب القنصل أن يرسل الباشا نفسه أحد اعوانه للتحري على عين المكان إذ لم يثق في خبره.

فتلقى الحاج أحمد، باي قسنطينة، الأمر بإرسال رجلين من الثقاة إلى القالة (...) فتوجها إلى القالة (...) لمعاينة المؤسسة فشاهدا المدافع الخشبية التي حسباها مدافعا حقيقية. فعاد الرجلان عند الباي الذي كاتب من جديد الباشا لإثبات الخبر الاول.

فغضب الباشا غضبا عنيفا، وشتم القنصل؛ وقيل إنه وصل به الأمر إلى ضربه بالمروحة. وابتعد القنصل ثم عاد إلى بلاده"[1].

وهكذا يقدم الكاتب الفرنسي ما أسماه بأسطورة سردها "فـيرو" (Féraud). وكرد فعل ارسلت الحكومة الفرنسية الكومندان "كولي" (Collet) لوضع الحصار أمام السواحل الجزائرية.

---

(1) Maitrot, " *Bône militaire*"; p. 151-152

اجــراءات اليقظــة و التسلـــح

فأرسل الداي أوامره إلى جميع الدايات لاتخاذ الاجراءات المناسبة، ولكن بدون التحريض على أي عدوان. وابلغ الباي أحمد التعليمات الآتية إلى أهل بونة-عنابة:

"إن ما سأحيطكم به علما (...) هو أمر صادر ممن وجبت علينا وعليكم طاعته و إلى من وجب له ولاؤنا وولاؤكم المطلق. اقيموا الحراسة على البحر ليلا ونهارا بآستمرار وعزيمة ويقظة وحذر.

ويعود هذا الأمر الخطير إلى رجال المدفعية خاصة؛ فلا يسمح لأي منهم التخلي عن هذا الواجب ولا يسمح لأي منهم أن ينام بمنزله. راقبوا البطاريات المدفعية وأصلحوا كل ما يهم المدافع وقنادقها بحيث يكون هذا العتاد جاهزا ومتأهبا (...) ولما كنتم تقيمون بثغر وجب عليكم الدفاع عنه؛ كرسوا جميع جهودكم لهذا الغرض واتبعوا بشجاعة ما قام به غيركم (...) فهذه القضية ذات أهمية قصوى ومن اعجل القضايا.

واعلموا، أن من بين ماأشير به عليكم، أمر يتحتم عليكم تطبيقه بصفة خاصة وهو أنه عليكم مراقبة كل سفينة متوجهة إلى بونة بتحري. إذا كان شراعا لصيد المرجان أو كان بازركانا (سفينة تجارية) لا يُخْشى منه مفاجأة سيئة، يسمح له بالارساء حسب العادة. ولكن إذا رأيتم سفينة قرصنة متجهة نحو بونة، أطلقوا

الدخان من بعيد، فإن لم تول أعقابها واقتربت من منطقة القذف، اطلقوا طلقة مدفع بدون صخر ولا قنبلة؛ فإن لم تتوار واصرت على الدخول، سارعوا بإطلاق الكرات عليها، واغرقوها وابيدوها قبل الدخول وقبل أن تصبح في مأمن من طلقاتكم. كونوا عازمين في مهمتكم وكونوا أقوياء (...).

وفيما يخص المسيحيين المقيمين ببونة، اسهروا على أن لا يعاديهم أحد، وأن لا يسئ اليهم أو أن لا يُضَيِّع شيئا من متاعهم؛ فإن أرادوا المكوث ببونة فليبقوا في أمان تام وأن لا يتعرضوا لأي اذى. وإن أرادوا بالعكس، اختيارا منهم وبكامل الحرية الرجوع إلى بلادهم، فلن يعترض لهم في ذلك أحد ولن يعاديهم أحد؛ ولهم أن ياخذوا كامل امتعتهم بدون أي خسارة. بيد أنه إن قرر أحدهم وبمحض ارادته الرحيل، يجب أن تاخذوا منه مكتوبا من يده تصريحا إنه رحل برضاه حاملا كامل أمتعته وبدون أي عنف. (...) وتتصرفون بنفس الطريقة مع المسيحيين الآخرين المنتمين لمختلف الجنسيات (...).

وأنتم أعضاء الديوان الموقر، و الجنود المستعينين بالله وأنتم جميعكم أهل بونة، لا تتخلوا عن الاعتناء بمهمة المراقبة (...)، ولا تقلقوا ولا تضطربوا".

(ذو الحجة 1242 /جوان 1827)[1]

(1)Maitrot, *"Bône militaire"*; p. 153-156

ويؤكد باي قسنطينة إضافة إلى هذا على أن لا يترك الفرنسيون يستعملون البنائين أو مواد البناء خارج مساكنهم وخارج مدينة بونة-عنابة. ولكن ابتداء من سنة 1827 لم يكن عزم الملكية الفرنسية متجها نحو المفاوضة ولا نحو الحفاظ على حسن العلاقات، إذ أُقيم الحصار على السواحل الجزائرية. وقد شمل الحصار بونة-عنابة. وقامت البحرية الحربية الفرنسية باجلاء الرعايا الفرنسيين وعلى رأسهم نائب القنصل "الكسندر دوفال"، يوم 20 جوان 1827 . فرفع باي قسنطينة تقريرا في ذلك إلى الداي:

"...اتصلت برسالتين، الاولى من علماء بونة-عنابة والاخرى من ابن المركانتي، يعلموني فيهما أن سفينة ونقيرة حربية دخلتا مرسى بونة؛ وركبهما القنصل ووكيل الشركة والرعايا الفرنسيون المقيمون ببونة. وحالما علم سكان بونة ركوبهم وضعوا الأختام على ديارهم، ثم اتخذوا الاجراءات للحراسة ليلا حول المدينة على النحو الذي تشرحه الرسالتان اللتان أبعث بهما لكم حتى تتعرفوا على التفاصيل. فيغنيني هذا عن اطالة الحديث في هذا الموضوع.

وقد ارسلت المركانتي توا مع اعطائه التعليمات حول جميع الأمور، مؤكدا خاصة على الاجراءات الواجب اتخاذها في أمر الحراسة نهارا و ليلا (...).

وصـــل الحفصي (مكلف بتصفية قلعة فرنســا بالقـــالة) إلى

قسنطينة يوم الثلاثاء وغادرها وهو لا شك قد وصل إلى أين ارسلناه بمهمة؛ وحالما أتصل بأنباء منه أو من بونة اوافيكم بها بسرعة...".

الحاج أحمد

29 ذي القعدة 1242-24 جوان 1827[1]

بيد أن مناورات الترهيب تستمر من طرف البحرية الفرنسية. ويعلم الباي الجزائر أنه أثناء شهر جويلية 1827، استفزت سفينة بحرية، في عرض رأس الحمراء، الريِّس عليًّا الفلوكجي القادم من الجزائر. ولم ينج هذا الأخير إلا بعد لجوئه إلى جهة الإدوغ و من هناك استغاث بحامية بونة-عنابة. فحمل هذا العدوان الداي على اتخاذ اجراءات أكثر صرامة أمر بها ممثليه. وهذا تقرير حول تطبيق الاجراءات، ارسل به باي قسنطينة إلى حسين باشا:

"وصلتني رسالتكم الموقرة واطلعت على كل ما تأمرون به فيها. فكاتبت فورا مركانتي بونة، آمره أن يتصرف ازاء كل مركب حربي فرنسي يتقدم بما امرتم به، بالاسراع بقذفه بالكرات، وأن لا يطلق عليه البارود بل بالعكس قذفه بدون هوادة. كما امرت آنيا الخليفة بأن يتجه بزمالته وقومه قرب بونة وأن يحط برحاله

(1) المصدر، ص. 158-159

هناك، فارضا عليه أن يراقب بيقظة وضعية المدينة، وأن يكون تحت اهبة الدفاع عليها وأن لايفوته شيئ مما يجرى ببونة ليلا ونهارا.

كما غادر الخسورجية (الجنود الإضافيون) قسنطينة في طريقهم إلى بونة، محملين من طرفي بالخيام؛ وزودناهم بالمؤونة والبشماط والزبدة والزيت والبغال الحاملة لبراميل الماء (...)، كما كاتبت المركانتي آمرا اياه بالقيام بجميع احتياجاتهم ..."

أحمد باي

26 ذي الحجة 1242-21 جويلية 1827[1]

وفي رسالة أخرى يتمم الباي وصف الاجراءات المتخذة :

"... وزيادة على ذلك، امرت حامل الرسالة أن يقوم بنفسه بمراجعة المدفعية وبمعاينة قنادقها وجميع آلات الحرب. واشرت عليه أن يقيم يومين تقريبا ببونة حتى يفحص جيدا كيف تقوم الحراسة وكيف تطبق عمليات المراقبة.(...). واتصلت اليوم من المركانتي برسالة يخبرني فيها أنه وقع اصلاح الثغرات بمواضع المدفعية. وارسل بالنجارين إلى الجبل لقطع الخشب الذي جلب جزء منه على ظهر القوارب. وقد وضعنا نجارين من قسنطينة تحت تصرف المركانتي، والتحقوا بنجاري بونة، وهم الآن جميعا

---

(1) المصدر السابق، ص.160-161

بصدد العمل بجد لصنع قنادق المدافع وخشب البنادق (...).

ووصل اليوم من بونة بعض الذين ارسلتهم وكلهم يؤكدون تقارير المركانتي أي أن اشغال تجهيز الدفاع تسير بسرعة؛ وأن عملية حراسة الساحل قائمة كما تقرر واخيرا يعم الأمن بجميع الانحاء".

الحاج أحمد

15 محرم 1248-8 أوت 1827[1]

وتتهيأ بونة-عنابة هكذا إلى احتمال حرب، ابتداء من سنة 1827 ؛ ويضاف إلى هذه التحضيرات اتخاذ اجراءات أخرى مثل زيادة رواتب المحاربين. وأثناء شهر ماي 1830 أصبحت الحرب متأكدة. واعلن الفزع في الأيام الاولى من هذا الشهر. ويعلم أحمد، باي قسنطينة، حسين باشا قائلا:

" اعلمكم أن سكان مدينتنا بونة ابصروا هذه الأيام أربع سفن تطل ثم تختفي (...) وعند اطلاعي على هذه الوضعية، امددتهم بمائة بندقية وامرت أن توزع لمن هم في حاجة إليها (...) واخبرتهم أنه إذا لم تكفهم البندقيات، ارسل لهم بأخرى...".

الحاج أحمد

27 ذي الحجة 1245-2 ماي 1830 [2]

---

(1) المصدر السابق، ص. 161-162

(2) المصدر السابق، ص.167

"الانتفاضة المدنية" و أحمد باي؛ احتلال المدينة الاول

واهتمام أحمد باي بتعزيز بونة-عنابة ناتج عن أهمية وضعية ميناء المدينة على المسرح السياسي المتوسطي؛ ونتج أيضا عن التوتر السائد بالمدينة نفسها. إذ فسدت العلاقات بين مدينة بونة-عنابة و باي قسنطينة من جراء الآحتكار الذي فرضه الباي والذي نقّص من نشاط أهل بونة-عنابة التجاري. واكتسى هذا الآحتكار الذي كاد أن يكون مضاربة، نوعا من التعسف الذي كان يقوم به المركانتي الذي نبذته بونة-عنابة. ومما يعجب له أن يقوم هذا الشخص بتطبيق الترتيبات الدفاعية، في حين أن المراسلة الرسمية كان من المفروض أن توجه إلى الآغا و إلى الديوان!

وادى هذا التوتر إلى القطيعة بين المدينة والباي، إذ قامت في شهر جوان سنة 1830 نوع من *"الآنتفاضة المدنية الثورية"*، تحت قيادة *سي زروق بن الشيخ* وسي *أحمد بن الشيخ* والقاضي *سي حساين* وقائد بونة-عنابة السابق *سي رجم بن ربايع*. ويجب الاعتراف أن الظرف غير ملائم لأنها الثغرة التي ستمكن الجينرال *"دي بورمون"* (De Bourmont) الذي فرغ من آحتلال مدينة الجزائر، من تطبيق قرار الحكومة الفرنسية التي *"ابلغت الجينرال تقريرا تعلمه بمشروع التخلي للباب العثماني عن مدينة الجزائر وداخل الآيالة والاحتفاظ بالسواحل فقط من الحراش إلى طبرقة"*[1].

---

(1)المجلة الافريقية، عدد 17 ص Revue Africaine, n°. 17. p. 7.

وارسلت حملة إلى بونة-عنابة تحت قيادة الجينرال "دامريمون" (Damrémont)، فارست في شهر أوت 1830. وإذ كانت الجبهة العنابية منقسمة، لم يجد العدو صعوبة كبيرة في احتلال المدينة بداية أوت 1830، بالرغم من التحضيرات الدفاعية المقامة منذ 1827؛ فآحتل الجينرال "دامريمون" قلعة القصبة واقام حراسة السهل و مركز جيشه بالمدينة. فسارعت قبائل الناحية إلى التوجه عديدة إلى المدينة حتى وصلت أسوارها إبتداء من يوم 6 أوت 1830؛ وانتصب رجالها في موقع هبون. واتى لتعزيزها يوم 7 أوت رجال شيخ القالة، ودامت المعركة يومها سبع ساعات. ويوم 10 أوت اتت قبائل الإدوغ لتضخم صفوف المقاومة. ويوم 11 أوت انطلق الهجوم على الساعة الحادية عشر صباحا؛ وبعد تقهقر المحاربين الجزائريين اعادوا الكرة على الواحدة صباحا. وتمكن فريق منهم اجتياز الخنادق المعززة للأسوار التي تسلقوها وقاتلوا بالسلاح الأبيض. ومات بعزة خمسة و ثمانون من المقاومين ومنهم سِلْف أحمد باي. ولكن تمنح المدينة مهلة عندما تتصل حامية "دامريمون" يوم 18 أوت 1830 بأمر التقهقر لمد يد المساعدة للنظام الجديد الذي آنتصب في فرنسا اثر ثورة جويلية سنة 1830.

ومن المؤسف أن استمر النزاع بين الباي أحمد وبونة-عنابة. وارسل الباي جيشا إلى بونة-عنابة، ولكنه بادر مبادرة سيئة بوضع الجيش تحت قيادة المركانتي المنبوذ من طرف

"الآنتفاضة المدنية البونية".

فوقع طرد جيش الباي الذي ذهب يحط رحاله بناحية العلاليق ويقيم الحصار على المدينة. وكان دفاع المدينة قائما على حامية من الجنود الاتراك الذين انحازوا إلى انصار ابن الشيخ. وقد دارت هذه الاحداث اواخر سنة 1830.

وانقسمت المواقف داخل الإقليم أيضا: فساندت القبائل المخزنية بالسهل عمليات جيوش أحمد باي، في حين تحالفت قبائل الرعايا مع *"الآنتفاضة المدنية البونية"*. فبقيت المدينة بين أيدي *"مجلس الأربعة"* للآنتفاضة المدنية. وسعت هذه الأخيرة إلى الحفاظ على آستقلالها عن باي قسنطينة طالما مثله المركانتي المنبوذ.

وهذه رواية حمدان خوجة للأحداث:

"ثم اعلم باي قسنطينة جميع سكان الآيالة الآخرين بقرار نقباء اقليم قسنطينة بالآعتراف به ممثلا شرعيا لسلطان اسطنبول. وطلب منهم منحه الولاء فمنحوه اياه. وطلب من سكان بونة ذخيرتهم الحربية. ولهذا الغرض بعث الحاج عمارًا عاملا على هذا البلد، وقد كان الحاج عمار وكيله بتونس. وكانت سمعة عمار هذا ببونة سيئة، ويعتبر موظفا عاجزا إذ أنه كان عاملا ببونة في الماضي وعرف بمساوئه. لذلك عصى اهل بونة أوامر الحاج أحمد باي ورفضوا تسليمه الذخيرة التي طلب؛ ولما أهانه هذا الرفض، أرسل الباي جيشه لحصار أهل بونة و ردعهم.

وافزعت هذه الترتيبات أهل بونة-عنابة الذين توسلوا للباي أن لا يعين عليهم هذا العامل الحاج عمارًا، ووعدوه في المقابل بالخضوع لأوامره. ولم يقبل الباي التخلي على قراره واستمر في محاربتهم.

وعندئذ اغتنم ابراهيم باي، والي قسنطينة السابق، هذه الفرصة واتى إلى بونة، فاستقبله أهلها بالترحاب وكل ما كان يبغونه أن لا يكون الحاج عمار واليا عليهم.

ولم يدم الوضع إذ عُوِّض الحاج عمار، لأنه اتضح للحاج أحمد باي مساوؤه وعدم كفاءته فعزله. ففتح أهل بونة المدينة للوالي الجديد الذي حل بمنصبه وعادت الطمأنينة.

بيد أن ابراهيم باي اعتزل في القصبة مع الجند الأتراك، ثم لاذ بالفرار وأدخل جيشه المرْتَدَّ يوسف وبصحبته قرابة الثلاثين جنديا فرنسيا"[1].

وتشعب النزاع بتدخل طرف ثالث وهو براهم، باي قسنطينة السابق، إذ عاد براهم من منفاه بتونس مستعملا "مجلس الآنتفاضة المدنية" بالتحالف معه بهدف استرجاع بايلك قسنطينة.

وايقن أحمد باي بعدم جدوى ابقاء المركانتي فعزله. و عين قائدا جديدا ووجهه إلى بونة-عنابة على رأس تعزيزات إضافية، وهذا القائد هو علي بن عيسى يعضده الآغا الحملاوي اللذان

---

(1)Maitrot, "*Bône militaire*", p.185-186

آنتصبا في منطقة وادي الذهب. و حاصر جيش ابن عيسى المدينة براء، وحاصر المرسى مركب قطع تموين المدينة بحرا.

*
** **

المناورات و الاحتلال النهائي

وحسب الجـيـنـرال "دي كـورنـولـيـي- لوسينيير"، (Gl. de Cornulier- Lucinière, " *La Prise de Bône et de Bougie* ") انتقل وفد إلى مدينة الجزائر، -ربما بايعاز من براهم-طلبا للمعونة الفرنسية. فتذرع الجينرال "برتوزين" (Berthezène) بذلك فأرسل مائة جندي بقيادة "هودير" (Huder) و"بيغو" (Bigot) الذين نزلوا ببونة-عنابة يوم 13 سبتمبر1831. وانتصب جزء من الفرقة بالمدينة وجزء آخر بالقصبة أين سبق إلى الآنتصاب فيها براهم القريطلي على رأس بضعة مات من الانكشاريين الذين جندهم من ازمير.

لماذا ارسل "بهودير"؟ يبدو أنه تعرف في الماضي على براهم بالقسطنطينية. وكانت الثقة متبادلة بينهما في بداية قيادتهما المشتركة. غير أنه إذا كان براهم مستعدا للتعامل مع "هودير"، فإن المفتي ابن الشيخ؛ وهو روح "الانتفاضة المدنية" يعارض الاحتلال الفرنسي. لذلك قام أحمد بن الشيخ بالدعوة بين أهل الساحل، فادت دعوته إلى ثورة المدينة وحلفائها. ومُزّقَت الحامية الفرنسية اشلاء ومن بينهم "هودير" و"بيغو" يوم 28 سبتمبر 1831.

وارسل براهم القريطلي وفدا جديدا إلى مدينة الجزائر يقوده مصطفى بن كريم. واعلم الوفد أن ابن عيسى يحاصر المدينة على رأس الفين و خمسمائة جندي، مطالبا بالحماية والتموين.

فبعث الدوق "دي روفيغو"(Rovigo) العلج يوسف للتحقيق. فكان جواب براهم: "إن براهم محاصر من طرف ابن عيسى؛ ونفذت المؤونة من المدينة و القصبة. فليمونهما الحاكم [الفرنسي] وسيصبح براهم مُقاطعجيا لفرنسا"[1].

وراح الدوق "دي روفيغو" يماطل في انتظار الجيوش اللازمة من باريس. فبعث "دارمندي" (D'Armandy) يساعده يوسف لتعطيل الأمور ريثما تأتيه الامدادات الكافية.

وسمي "دارمندي" "بلقب مرائي، قنصل فرنسا ببونة". وكانت مهمته تقتير المواد الغذائية؛ والارشاد في مجال الدفاع عن القصبة وأسوار المدينة والسهر على حسن العلاقات مع اعيان المدينة وبراهم. واستقبل براهم "دارمندي" بالقصبة، الا أنه كان حذرا. واقام "دارمندي" ورجاله بالمدينة. وكتب "دي كورنوليي–لوسينيير" قائلا: " كان براهم مصمما على عدم الاستسلام إلى الفرنسين، وحتى لو اراد، فإن ذلك كان مستحيلا "[2].

ولكن لنقرأ رواية أحمد باي للأحداث: "و أما ابراهيم (...)،

---

(1)Gl. de Cornulier- Lucinière, *" La Prise de Bône et de Bougie"; p. 75*

(2) المصدر السابق، ص. 110

فبدأ اولا وكأنه ارتبط ارتباطا متينا بالفرنسيين الذين لم يكن وضعهم فيها قد تعزز حينئذ. إلا أنه سرعان ماراح يحث همم المسلمين، ويؤلبهم ضد الكافرين وثور السكان، فارغموا الفرنسيين على مغادرة المدينة، واستقر هو في قصبة الساحة المشرفة عليها. وكانت مجاورة هذا العدو خطرا شديدا على سلطاني، فارسلت ضده ابن عيسى، باش حمبايا فحاصر عنابة من جميع نواحيها واستطاع أن يدخل المدينة وأجبر ابراهيم على الانحباس في القصبة..."[1]

وبحث الفرنسيون على الطريقة التي تمكنهم من استرجاع القصبة التي كان براهم يرفض التخلي عنها بأي ثمن. إذ فقد الثقة في مناورات "دارمندي"، فقطع الصلة به. وفقد براهم كذلك مؤازرة مسيري "الآنتفاضة البونية-العنابية" له مفضلين صف أحمد باي.

إذ مهد المفتي، شيخ الإسلام ابن الشيخ، الأرضية لرجال ابن عيسى. وحسب "بوياك" (Bouyac) فإن "دارمندي" ذكر في تقريره ليوم 10 مارس 1832 ان شيخ الإسلام قد يكون دل جيش ابن عيسى إلى كيفية دخول المدينة سريا: "إذ تسرب رجال ابن عيسى من الجهة الشمالية، على الجبهة المقابلة لجبهة باب قسنطينة، عن طريق فجوة في السور لم ترمم". ثم يتابع "بوياك" روايته لعملية افتكاك المدينة من طرف مناصري أحمد باي قائلا: "وفي يوم 4 مارس، خرجت سرايا ابن عيسى من معسكرها بصمت تحت جناح

(1)مذكرات أحمد باي"، تحقيق محمد العربي الزبيري، ص. 26-27

الظلام وتوجهوا نحو باب المقابر. وهناك تجمعوا وانتظروا. وفي تلك الأثناء كانت فرقة من ثلاثين رجلا، مسلحين بالشواقير يتسللون ليلا، ودخلوا بستانا كونت أشجاره ستارا كثيفا، وتبرموا حول المدينة، ووصلوا إلى شاطئ البحر يدلهم على الطريق مرسول سي أحمد بن الشيخ. ودخل هؤلاء الرجال الماء، وكلهم عزم، وتابعوا مسيرتهم حتى بلغوا الفجوة في السور التي ذكرناها.

ودخلوا المدينة وسارعوا إلى جهة باب المقابر الذي شرعوا في اقتحامه"[1]. ونشير إلى أن هذا الممر وجد في جهة "المشنقة" (أمام مدخل كلية الحقوق). وتمكن "دارمندي"من الفرار والالتحاق بالسفينة "القصبة" التي كانت تحوم في الخليج.

واوفد ابن.عيسى المفتي ابن الشيخ وعليًّا آغا إلى الضابط الفرنسي بغرض مقابلة معه. ودارت مقابلة بن عيسى–"دارمندي" في زاوية سيدي ابراهيم التي تبعد عن المدينة بثمانمائة متر. وضمن ابن عيسى النوايا السلمية لأحمد باي واكد أن آحتلال المدينة يهدف إلى معاقبة *"الخارجين عن القانون"*. وحمّل ابن عيسى "دارمندي" رسالة إلى الدوق "دي روفيغو" يقترح فيها ترك بونة–عنابة لأحمد باي الذي يقدم في المقابل التعامل الافضل لفرنسا. وفي انتظار الرد، قرر ابن عيسى تعليق العمليات العسكرية إلى تاريخ 20 مارس 1832.

(1)R. Bouyac, *"Histoire de Bône"*, 1897. p. 176

ويبدو أن الدوق "دي روفيغو" اقترح على باي قسنطينة نوعا من نظام الحماية مقابل تسليم بونة-عنابة للفرنسيين؛ ورفض أحمد باي هذا الاقتراح، لأن بونة-عنابة أساسية لمشروعه الرامي إلى احداث دولة جَديدة.

وفي الحقيقة وفي انتظار الامدادات، كان "دارمندي"، ربحا للوقت، وخلال عدد من اللقاءات بين الطرفين، يحاول ايهام ابن عيسى بإمكانية الاتفاق بين فرنسا و أحمد باي. "فدارمندي"، خوفا من سقوط القصبة بين أيدي رجال أحمد باي، حاول التسويف. ورفض ابن عيسى تمديد مهلة توقف العمليات العسكرية وكشف "لدارمندي" قراره لاحتلال القصبة ابتداء من يوم 26 مارس1832.

واستعمل "دارمندي" المراوغة ساعيا إلى سلب القصبة من براهم الذي كان بها أقرب إلى السجين والمعزول وهو محاصر بين ابن عيسى و"دارمندي". وانتهى براهم بفضل اعانة إلى الهروب ولجأ إلى مدينة بنزرت. وسيعود مستقبلا للالتحاق بأحمد باي للقيام بعملية على رأس مقاومي الإدوغ في نهاية سنة 1832، ولكنه فشل.

ولما لم تصل الامدادات إلى "دارمندي" الذي كان على علم بأن ابن عيسى يتهيأ لاقتحام القصبة، قرر الضابط الفرنسي ارسال يوسف على رأس "كومندو" يوم 27 مارس لآحتلال القصبة. وذاك ما وقع.

وكانت غلطة ابن عيسى أن ثاق في وعود "دارمندي" بيد أن ابن عيسى الذي لا زال مسيطرا على المدينة، وبعد أن سلم ابن الشيخ لسلطات قسنطينة، قام بمحاولة افتكاك القصبة يوم 28 مارس باءت بالفشل.

وبعد اخلاء المدينة من أهلها، احرقها ابن عيسى وانسحب. واستولى "دارمندي" على المدينة يومي اول وثاني أفريل 1832، ووصلته الامدادات الفرنسية في الثامن والتاسع من أفريل 1832.

وفيما يلى شهادة أحمد باي عن هذه الأحداث:

"ولم يفقد الفرنسيون أمل استرجاع عنابة (...)، فارسلوا إلى الميناء باخرتين محملتين بالجيوش تحت قيادة ضابط اسمه دارماندي واستغلت هذه الجيوش الفرصة فنزلت على الشاطئ. وقد بقيت أذكر اسم هذا الضابط لأن ابن عيسى، خليفتي، كان قد أقام معه بعض العلاقات فوجد ابراهيم نفسه بين استعدادات الفرنسيين المهددة بالخطر وهجومات ابن عيسى، فلم يجد مسلكا آخرا غير طريق الفرار، فغادر القصبة خفية بينما انضم من تركهم فيها إلى السيد دارماندي والمدعو يوسف المملوك.

وفي هذه الأثناء، وبينما كان ابن عيسى قد اقترب من القلعة، تأهبا منه للاستفادة من فرار ابراهيم، رأى أن الجيوش الفرنسية نزلت من مراكبها متوجهة إلى القصبة. وساعدها المحتبسون في هذه الاخيرة فتسلقت الحيطان. واعتقد ابن عيسى أن لا طائلة في

مواصلة هجومه، على الحين وجهت حملة ضده، وتم نفيه بعد أن القي عليه القبض"[1].

وحالما آحتلت المدينة والقلعة، انطلقت الحملة العسكرية الفرنسية في اتمام آحتلال المنطقة وقد دامت العملية إلى مابعد سنة 1850.

---

(1)"مذكرات أحمد باي"، ص. 27-28

المقاومة الشعبية

أفرغ الآحتلال الآستعماري المدينة من سكانها الذين لجاوا داخل البلاد، واخذت المقاومة تتنظم هناك.

وكانت هذه المقاومة قوية وعنيدة ويكفي دليلا على ذلك فيالق الجيش المحتل العديدة التي واجهت المقاومين.

وقد جندت القيادة العسكرية على الجبهة:

- الطابور الثاني لصيادي افريقيا
- الطابور الثالث لصيادي افريقيا
- الطابور الثاني لجيش المشاة الخفيف
- الطابور الثالث لجيش المشاة الخفيف
- الطابور 22 لجيش المشاة الخفيف
- الطابور 26 لجيش المشاة الخفيف
- الطابور 19
- الطابور 31
- الطابور 56
- الطابور 62

بغض النظر عن الكتائب الإضافية وكتائب اللفيف الأجنبي.

بيد أنه قبل تناول البحث في المقاومة نفسها، من الضروري تسجيل بعض الملاحظات التي تمكن من فهم طبيعة المقاومة.

من أسباب السهولة النسبية لاحتلال بلادنا سنة 1830 ذلك الذي يتصل بانهيار سلطة الداي العليا السريع وهو انهيار ناتج عن ضعف السلطة وتفتتها منذ مدة طويلة قبل 1830. فإن لم تتمكن من مواجهة حملة الملك شارل العاشرالعسكرية فذلك لا يعزى لكون سلطة الداي لم تؤازرها مختلف قوى البلاد.

وقد برزت اول ظاهرة لارادة المقاومة والجهاد عندما لبت نداء داي الجزائر مختلف التجمعات القبلية والطرق الصوفية في الشرق الجزائري وخاصة منها طرق اقصى الشمال الشرقي من البلاد.

وإذا لم يبلغ حكم الدايات مستوى المركزية فلأنه كان يسوس بلدا كانت الميزة الأساسية فيه عدم لحمة النسيج الاجتماعي الذي كانت البنية القبلية لا تزال تطبعه حيث اعتادت كل وحدة تحمل مصيرها بنفسها قبل 1830 وتخضع كل منها إلى سلطتها الحاكمة المستقلة.

وهذه السلطات، المتفرقة بطبيعتها، هي التي تتحمل غـداة 5 جويلية 1830 مقاومة الاحتلال الاستعماري. وعلى هذا الأساس فإن القبائل والطرق الصوفية، وفي بعض الأحوال بعض الإقطاعيين، اخذوا على عاتقهم في جهتنا الجهاد الذي استعمل جميع الوسائل للحيلولة دون انتصاب الاستيطان الاستعماري وتنظيمه السياسي الاقتصادي في بلادنا.

ويتشخص العمل باتباع الشعارات التي تضعها الطرق الصوفية التي أصبحت تحل محل الحكم الاعلى المنهار، وبرفض دفع الضرائب وبتخريب المنشآت الاقتصادية التي اقامها الاستعمار الاستيطاني وبالعمليات والكمائن ضد الجيش المحتل.

وقد تستعمل هذه الوسائل بصفة منعزلة، من طرف كيان معين، بمناسبة حدث معين، كرد فعل ظرفي ولكن بدون تخطيط مسبق: مثل ماكان الحال بالنسبة لحركات بني صالح وخرازة واولاد عطية ومرداس. ونجد أيضا مجمل هذه الوسائل تجتمع في نطاق خطة عامة، محكمة التركيب في ثورات جبال مجردة والإدوغ...الخ.

*

** **

الحركات الظرفية

آنتفاضة بني صالح

دارت حوادث هذه الآنتفاضة في منطقة الشافية (جنوب شرقي بونة-عنابة). عندما بادر الجيش الآستعماري بالتسرب إلى بلادهم في شهر أكتوبر 1835، دافعه بنو صالح بعناد. وإذ لم يكن الانتصار حليفهم أثناء هذه المجابهة فقد تظاهروا بالآستسلام. ولكنهم جددوا رد الفعل، سنة 1840، عندما قرّرت أجهزة الآستعمار استثمار بلادهم. إذ شرع في عملية مسح ودراسة الجهة تحت مسؤولية الكابتان "صاجي" (Saget). فقرر ابن شعيب وشيخ الزاوية علي بن جاب الله في مقدمة بني صالح الوقوف أمام تحقيق المشروع. ونظمت عملية بالقرب من قصر العشور أين اعدم الكابتان "صاجي" و"القَايِد" العميل وآخرون من طرف انصار ابن شعيب يوم 21 أكتوبر 1840.

فجهز الجيش الآستعماري حملة انتقامية شاركت فيها فرق من حاميات القالة وبونة-عنابة وقسنطينة. وابتداء من 22 ديسمبر 1840 تعرض وطن بني صالح لمدة عشرة أيام للتدمير، وكانت النتيجة خراب البلاد كاملا واحراق الدواوير والفتك بالسكان ونهب الحبوب والمواشي، وقد قدرت الخسائر بخمسمائة

ألف فرنك لسنة 1840. وقطعت رؤوس الشيخ علي بن جاب الله وستين من انصاره، ثم عرضت بسوق بونة-عنابة.

وبعد مضي أربع سنوات، في شهر أوت 1844، نهض بنو صالح من رمادهم تحت قيادة ابن قوام أحد اعضاد ابن جاب الله. فراح الجينرال "راندون" (Randon) يحاربهم فأسر ابن قوام وقطع رأسه يوم 25 أوت 1844.

وفي سنة 1852، حاول بنو صالح آنتفاضة أخيرة فهاجموا خلال شهر جوان فريقا مكلفا باستثمار بلادهم. وامتدت الحركة إلى جهة برال (بوحجار حاليا) و إلى الباردة وحتى إلى بلاد زردازة. ولما لم تقدر جيوش الجينرال "ماك ماهون" (Mac Mahon)، رغم قوتها، اخضاع بني صالح، راحت تدمر القرى و الدواوير في شهر جويلية 1852. و لإِذلالهم وضع وطن بني صالح تحت الحجز: فمن ذلك أن صودرت أراضي 277 ملاكا.

آنتفاضة خرازة

واستجابة للاستنجاد الذي طلبه الباي أحمد، هب قوم خرازة للجهاد في شهر مارس 1833. فهاجمت سرية من ألف فارس قوات الجينرال "دوزار" (D'Uzer). واستمرت الحركة إلى شهر أفريل 1833.

انـــتـــفـــاضـــة اولاد عـــطـــيـــة

وفي شهر أفريل 1833 قام اولاد عطية المقيمون بجهة بحيرة فزارة لمحاربة جيش الاحتلال.

انـــتـــفـــاضـــة قـــوم مـــرداس

وانتقل مشعل الجهاد في سبتمبر 1833 إلى قوم مرداس الذين حاولوا الوقوف دون آستيطان المعمرين فنظموا حملة في السهل الشرقي. فواجه قوم مرداس، يوم 12 سبتمبر، الجيوش الاستعمارية في منطقة وادي مفرق. واعاد أهل مرداس الكرة سنة 1844 إذ انضموا إلى ذوي ابن يعقوب الذين استقبلوا بينهم الباي أحمد بالحجار.

*

** **

فانعزال هذه العمليات، بالرغم من كثرتها، جعل من الممكن ومن السهل محقها السريع وبدون هوادة من طرف الجيش الاستعماري. إلا أن الأمور كانت اعسر عندما تعلق الأمر بالثورات المنظمة و المهيكلة.

الثـــورات الـــمنظمـــة من 1831 إلى 1847

إذ ظهرت حركة المقاومة في جهة بونة-عنابة في قالب ثورات عامة ومنظمة.

ثورة جبال وادي مجردة (1847-1831)

وقد كان الحسناوي من أكبر منشطيها. فعند انطلاق عملية آحتلال وطننا، كان يحكم منطقة جبال وادي مجردة التي كان يقطنها أساسا قوم الحنانشة، الحاج المبارك وابنا اخيه البخاري والحسناوي وذلك منذ سنة 1827.

وراينا فيما سبق أن المقاومة في مدينة بونة-عنابة نظمت حول *"الآنتفاضة المدنية"* التي تحالفت مع الحنانشة الذين اوفدوا *زمالة الأحرار* تحت قيادة الحسناوي التي هبت فدخلت المدينة أثناء سنة 1831 ومكثت بها أسبوعين.

ثم رجع إلحسناوي ورفاقه إلى منطقتهم أين تابعوا وضع عناصر المقاومة. وبعد تقلبات تجابه أثناءها جماعة الحسناوي وأحمد باي والتي مات أثناءها الحاج المبارك والبخاري، انفرد الحسناوي بقيادة هذه الثورة التي عم لهيبها جبال وادي مجردة من الحدود الجزائرية-التونسية إلى بلاد زردازة أين وجد الحسناوي في زعيمهم الشيخ الأكحل اول حليف له.

وحتى يضبط خطته، آنتصب الحسناوي بالكاف (بالقطر التونسي)، طوال سنة 1832. ثم عاد إلى إقليمه لتحسيس السكان. فتمكن هكذا من جلب جميع قبائل الشمال إلى حركته. كما يبدو أنه وصل إلى التصالح مع الباي أحمد لتشديد ضغط الجهاد ضد الآحتلال الآستعماري. فقام انصاره بالعمل في مناطق *مرداس* ومنطقة *القالة* من سنة 1832 إلى سنة 1836.

وحاول جيش الحملة الآستعمارية – تحت قيادة الجينرال "غالبوا" (Galbois)-القضاء على هذه الثورة سواء اكان اعتمادا على مناورات التفرقة اكان بواسطة العمليات الحربية؛ واخصها تلك التي كان يقودها الكمندان "جـــانـــي" (Jannet) الذي اجتاح إقليم الحنانشة ولكن اطرده منه الحسناوي وانصاره الذين طاردوه حتى وادي سيبوس في شهر فيفري 1839.

انتصر الحسناوي وجعل ينظم البلاد بإقامته لنواة إدارة امتد نفوذها على جبال وادي مجردة وعلى منطقة القالة. وعجز جيش الحملة الآستعمارية، إلى غاية سنة 1842، على الحصول على أي انتصار. وأصبح قطاع الحسناوي ملجأ جميع المقاومين للآحتلال الآستعماري وكذلك للجنود الهاربين من الجيش الآستعماري.

وحـــاول الجينرال "راندون" (Randon) في عمليـــة من 18 ماي إلى 15 جوان 1842، اخماد الثورة، وكانت ادمى مواجهة تلك التي وقعت في مضيق *عقبة التراب* وامتدت إلى *عين سودة*

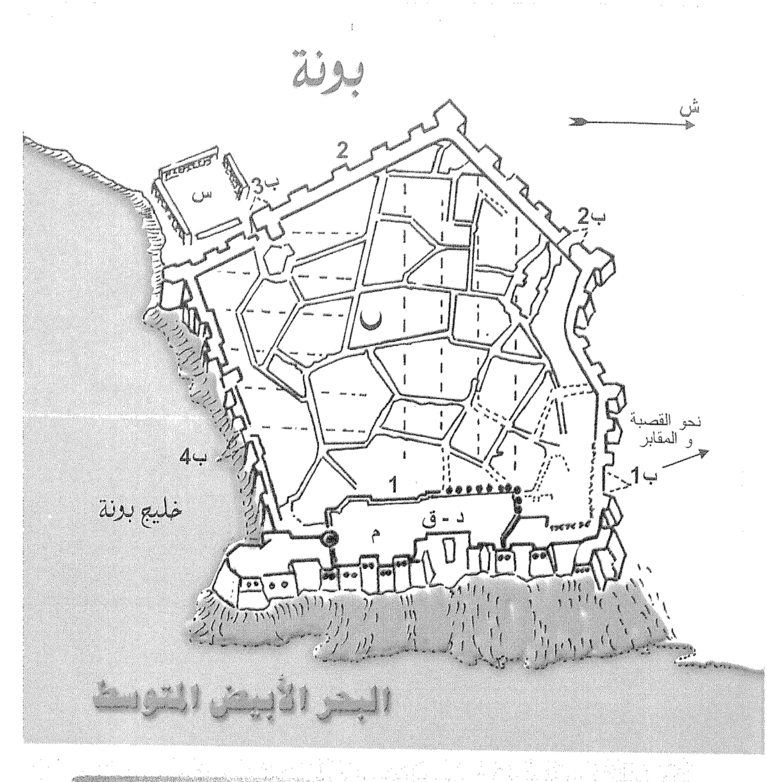
واجبر الجيش الآستعماري العاجز على الآنسحاب إلى قالمة.۰وقد تميزت بطولة الحملة الآستعمارية في نهب المواشي والحبوب ! وأصبح الحسناوي يسيطر على كامل المنطقة القائمة شرق الخط الرابط بين مدينتي بونة-عنابة وقالمة. وتبادل الرسائل مع الأمير عبد القادر لتنسيق عملهم، كما أنه وجد في كاهية الكاف حليفا صادقا يستعين به في ميدان العتاد الحربي. وبلغت ثورة جبال مجردة عندئذ اوجها.

وأمام هذه الوضعية اتى رد فعل جيش الحملة الآستعمارية تحت قيادة الجينرال "برغواي دي هيلير" (Baraguay d'Hilliers) الذي قرر الشروع في حملة عارمة اعتمدت على فرق ثلاثة: واحدة انطلقت من قسنطينة تحت قيادة الجينرال نفسه، والآخرى انطلقت من قالمة والثالثة من بونة-عنابة. وبهذا دفع الآحتلال الفرنسي إلى الواجهة بالطابور الثالث لجيش المشاة الافريقي الخفيف وبالطابور الثالث لصيادي افريقيا، وبالطابور الثاني لجيش المشاة وبالطابور 31 وبالطابور 61. وتقرر الهجوم العام يوم 25 ماي 1843، معتمدا على مركز سوق أهراس. واستمرت المعارك إلى يوم اول أوت 1843 وكانت من اطول المعارك واضراها. إلا أن العملية لم تؤد إلى النتائج المامولة من طرف الجينرال "برغواي دي هيلير".

وحاولت القيادة الآستعمارية، سنة 1844، خلق سلطة مضادة في قلب المنطقة الثائرة حتى تجر السكان إلى قبول المحتل

وفي الآن نفسه سلطت الرعب على القبائل الحليفة للحسناوي منها اولاد سيوان- وعلى رأسهم المرابط سيدي عبد الحفيظ- واولاد يحيى بن طالب سالبة جميع ما يملكون وخاصة مواشيهم، وامتدت سياسة الرعب إلى المناطق القائمة بين وادي ملاق والسفح الشمالي لحوض وادي مجردة. كما قام الجيش الاستعماري في نفس الوقت بعملية تجزئة القبائل وتقسيمها وابعاد الفروع من القبيلة الواحدة عن أرضها الأصلية. ولكن هذه السياسة لم تؤثر في معنويات المقاومة.

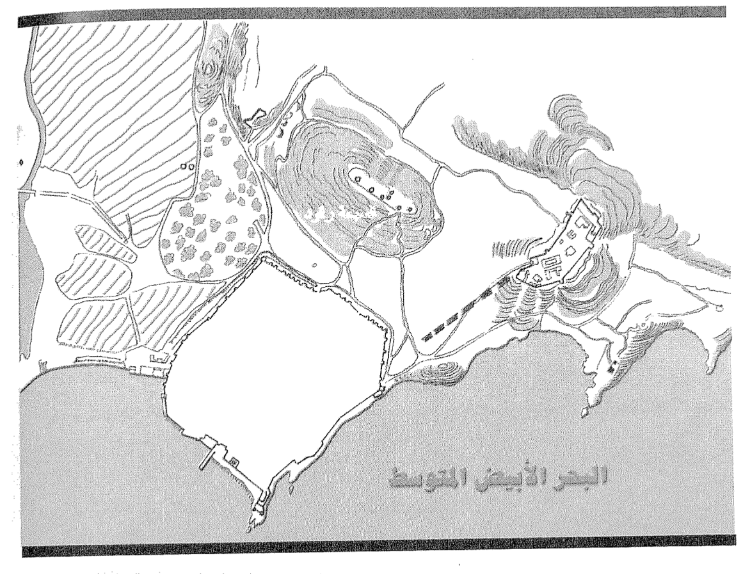
فآنسحب الحسناوي إلى ساقية سيدي يوسف وقام ينظم هجوما جديدا سنة 1845، موسعا في الجبهة الحربية إلى تبسة أين اباد اولاد يحيى بن طالب سرية من سرايا الجينرال "راندون" الذي كان يعتقد أنهم استسلموا. ودارت الواقعة في منطقة *الدير* وعلى الخصوص بالمعسكر القائم *برأس السطح*، خلال شهر جوان1846. وعندما قرر جيش الحملة الاستعمارية الثار في شهر جوان 1846، واجهه الحسناوي على رأس تحزب يتكون من الحنانشة والنمامشة وقبائل تونسية هبت لتعزيز الثورة ومنها ورغمة وبوغانم... بمؤازرة من ولاة الكاف وباجة. ووقع القتال في الموضع المسمى *بسيدي محمد الخميسي*. وإثر هذه المعركة أقام الحسناوي بين النمامشة إذ أنه لم يتمكن من التوجه إلى ملجئه بالتراب التونسي لأن باي تونس-نزولا عند ضغط الفرنسيين-اقال حاكمي الكاف وباجة و أغلق الجدود.



الآصطلاحات

2 : الاسوار	**1** : سور دار الحاكم	◡ : الجامع العتيق
م : مسجد الرباط	**د - ق** : دار القائد	**ب1- ب2 - ب3 - ب4** : ابواب المدينة
الاحياء السكنية	احياء الاعمال	**س** : السوق الاسبوعي

خريطة بونة سنة 1607



الآصطلاحات

ز : زاوية

فـ.ج : فرن جير

ج : جنان

1 إلى 4 : ابواب المدينة

5 --: موقع الجدار القديم الذي كان يربط القصبة بالمدينة حسب خريطة 1607

بونة و قصبتها، استنادا الى خريطة وضعها الجيش الفرنسي يوم 18اوت 1830

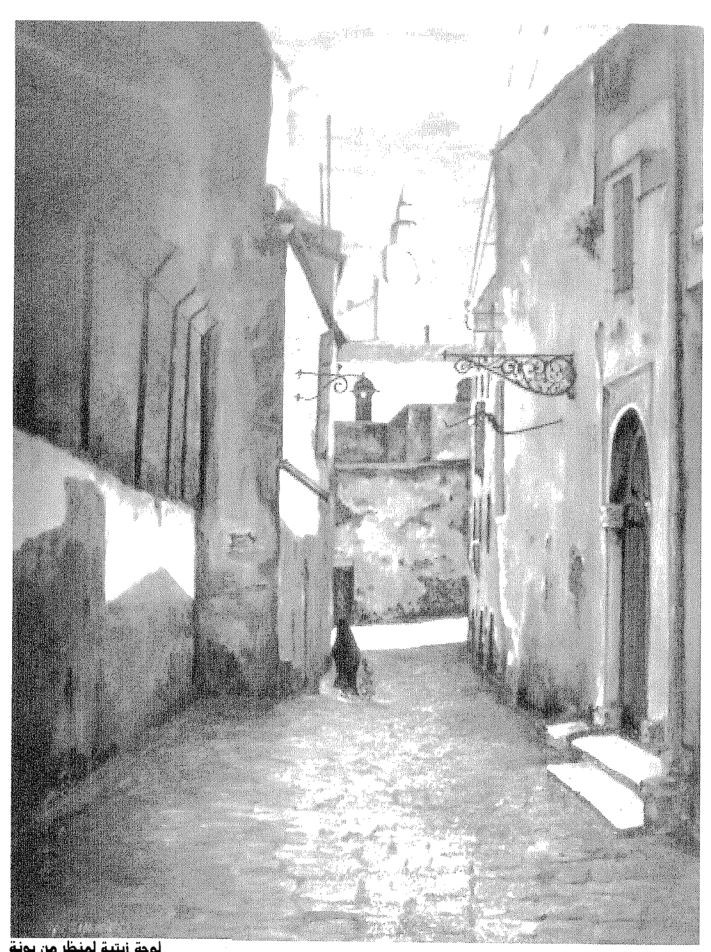


خريطة بونة حوالي 1840



حي من بونة اثناء القرن التاسع عشر

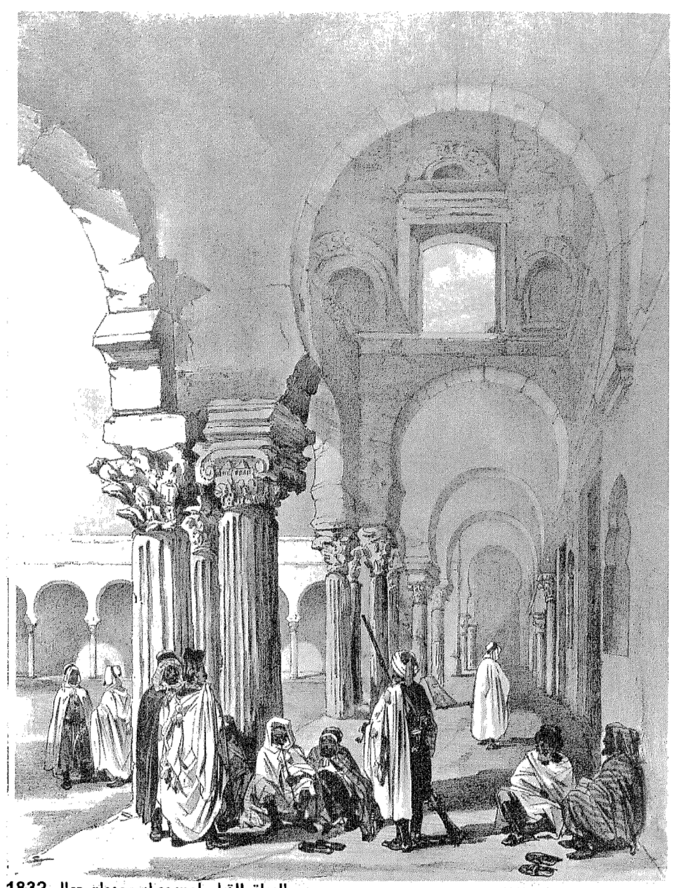
حي من بونة اثناء القرن التاسع عشر



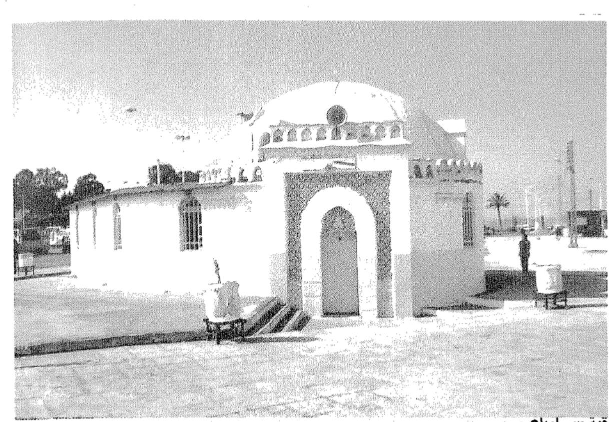
لوحة زيتية لمنظر من بونة


مسجد ابي مروان


صحن مسجدي ابى مروان حوالي 1832



الرواق القبلي لمسجد ابي مروان حوالي 1832



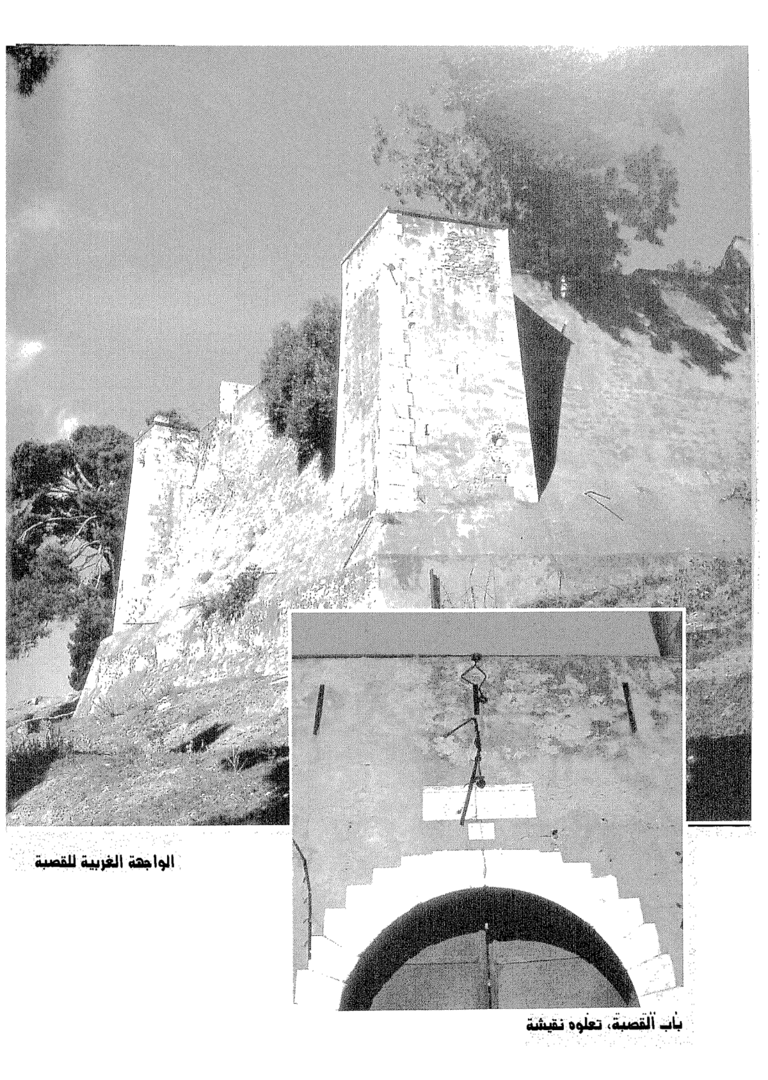
قبة س. ابراهيم



مسجد الباي

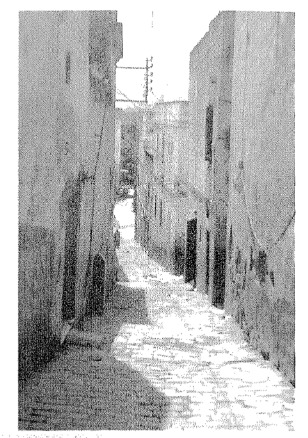


قاعة الصلاة بمسجد الباي اثناء القرن التاسع عشر



الواجهة الغربية للقصبة

باب القصبة، تعلوه نقيشة

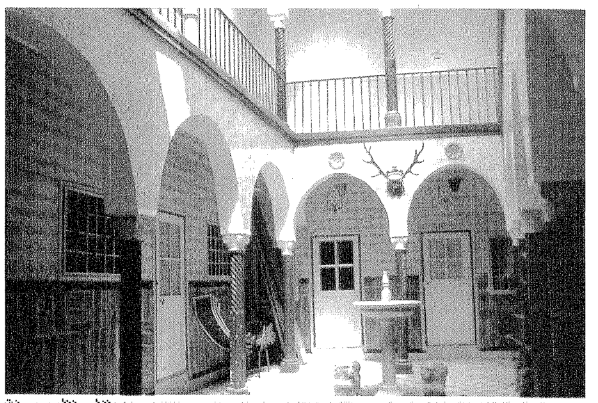


نهج من بونة

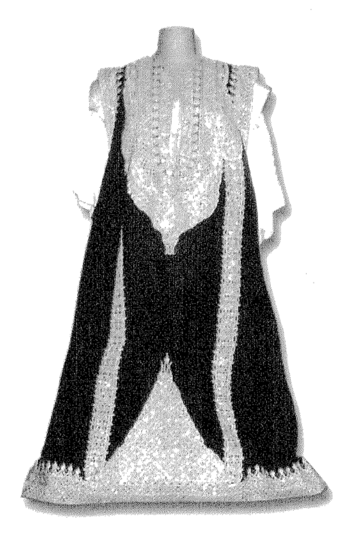




واجهة دار عائلة سلامي



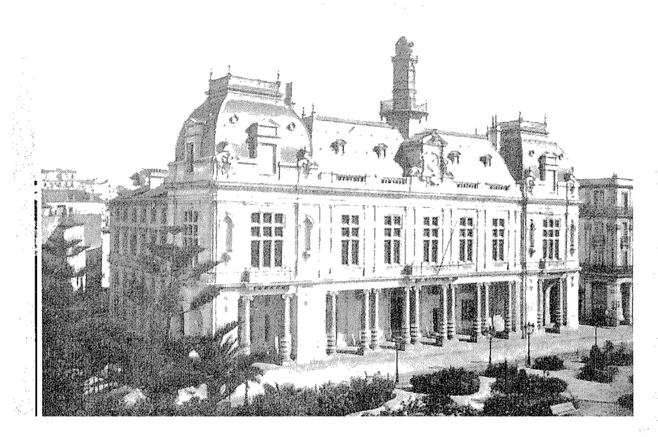
فناء منزل من بونة



قندورة من نهاية القرن التاسع عشر



نهج الاخوة بوشريط - بونة 1979



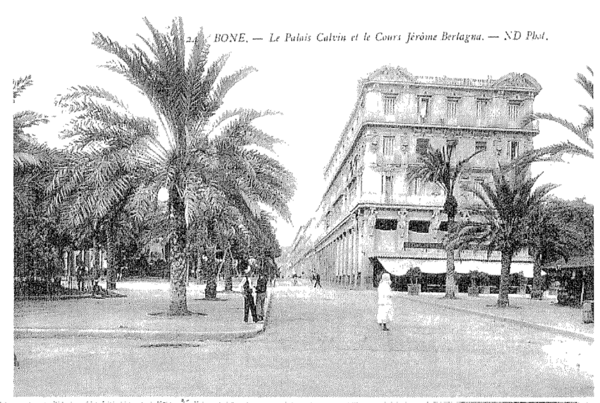
دار البلدية (1884)



قصر "لوكوك" (السردوك)، عند اوائل القرن العشرين

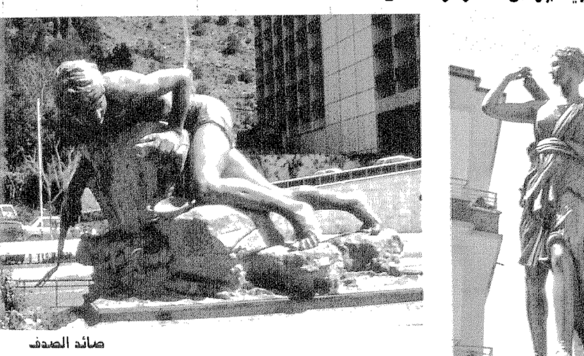


المسرح



قصر "كلفين" عند اوائل القرن العشرين

الامتداد الاعماري "لبون" الى الشمال من 1900الى 1962



صائد الصدف

"ديان" الصائدة (الغزالة)

وفي شهر مارس 1847، جهزت حملة ضخمة ضد الحسناوي منطلقة من بونة-عنابة وباتنة، فاضطر بطلنا إلى التوجه إلى الصحراء وهناك وأمام الامر المقضي، اجبر على وضع السلاح خلال شهر جوان 1847. وسجن اولا بمدينة بونة-عنابة، ثم بعد محاولة فاشلة في استعماله، نقله الحكم الآستعماري إلى جزر"سانت مرغريت". وتوفي الحسناوي سنة 1853، في منطقة قسنطينة.

*

** **

ثـــورة جـــبـــال الإدوغ

وحينما كان الحسناوي يقود المقاومة شرقي وجنوب بونة-عنابة كان الشيخ زغدود يحرض الجهة الغربية على الثورة من بونة-عنابة إلى القل. وفرضت عمليات المقاومة وجودها في الإدوغ، أثناء شهر جوان 1841، مواجهة للجيش الآستعماري الذي كان يحاول فرض صنائعه على رأس المنطقة.

وبحكم وضعيته تولى الشيخ زغدود إدارة شؤون مواطنيه أمام الغزو، وتحين الشيخ زغدود فرصة عملية قمع لابتزاز الضرائب يقودها الليوتنان "ألـــوم" (Allaume) لاعدام هذا الأخير يوم 20 جوان 1841، فاعلنت الحرب ومكنت هذه العملية من استرجاع الأموال والمحاصيل التي سلبت من فلاحي المنطقة.

وفشل الجينرال "لافنتان" (Lafontaine) الذي انطلق من بونة-عنابة يوم 21 جوان في محاولة الانتقام، ولكنه امر باحراق مساكن القرويين. ثم وسع زغدود عمله إلى بلاد زردازة الذين قادهم في دفع غزوة آستعمارية لمدخراتهم من القمح. وانتهت حركة زغدود إلى جلب انخراط جميع أهل الإدوغ الذين رفضوا الولاء لجميع "القِيَّاد" المعينين من طرف السلطة الآستعمارية. وحينئذ ضاعف زغدود على رأس فرسانه الضغط على جيش الحملة الآستعمارية ومحاولات الآستيطان الآستعماري في الأرياف. وامتدت عمليات المقاوميين إلى أبواب مدينة-عنابة أثناء شهر سبتمبر 1841.

وحلت الأشهر الحرم. وآنتصب الشيخ زغدود وانصاره في ديار بني محمد طالبين الاستراحة خاصة أثناء شهر رمضان (نوفمبر 1841). وفي تلك الأثناء عمدت قيادة الحملة الآستعمارية إلى الجينرال "راندون" الذي اتصل بامر صارم من "بوجو" (Bugeaud) لوضع حد لهذه الثورة التي قامت منذ ستة أشهر. فحاول "راندون" عملية هجومية ليلة عيد الفطر. وغشيت جيوش الطابور الثاني لصيادي افريقيا والطابور الثالث لجيش المشاة الخفيف، يومي 14 و15 نوفمبر 1841، احلاف زغدود ورجاله وهم يحتفلون بالعيد. وزرعت جيوش "راندون" في قوم بني محمد، الفتك والنهب والدمار. وحسب "راندون" أنه سيأخذ زغدود غرة

أثناء الاحتفال بالعيد، ولكنه لم يتمكن من زغدود و مقاوميه.

وتحول شتاء سنة 1842 إلى جحيم على جيش الآحتلال. فنظم الشيخ زغدود تجمعا ضخما بسوق الثلاثاء في موطن بني اسحاق. وكانت شعارات الجهاد تنطلق من هناك. وتمكن هكذا من السيطرة على المحاور الرابطة بينه وبين بونة-عنابة وسكيكدة وقسنطينة. وقام الجيش الآستعماري من 1 إلى 4 ماي 1842 بحملة ضد مركز سوق الثلاثاء بقيادة الكولونيل "بريس" (Brice)، بدون جدوى. وتقهقر الكولونيل بكل سرعة خوفا من سقوط سكيكدة بين يدي الثوار. ولم يسعفه الحظ ثانية إذ أن زغدودا وجيشه تفوقوا على الجيش الآستعماري في معركة *وادي قبلي* أين هَزَمَ ثلاثة ألاف مجاهدٍ الطابور 19 لجيش المشاة الخفيف والطابور الثالث لجيش المشاة الخفيف. واغتنم الشيخ زغدود هلع المحتل مناديا للتعبئة العامة فالتحق به انصاره من كل صوب وحدب. وامر الشيخ زغدود بالقيام بعمليتين في آن واحد ضد معسكر *الحروش* وحصن *الديس* يوم 20 ماي 1842، على رأس جيشين ضمّا حوالي سبعة ألاف جندي: وبرهن بذلك على قوة المقاومة. ووجد الجيش الآستعماري نفسه محاصرا داخل معسكريه. وحتى يؤكد الشيخ زغدود سيطرته في الميدان، اقام مقر قيادته بالقرب من مركز *الديس*. ومن هناك فرض سلطته وراقب جميع المسالك: وقد اسند هذه المهمة لأحد اعضاده وهو ابن زعطوط.

وعندئذ وضع زغدود خطته للهجوم على سكيكدة. ونظم ثلاثة جيوش للقيام بالعمليات: احدها تحت امرته هدفه آحتلال مضيق *الديس* لقطع الطريق الرابط بين قسنطينة وسكيكدة، والثاني بقيادة عيسى بن عراب آنتصب *بفج الزيتون*، والثالث اخذ بمصير جهة وادي صفصاف وانضم إلى امدادات زردازة تحت قيادة الشيخ الأكحل. وكلف بمناوشة منشآت سكيكدة الآستعمارية ابن غذى الذي ترأس المقاومين من صغار الفلاحين الذين كانت زراعتهم وأملاكهم معرضة لتخريب الجيوش الآستعمارية. وكانت التحضيرات في ميدان العتاد الحربي مكثفة : فكانت قوافل البارود تأتي بالعدد الوافر وكذلك قوافل البنادق، وتحصل الجيش على قطعة مدفعية وذخيرتها جلبت من القل. كما أُستُعْمِلَ الاسرى الأوربيون في صنع قطع من المدفعية.

إلا أن الحملة الآستعمارية المضادة المنظمة في شهر جوان 1842 تحت قيادة الجينرال "لوفسور" (Levasseur) اختارت ميدانا آخرا: وهو من جهة المساس بالمواشي بغزوها ومن جهة اخرى النيل من الحصائد بإتلافها. وآنتابت "الحرب الاقتصادية" خاصة بني صالح وبني اسحاق. وبذلك اغتنم الجيش الآستعماري موسم الحصاد لإرهاب أهل الريف والحاق الخراب بجهدها ومعيشها. فغيرت الثورة إذن خطتها لتمكين الفلاحين من جمع حصادهم وتخبئة انتاجهم ومواشيهم. وارسل عيسى بن عراب أحد اعضاد

"زغدود" انذارا إلى الجينرال "لوفسور" إنّه: "لو سمح الفرنسيون لأنفسهم أن يخربوا أي شيئ في البلاد سيحرق آنا كامل المنطقة من قسنطينة إلى سكيكدة"[1]. ولكن جنود الجينرال "لوفسور" كانوا قد شرعوا في عمليتهم التدميرية محرقين كامل قرية عرب *الحامة* ومبيدين لحصائد *الحدرات*: فكان خراب وطن بني اسحاق إلا ماندر. كما سلب جيش الأحتلال وطن زردازة من كامل حصائدهم ومواشيهم.

وفي انتظار الامدادات التي وعد بها الباي أحمد المقيم بالأوراس، آنتصب الشيخ زغدود بين بني مهنّة وعاد إلى خطة حرب العصابات التي كلف بها عضده ابن زعطوط خلال جويلية 1842 في غربي الإدوغ وعضده ابن عبد العالي يساعده رجم قائد احدى الفرق في اتجاه قسنطينة.

وعند انتهاء الحصاد في شهر أوت، استأنف الشيخ زغدود هجومه الذي ركزه على الخط الرابط بين *الحروش* وسكيكدة، منطلقا من مركز *الديس*. واحتفظ الشيخ زغدود ورفاقه بالسيطرة على سير العمليات إلى آخر سنة 1842. ولكنه فقد أحد اعضاده الأكثر مبادرة ابن زعطوط يوم 13 ديسمبر. واستعادت قوات الثورة تنظيمها واستأنفت الهجوم خلال جانفي 1843 مستغلة فصل شتاء شديد، وسط ميدان جبلي وغابي وعر لا تخفى عليها وعورته

---

(1) المجلة الافريقية Revue Africaine، 1875. ص. 244.

وأين لاقى جيش الحملة الآستعمارية كل الصعاب للتحرك فيه.

وفي سنة 1843 هذه، كلفت السلطة الآستعمارية الجينرال "برغواي دي هيلير" بمحاربة الثورة. ووضع الجينرال خطة هجومية- سيعيد تطبيقها ضد الحسناوي بعد شهر- تقوم على عمليات عديدة تنطلق في نفس الوقت. فأما الجيش الاول انطلاقا من بونة-عنابة زحف جنوب بحيرة فزارة للهجوم على قسنطينة القديمة *(زيت انبع)* متوجها نحو *سوق السبت*، وزحف جيش آخر قادما من سكيكدة على الحروش وعلى *مرج الماثل* وعلى *سوق الخميس*، وجيش ثالث من قالمة، هجم على *السبيب* ثم على *وادي مازيغ* (الواقع بين جبل *الدباغ* وجبل *طاية*)، أما جيش الجينرال المنطلق من قسنطينة فزحف جنوبا في اتجاه *سوق الخميس* للالتحاق بالجيوش الاخرى؛ وأخيرا وقف جيش حامية *الديس* وحامية *الحروش* معترضا لكل امداد يمكن الورود من *القل*. ويتكون ميدان هذا الهجوم المضاد من وطن زردازة ممتدا في قلب الإدوغ إلى رأس الحديد. واعتمدت طريقة الجيش المحتل على الرعب الاقتصادي إذ اختار كموعد للهجوم موسم الحرث والبذر لاتلاف ونهب الخيرات الزراعية ومواشي الفلاحين. وإضافة إلى ذلك كان يقوم بعمليات القمع. وفي مرحلة ثانية هوجمت مختلف العناصر المكونة للثورة كل منها على انفراد. فكان العنصر الذي يمثل قلب الحركة، قوم زردازة، اول من غلب على امره؛ وآخر

قلعة للمقاومة واصلبها هي الإدوغ الذي اكتسح حتى يرفع عن بونة – عنابة ضغط حركة الشيخ زغدود. فقد آنتصب هذا الأخير– لا يقوى العدو على الظفر به – في ميدان كفاحه الاساسي. وكان يدير حركته من مركز قيادته المقام في زاوية *سيدى عكاشة*. وهناك غشيته مختلف جيوش العدو يومي 27 و28 فيفري 1843. وافتكت القوات الآستعمارية الزاوية وسقطت بين ايديها سبعة سناجق. إلا أن الشيخ زغدود تمكن من الافلات من الحصار في اتجاه القل؛ فتحولت العمليات. الحربية إلى مطاردة رجل انتهت بموت الشيخ وسلاحه في يده، في لـــيلة 2 إلى 3 مارس 1843. وكبرهان على موته – إذ أن الشعب لم يقتنع بذلك – حز رأسه ويده الحاملة لجرح كان اصابه عند واقعة الهجوم على الحروش، وعرضت في قسنطينة والحروش وسكيكدة و بونة–عنابة.

*

** **

ثـــورة الــمــســتــضــعــفــيــن

وكان حامل لوائها بالحربي. وكان سقاءً متواضعا ببونة–عنابة من رواد طريقة صوفية. وعند آحتلال المدينة من طرف الحملة الآستعمارية، بالغ جنودها في خيلائهم العنصري وأكثروا من الإهانات في حق سكان المدينة. وتعرض بالحربي للإهانة والشتم يوما أمام مقهى بساحة السلاح. فبادر بتأديب الضابط المهين

اقسى تأديب، وبعد أن تعرض لجراح غادر بالحربي المدينة لتنظيم وتسيير حرب العصابات ضد جنود العدو والمعمرين الذين اخذوا في الآستيطان. وهذه الحرب تمثل ثورة شعب متواضع ومستضعف راح ينضم لكامل مراكز المقاومة التي اشتعلت نيرانها في المنطقة.

وآنتصب بالحربى بالإدوغ متحالفا في بداية الامر مع عائلة ابن يعقوب، ثم على الخصوص مع قوم صنهاجة الذين انخرطوا في حركة المقاومة متبعين في ذلك الباي أحمد. وبينما كان صنهاجة يقومون بالعمليات الحربية الواسعة النطاق، وخاصة ضد الجينرال "دوزير"، بين مارس وأفريل 1833، اتبع بالحربي أسلوب العمليات السريعة لحرب العصابات. فكان نوعا من "العادل" لم يدع – على رأس فرق قليلة من الاتباع – الحاميات العسكرية الآستعمارية والمعمرين، في ريف بونة-عنابة وعند أبواب المدينة، يقرون عينا وينعمون بالهدوء لا في الليل ولا في النهار.

واثر خيانة، يوم 10 أوت 1836، وبعد قتال مستميت على دروب جبل الإدوغ القريبة من المدينة، قتل بالحربي وقطع رأسه. ويقال أن رأسه الذي عرض ببونة-عنابة، قد اخذه الشعب ليلا، وبعد كفنه مع الجسد دفن في المكان الذي أصبح بعد مقبرة سيدي حرب.

*

** **

بيد أنه بالرغم من أن ميزة هذه الثورات الثلاثة تبقى التشتت الناتج عن تجزئة السلطة، لابد من الاعتراف –رغم قلة الوثائق – أنه قد وجد، خاصة بين حركتي الحسناوي وزغدود، نوع من الاتصالات. فإننا نلاحظ مثلا تدخل شخصية– وهو الشيخ الأكحل زعيم زردازة – الذي ربما كان الواسطة بين حركتي الحسناوي وزغدود وذلك لموقعه الحغرافي بين مركزي الثورتين؛ فمن الممكن أن قام الشيخ الأكحل بدور المستشار الروحي لهاتين الثورتين؟ ويجدر بنا هنا أن لا نتهاون بالجانب الطرقي الصوفي، لأنه عموما تنتمي مختلف الزاويات في المنطقة إلى عائلة القادرية الروحية. ومن جهة اخرى فالثورتان كانتا على اتصال بالأمير عبد القادر وهذا أيضا يمثل علاقة اكيدة بين الإثنين.

ومهما كان الأمر، فهذه السلطات وبالرغم من تشتتها اخذت على عاتقها المقاومة إلى اقصى امكانياتها.

تأسيس النظام الآستعماري

استمرت المقاومة رغم تقطعها من بعد 1850. إلا أن الفشل فرض نفسه وفي الواقع لم تكن الهزيمة هزيمة الشجاعة والإرادة والإيمان في عدالة المقاومة، بل انكسار عالم بقي غائصا في "وضعيته *الوسيطية*"مجابهاً قوات تغذت "*بالعصرنة*".

"فاقتُلِعَت " المدينة وإقليمها بعنف من القرون الوسطى إبتداء من 1832. ورمي بهما في عهد جديد بدون مشاركتهما الاختيارية.

التنظيم الإداري

ما إن انتصر حتى بادر الآستعمار اولا بتنظيم مؤسساته الإدارية. وأصبحت المدينة تسمى إبتداء من ذلك الوقت وطيلة العهد الآستعماري "بون" (Bône) وهي فرنسة للتسمية الاصلية.

وفي انتظار قدوم جينرال تعهد "دارمندي" بمسؤولية الحامية العسكرية وتسيير الإدارة. وكان همه الاول تنظيم جهاز الأمن العمومي. فجند الاعوان من بين الأهالي يؤطرهم ضابط من الجيش يساعده مصطفى بن كريم الذي تعهد كذلك بمهمة ترجمان.

ثم عين الجينرال "دوزير" (D'Uzer) على رأس الحامية. وبموجب قرار 20 أفريل 1832، نصب "دوزير" مديرا مساعدا (Sous-intendant) مهمته الشؤون المدنية والعدلية، كما نصب محافظ الشرطة. وكُلِّف قاض بالنظر في المنازعات بين الأهالي

و"الكولون"، وفتح مكتب الجمارك. وأنشأ "دوزير" شرطة ريفية لحماية النازحين الاوروبيين. وفي شهر ديسمبر 1834 نُظِّم مجلس بلدي تحت مسؤولية المدير المساعد يعينه في ذلك شيخ بلدية (Maire) معين.

وقسم قرار اول نوفمبر 1838، إقليم بونة-عنابة إلى أربع دوائر (Cercles)، اثنان منها تهم ولاية عنابة الحالية مباشرة وهي *دائرة بون و دائرة الإدوغ*:

- "و ياتمر حاكم دائرة بون باوامر القائد الأعلى لإقليم قسنطينة ويتلقى منه اوامره مباشرة". (البند 2)

-"إن حكام الدوائر الخاضعين للإدارة المدنية لا يخضع لسلطتهم إلا السكان الاهالي". (البند 3)

-"يوضع السكان الاهالي في كل من دوائر بون والقالة والإدوغ تحت اوامر قَايِد يبقي تابعا للحاكم العسكري للدائرة...". (البند4)

وبالرغم من احتفاظهم بالبنية القبلية التقليدية، فقد أُخْضِع السكان للحكم العسكري الذي نزع من المؤسسات التقليدية شخصيتها القانونية. واستطاعت الإدارة الآستعمارية وضع جهاز استغلال جبائي وعقاري؛ وقد نظم القرار المذكور اعلاه قانونيا هذا الاستغلال:

"يستخلص العشر والزكاة من جميع القبائل المقيمة في البلاد التي تحكمها السلطات الفرنسية. ويمنح قَايد الدائرة ثلث العشر

(...) وعلى القياد دفع الجباية لحاكم الدائرة العسكري (...) وتقع الدفعات في ثكنة صاحب الدفع، بمحضر المجلس الإداري للإقليم، الذي نظمه قرار هذا اليوم..." (البند 5)

- "ويدير شؤون أملاك البايلك والأملاك المحجوزة مجلس إدارة إقليم بون؛ ويقع كراؤها بالمزايدة العلنية وتدفع مداخيلها للخزينة". (البند7) [1]

وأنشئ مجلس إدارة للإقليم (Arrondissement) يوم 3 ديسمبر 1838 : ومن دوره أن يراقب استخلاص الضرائب وأن يستحوذ على أملاك الدولة الجزائرية وعلى أملاك القبائل المحجوزة.

ويتكون مجلس الإدارة من نائب مدير المقاطعة (Province) ومن رئيس مصلحة الأملاك العمومية ومن قابض الخزينة.

واخذ المعمرون في التهافت، اغلبهم من المالطيين والإيطاليين. ففي سنتي 1832-1833 بلغ عددهم ثمانمائة إلى جانب الألف أهلي والألف يهودي.

وأُحْدِثت البلدية بموجب مرسوم أفريل 1845. فكان شيخ المدينة، تحت وصاية السلطات المدنية، ضابط الحالة المدنية؛ كما كان مكلفا بالشرطة القضائية وبالسهر على تنفيذ القوانين التنظيمية في مجال حفظ الأمن. وارتقى حوز عنابة-بون إلى صف مجال

(1)Maitrot, *"Bône militaire"*, p. 355

بلدي (Commune) يوم 31 جانفي 1848، وعلى رأسه شيخ المدينة ومساعداه طبقا لقانون تنظيم البلديات بالجزائر (28 ديسمبر 1847)؛ ويعين شيخ المدينة من طرف الحكومة.

وتطبيقا لمرسوم 9 ديسمبر 1848، انشئت بعنابة-بون نيابة-عمالة (Sous-préfecture).

واسست الحجرة التجارية في شهر جوان 1949.

واعيد تنظيم جهاز الشرطة يوم 13 جوان 1851. ويدير الجهاز محافظ يساعده كاتب وترجمان ومفتش شرطة وعونان من الطبقة الثانية وعون اهلي.

كما اعيد، تنظيم المجلس البلدي يوم 3 جويلية 1854. ويرأسه شيخ بلدية ونائبان يعينهم الإمبراطور "نابليون الثالث" (Napoléon III). كما يتكون المجلس من عشرة مستشارين: منهم ستة فرنسيين واجنبيان ومستشار أهلي ومستشار يهودي، وعين هؤلاء المستشارين الحاكم العام.

وعند زيارة "نابليون الثالث" للمدينة سنة 1864، طرحت مسألة ترقية عنابة-بون إلى صف عاصمة لعمالة (Département) سيبوس ولكن بدون جدوى.

وفي سنة 1872، و تطبيقا لمرسوم 4 نوفمبر1871 ، قسم إقليم عنابة-بون إلى أربع كور (Cantons): كورة عنابة-بون وكورة عين ام الرخاء يشرف عليهما نائب العامل (Sous-préfet)،

وكــورة "مونــدوفي" (الذرعــان) يديرها مراقــب مدني (civil Contrôleur)، وكورة القالة الخاضعة للسلطة العسكرية لكونها منطقة حدودية.

*
** **

الاســتــغــلال الاقــتــصــادي

ومع وضعه للأجهزة الإدارية عاد الآستعمار إلى هدف وجوده الاول وهو الاستغلال الاقتصادي لثروات الجهة.

الاستغــلال المنجمــي

بادر هذا الاستغلال، منذ السنوات الاولى للآحتلال، إلى التنقيب والتعرف على المواقع المنجمية التي كانت-في الواقع- معروفة منذ قديم الزمان: فالجيولوجيون والنقابون انطلقوا مزدحمين نحو النحاس و الرصاص وخاصة الحديد. واستغلت في فترة اولى (1845-1863) مناجم الحديد ببوحمراء ومبعوجة وخرازة وعين ام الرخاء و كاف ام الطبول ومنجم النحاس بعين بربر.

وفي مرحلة ثانية (1890-1903) آستُغِل منجم الحديد بالونزة ومنجم الفوسفات بالكويف ومنجم الرصاص بمسلولة. وفي اطار التنازلات الممنوحة سنة 1845 لاستغلال الحديد الخام ببوحمراء وعين ام الرخاء (بالرحال)، فإن شركة "طالابو" (Talabot) احــدثت مسبكا جنوب المدينة بالقــرب من ضفــاف وادي سيبوس.

واستعملت.شركات الاستغلال، إلى نهاية القرن التاسع عشر م.، كيد عاملة السجناء والإيطاليين لأن الأهالي كانوا يرفضون العمل في المناجم.

واستوقفت وسائل النقل المرتبطة بالاستغلال المنجمي انتباه الرأسماليين. فشُغِّلت السكة الحديدية سريعا، ودُشِّن الميناء في مرحلته الأخيرة يوم 23 أفريل 1912 .

الاستغلال الفلاحي

وإذا لم يكن للاستغلال المنجمي وقع ملحوظ على المجتمع الجزائري في منطقتنا، فالاحساس كان شديدًا تجاه استغلال الأراضي التي كانت نتائجه مأسوية على الأهالي لأنه يمس بالأرض أساس حياتهم المادية. إن الجيش الآستعماري، منذ البداية، بالتواطئ مع مضاربين ومغامرين اوروبيين، استحوذ على الأراضي بعنوان "حق المنتصر". وآستُعْملت جميع الوسائل لاغتصاب الأراضي الفلاحية. ومن ذلك استعملت عمليات الشراء بأثمان بخسة. مثال ذلك الجينرال "دوزير" الذي تحصل على ألف ومائتي هكتار في سهل عنابة–بون بثمن ثلاثين ألف فرنك وعلى مراعي. "واشترى" الاخوة "نيكولا" (Nicolas) عشرة آلاف هكتار بنفس الطرق...

وإلى حد 31 ديسمبر 1850 بلغت مساحة ثلاث وخمسين ضيعة اوروبية 12.793 هكتارا.

ووقع الاستحواذ على الأراضي عن طريق إدماج أراضي الحبس في الأملاك العمومية وكذلك الحال بالنسبة للأراضي البور. وآستُعْمِلت وسائل اخرى : منها العزل الاجباري (Cantonnement) للملاك الجزائريين لابعادهم عن أراضيهم، وكذلك التنازلات الإمبراطورية التي أَضفَىعليها الشرعية قانون مجلس الشيوخ لسنة 1863 (Senatus-consulte). ومنها أخيرا استعمال سياسة حجز أراضي القبائل المقاومة ورؤساء الثورات، وهي سياسة اصابت الأراضي منذ سنة 1834. من ذلك أن حجزت أراضيَ مائتي ونسبع وسبعين مالكا جزائريا. وأثناء سنة 1872 قامت مجموعة من عمليات الحجز في منطقة القالة وحُجِزَت مائة وثمانية وخمسون هكتارا كانت ملك الكبلوتي الذي ثار في منطقة سوق أهراس سنة 1871...الخ، واستحوذ أيضا على الغابة، ففي سنة 1844 كُلِّفَت فصائل من الجنود الحطابين باستغلال خشب غابات الإدوغ.

التجـــارة

وتأكيدا لاستمرارية النشاط الذي بادرت به شركة افريقيا، فإن أحـــد وكلائها السابقين"رايمبرت" (Raimbert)، قـــام بحركة دائبة للحصول على العـــودة إلى صيد المرجـــان بمرســـوم

31 مارس 1832. واستأنف نشاط الميناء التجاري امتدادا للنشاط الماضي: "فأنشئ مكتب الجمارك (...) وتوسعت التجارة توسعا كبيرا إذ رخصت عمليات التصدير ببون للبواخر الأجنبية"[1].

وكانت قائمة السلع المصدرة، سنة 1838، طويلة، إذ بلغت قيمتها الإجمالية بفرنكات ذلك العهد 1.860.019، ومن بين السلع التي تحتل المرتبة الاولى المرجان والمنتوجات الحيوانية والجلود والأقمشة.

*

** **

الآستيطان الآستعماري

وعرفت عنابة-بون وجهتها قدوما تلقائيا أو موعزا للمعرين الفرنسيين والاوروبيين الذين منحوا جميع التسهيلات. وتقدم اللوحة التالية تطور هؤلاء السكان إلى بداية القرن العشرين وفيه اخذ عدد السكان في الاستقرار؛ وتخص الأرقام مدينة عنابة-بون:

1834= 800 معمر

1838= 2622 معمراً

1852= 11.083 معمراً

1873= 13.185 معمراً

1882= 19.458 معمراً

---

(1) Maitrot, *"Bône militaire"*, p. 322-323

1891= 21.003 معمرين

1902= 22.200 معمر

وتبين اللوحة التالية تعداد المهاجرين باختلاف عروقهم في ديسمبر 1855:

2.858	فرنسيا
2.081	مالطيا
1.399	إيطاليا
576	ألمانيا
190	إسبانيا وبرتغاليا
23	سويسريا
06	من مختلف العروق.

و أُنْشِئَت في نفس الفترة أهم مراكز المعمرين وهي :

* موندوفي/ *Mondovi* (الذرعان) : وكان اولا معسكر الحامية التي يقودها يوسف، انشئ في أفريل 1836.

* دوزرفيل/ *D 'Uzerville* (الحجار أو القحمصية): و قع انشاؤها يوم 12 فيفري 1845، معتمدة على 800 هكتار في صالح 52 عائلة.

* بوجو/ *Bugeaud* (سريدي): وقع انشاؤها يوم 3 جوان 1847، معتمدة على 162 هكتارا في صالح 24 عائلة.

* بنتيافر/ Penthièvre (عين الباردة): وقع انشاؤها يوم 26 سبتمبر 1847، معتمدة على 1400 هكتار في صالح 60 عائلة.

* *العلاليق*: وقع انشاؤها يوم 30 جويلية 1851، معتمدة على 262 هكتارا في صالح 34 عائلة.

حصيلـــة النظـــام الآستعمـــاري قبيـــل 1962

الإدارة الآستعماريـــة

أُحْدِثَت يوم 7 أوت 1955 عمالة عنابة-بون (Préfecture)، وضبطت حدودها الجغرافية في 30 ماي 1957. وغطت مساحتها إذ ذاك 22.403كم^2؛ وامتدت العمالة إلى حدود ولاية تبسة الحالية على مسافة 440 كم؛ وامتدت من الحدود الجزائرية التونسية شرقا إلى حدود ولايات قالمة وتبسة الحالية، أي على مسافة عرضها 160 كم تقريبا.

وشملت العمالة إلى غاية 1956 نوعين من البلديات: بلديات "ذات الممارسة الكاملة" (Communes de plein exercice) وهو النمط الفرنسي الأصلي وبلديـــات مخـــتلطة (Communes mixtes) وهو النمط الآستعماري الخاص بالأهالي والغيت البلديات المختلطة يوم 28 جوان 1956.

وعدد البلديـــات اثنان و ثـــلاثـــون جمعت في ست دوائـــر (Arrondissements) منها دائرة عنابة-بون. ووضعت على رأس البلديات "نيابات خاصة" (Délégations spéciales.) وقع تعيينها سنة 1957.

وقررت السلطة الآستعمارية تعويض النيابات "بمجالس بلدية" منتخبة سنة 1959، ولكن حالت معركة التحرير الوطنية

دون تحقيق "الانتخابات": إذ لم ينتخب إلا 15 مجلسا بلديا من 146 مجلسا تحت حماية الجيش الفرنسي. وكانت هذه الوحدات الإدارية الجديدة على مايبدو ترمي إلى الحلول محل هيكل الدواوير القديمة ولكن في الواقع كانت ترمي إلى وضع سياسة آدماجية.

الســكــان

وفي نفس الوقت الذي ارتقت فيه عنابة-بون إلى صف عمالة، كانت دائرة المدينة تعد حسب التقديرات 219.258 ساكنا منهم 50.733 معمرا، وكانت المدينة تعد 120.000 ساكن منهم 47.000 معمر.

الاقــتــصــاد

نظم الاقتصاد خدمة لهذه الأقلية الاوروبية. وعززت المحاور الأساسية للسياسة الآستعمارية المعتمدة على استغلال ثروات البلاد والتي وضعت غداة سنة 1832.

الــفــلاحــة

غداة الحرب العالمية الاولى انتظم "الكولون" في جمعيات كان لها الثقل في توجيه مخططات الزرع. فمورس الضغط اولا من طرف "الاتحاد الفلاحي لبون" المؤسس سنة 1919، متحالفا مع "المستودعات التعاضدية لماندوفي "لاجبار" الوكالة الفرنسية للتبغ

والكبريت" على شراء انتاجها من التبغ. وعندما انصهرت "المستودعات التعاضدية" و"شركة غارسي التبغ" لجهة عنابة–بون، تولدت سنة 1921 "تعاضدية التبغ" (Tabacoop) وهي أقوى تعاضديات الزراعات الصناعية. فهذه التعاضدية سيطرت على تسيير زراعة التبغ، وتعبئتها وتجارتها الداخلية والخارجية. وانتشرت هذه الزراعة في سهول عنابة وقالمة والطارف. وبلغت المساحة المفلحة تبغا 16.000 هكتار سنة 1953، انتجت 16.900 طن من الخام. وسيرت زراعة الطماطم الصناعية التعاضدية القوية الثانية، وهي "تعاضدية الطماطم" (Tomacoop) المؤسسة سنة 1922. وغطت زراعة الطماطم السهل على ضفتي وادي سيبوس. وبلغت المساحة 1.600 هكتار سنة 1955، انتجت 102.700 قنطار من الخام.

وكانت "تعاضدية القطن" (Cotocoop) المؤسسة سنة 1925 تسير زراعة القطن وتعبئته وتجارته. وتمركزت هذه الزراعة أساسا حول بحيرة فزارة وعلى الأراضي القائمة على ضفاف وادي بونموسة و الوادي الكبير وفي سنة 1955 انتجت 8.897هكتارا 2800 طن من القطن الخام.

واحتكرت تعاضديات كهوف الخمر (Caves coopératives) الكروم والخمر. وعدد التعاضديات ثمانية أسست بين سنة 1921 وسنة 1932، تبلغ طاقة تخزينها الإجمالية 164.000 هيكتولتر.

وكانت الكروم تغطي مساحة 9.800 هكتار منها 2.512 هكتارا تابعة للتعاضديات، تنتشر طوال وادي سيبوس و وادي بونموسة.

ووُجددت تعاضديات اخرى، أقل اهمية، كانت تراقب زراعة الحوامض والزيتون.

وشيدت مختلف هذه التعاضديات مستودعات ضخمة ومعامل جنوب المدينة، بالقرب من آثار هبون.

فوُجِّهت الفلاحة أساسا نحو الزراعات الصناعية والمضاربية. و لم تدرس سياسة احياء مناطق السقو لإقامة أشغال الري و لم يوافق عليها إلا تحت ضغط الحوادث التي شهدتها البلاد منذ نوفمبر 1954.

توزيع الأراضي حسب العناصر السكانية

دائرة عنابة-بون	الأراضي الفلاحية	المقاطع الغابية
- **الجزائريون**	65.831 هكتارا	7.276 هكتارا
- **المعمرون**	60.763 هكتارا	51.363 هكتارا

وتجدر الملاحظة أنه رغم المساحة التي يملكها الجزائريون، فالفلاحة بها بقيت تقليدية ولم تحظ بتطور التقنيات الحديثة. بل وضعت جميع الامكانات تحت تصرف المعمرين.

أما فيما يخص المقاطع الغابية، فهي في إطار القطاع الخاص محتكرة من طرف المعمرين الذين يستغلون زيادة على ذلك 164.464 هكتارا من غابات الدولة.

المناجم

انهك الاستغلال المفرط حديد منجم مقطع الحديد حوالي 1920. ولكن بطن أرض عنابة-بون يتوفر على مناجم النحاس والرصاص والزنك بعين بربر فشرع في استغلالها من أجل التصدير.

الصناعة

وحيل دون التصنيع الثقيل لفتح المجال لتصدير المنتوجات المعدنية الخام حتما. وأدى ضغط معركة التحرير الوطنية إلى وضع مشروع صناعة الصلب في إطار مخطط قسنطينة ولم ينجز المشروع.

أما الصناعة التحويلية فهي تمس قطاعات التصدير الوافرة الربح و منها صناعة الزيت ومعامل التصبير وصناعة الفلين أو معامل الإصلاح (مثل منشآت الشركة الشمال الافريقية للسكك الحديدية، SNAF).

التجارة

وقع تحوير منشآت مرسى عنابة-بون خدمة للحركة التجارية الآستعمارية الموجهة نحو تصدير المواد الاولية وجلب المواد الآستهلاكية. وغداة الأزمة الفلاحية من 1900 إلى 1920، وبعد انهاك مقطع الحديد ،اتجه الميناء إلى تصدير فسفاط الكويف وعلى الأخص حديد الوانزة. وفي حركة تصدير المنتوجات المنجمية والفلاحية وانتاج الصيد البحري تاتي عنابة-بون في الصف الثاني بعد الجزائر، والثالث بعد الدار البيضاء والجزائر فيما يخص حركة موانئ شمال افريقيا؛ أما بالنسبة للحركة في افريقيا فتقع عنابة-بون قبل دكار.

ويصدر الميناء المنتوجات المعدنية (الحديد والفسفاط) والمنتوجات الفلاحية والغابية (الخمور والحبوب والمطحونات والحوامض والباكورات والتبغ والفلين والحلفاء والقطن). أما الواردات التي تحتل مكانة كبيرة فهي الفحم الحجري والمحروقات ومواد البناء والمعادن المصنوعة.

من النهضة
إلى حرب التحرير الوطنية

النهضــة و الحركــة الوطنيــة
في جهــة عنابــة-بــون (1900-1954)

جعل العمل الآستعماري من الجزائر بلدا ذا الطابع الكولونيالي تحمّل السيطرة الأجنبية في جميع مظاهرها. وهدفت هذه السيطرة محو المجتمع الجزائري واجهاض الضمير الوطني. إذ انتصر الآستعمار نتيجة تأصله في العصرنة التي نعم بها وحده، فعطل تطور الأهالي وحال دون دخولهم الفعلي في هذه العصرنة. وهكذا حكم الواقع الآستعماري على الشعب الجزائري بالجمود فارضا عليه البقاء على عقلية متأخرة وذهنية ضلامية. فزاد العدوان الآستعماري في جميع مظاهره من سرعة تطور المجتمع الجزائري، رغم ماكان لهذا العدوان من جوانب سلبية. وفعلا فان تصدع الإطار التقليدي لمجتمعنا قد فتح المجال لمسار فرض الضمير الوطني الجزائري ومانتج عنه من وضع أسس ثورة سياسية وكذلك اجتماعية ثقافية.

المعطيــات الاجتماعيــة

إن تصدع الإطار التقليدي للمجتمع فتح المجال لميلاد مجتمع جديد. وقلصت سياسة الحجز المسلطة على تراث العروش من مساحة أراضي الجزائريين الفلاحية ففقد هؤلاء أراضيهم وتوجهوا

نحو الشغل اليومي على أراضي المعمرين أو نحو المدينة. وفي كلتي الحالتين تكون شبه بروليتاريا مُسْتَغلا اقتصاديا ومقهورًا سياسيا. وحتى المالك الصغير كان هو الآخر يقاسي نفس الاستغلال ونفس القهر. وفرض واقع اجتماعي جديد نفسه: وهو أن واجه الجزائري كوحدة سياسية واجتماعية ثقافية المجموعة والسياسة الآستعماريتين.

العمل السياسي المضاد للآستعمار

وتولد الوعي السياسي انطلاقا من هذا التطور. وتشارك عنابة-بون بقسطها عندما تبلور العمل المضاد للآستعمار عند بداية القرن العشرين. وتمثل جمعية *الصادقية* حركة "*الجزائر الفتاة*". وأُنشِئَت جمعيات للعمل من أجل التقدم الثقافي منها *المزهر البوني*.

عرفت إذن عنابة-بون هذا الاندفاع من أجل المطالب المضادة للاستعمار وكان من بين وجوهها في عنابة-بون محمد العزيز كسوس مؤلف الكتاب: "*الحقيقة* حول *المشكل الجزائري*"[1] من الكتب الكلاسيكية فيما الفه رواد هذه الحركة. ويبدو أن صحيفة "*لورالييمان*" (الالتئام Le ralliement) كانت من منابر المطالبة بالحقوق المدنية في عنابة-بون.

---

(1) *"La vérité sur le malaise algérien"* ; Bône 1935

وبينما كانت فئة "المتعلمين" تغتنم فرص الخدمة العسكرية الاجبارية لتجعل منها البديل للحصول على حق المواطنة الفرنسية، اتخذ الوعي الشعبي موقفا أكثر صلابة. فعنابة–بون مثل غيرها من الجهات الأخرى من الوطن تقف معارضة للتجنيد وتطورت هذه المعارضة إلى التمرد ثم إلى الثورة. وعرفت عنابة–بون هكذا من 1914 إلى 1916 عمليات جريئة.

ميــلاد الحركــة الوطنيــة

وتطورت الوضعية بين 1924 و 1936. وظهرت اتجاهات جديدة نحو التحرر في جميع الميادين. وزاد الوعي الوطني ومقاومته الثقافية والاجتماعية والسياسية صلابة. واستمر عمل التحسيس الثقافي بمدينة عنابة–بون بفضل مبادرات الجمعيات الثقافية أو المحاربة للآفات الاجتماعية مثل *"المزهر البونـي"*، *"رابطة الاعتدال"*... ومبادرات الاعيان المتعلمين الفردية والذين استعمل بعضهم الصحافة في ذلك مثال صحيفة *"بابا حنينـي بفرنك اشرينـي"*.

وأصبح المناخ ملائما للعمل الوطني والإصلاحي. فعند آنتصاب *"نجم شمال افريقيا"* بالوطن حوالي 1934–1935، تكونت جماعة من المحبين له في مدينتنا : "وتناقلت قوائم الاكتتاب لفائدة النجم في المدن الجزائرية. واشار محافظ شرطة عنابة أن رئيس

"رابطة الاعتدال" صخراوي حمدة كان يجمع المال ويضمن للمكتتبين اخفاء آسمائهم مطلقا"[1].

وفي سنة 1936 عندما آنتصب حزب "*النجم*"بعاصمة الجزائر، وشرع في العمل العلني، كان للحزب فرع بعنابة-بون من جملة الثلاثين فرعا المتواجدة عبر الوطن.

الحركـــة الوطنيـــة الراديكاليـــة

وعندما خلف "*حزب الشعب الجزائري*" "حزب *النجم*"، شاركت عنابة-بون في عمله و تكون فيها فرع له. و قبيل الحرب العالمية الثانية لما قرر حزب الشعب تدريب مناضليه على الحرب السرية كان فرع عنابة-بون من بين الفروع الأكثر اندفاعا إلى جانب قسنطينة وسكيكدة ووهران وتلمسان: "إذ تمكن حزب الشعب الجزائري من جمع المناضلين وأكثرهم من الشبان، ينتمون إلى الطبقات الحضرية المتواضعة من صغار الاجيرين وصغار التجار، وعمال المؤسسات الخاصة الصغيرة على الاخص، والعاطلين، وعلى العموم فهم من الرجال الاحرار لا يخضعون لكبار ارباب الاقتصاد وليسوا من موظفي الدولة، تحصلوا على المستوى الابتدائي في التعليم بالفرنسية أو العربية. فشباب هؤلاء المناضلين واستقلالهم الاجتماعي يبين إلى حد كبير موقفهم الراديكالي

M.Kaddache, "*Histoire du nationalisme algérien*"; T. I, p.35 . (1)

وتعاطفهم مع الوطنية الثورية..."[1]. وصادف الهزة الناتجة عن محاولة جديدة " للقيام بالثورة عن طريق القانون" صدى واسعا في عنابة-بون عند تأسيس حركة *"أحباب البيان و الحرية "*. وعاشت عنابة-بون، مثل مناطق الوطن الاخرى، ازدحام الآنخراط فيها وتأسيس فرعها "لأحباب البيان".

واخذ العنابيون بنصيبهم في يوم 8 ماي 1945 وتعرضوا إلى الآضطهاد الوحشي الذي جاء نتيجة لذلك اليوم.

المسيــرة نحــو الثــورة العنيفــة

تدعّمت مختلف تيارات الحركة الوطنية غداة ماي 1945. وعدت مدينة عنابة-بون مناضلين في صفوف أهم التشكيلات الوطنية والاصلاحية. فبطاقة عنابة-بون الوطنية انعكاس للبطاقة الوطنية وآنخرط في فروع التشكيلات مثل جمعية العلماء والاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري والحزب الشيوعي الجزائري الاعضاء والمحبون من مدينتنا ومنطقتها. إلا أن التشكيلة التي كان لها أكبر التأثير وفازت بتعلق الشعب *"هو حزب الشعب الجزائري/حركة انتصار الحريات الديمقراطية"*.

وكانت عنابة-بون في تخطيط الحزب التنظيمي، مقر احدى الولايات العشرة وهــذا دليل على أهمية عنابة-بــون في نظــام

---

(1)م. قداش، *"تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية"*، ج 1، ص. 513 M.Kaddache, *"Histoire du nationalisme algérien"*

"حزب الشعب الجزائري/حركة انتصار الحريات الديمقراطية".
وعند اعادة التنظيم الإقليمي التي اجراها الحزب، بعد أفريل 1953، اصبحت عنابة-بون *دائرة* تتولى شؤون مناطق القالة وقالمة وسوق أهراس وتبسة. أما في عنابة-بون فيتركب النظام كما يلي: في القمة توجد القسمة التي تشرف على فروع يدير كل منها مجموعة من الخلايا.

وفي هذا الإطار النظامي، تشارك عنابة-بون حثيثا في العمل، فانطلاقا من عنابة-بون كانت توزع التعليمات والصحف والمناشير. وفي إطار الكفاح السياسي تاخذ عنابة-بون بنصيبها كاملا. فعند عملية الآنتخابات الجهوية في أكتوبر 1951، لم يصوت من 5581 مسجلا جزائريا سوى 814، فبلغت نسبة الآمتناع 86 %. وهي نسبة تعطي فكرة عن مدى صيت *"حركة انتصار الحريات الديمقراطية"*في المدينة. وأثناء الاضراب الذي نُظِّم في ماي 1953 من اجل تحرير المساجين السياسيين من مناضلي الحزب: "اضرب العديد من عمال مختلف المؤسسات وعمال المرسى، كما اغلق التجار دكاكينهم (...)، وكانت حركة انتصار الحريات الديمقراطية تعتمد على قاعدة اجتماعية واسعة. فكانت موجودة بين الفلاحين، وبين شبه البروليتاريا الحضري وبين الطبقة العاملة من عمال الموانئ وسائقي عربات النقل، وعمال المناجم وعلى الاخص العاملين الاحرار(...)، وكادت مراقبة

الحزب على الثانويات والمعاهد تكون شاملة (...)، كما كان صيت حركة انتصار الحريات الديمقراطية ذائعا بين البرجوازية الصغيرة من التجار وبين المستخدمين"[1].

وفي الأرياف، كانت المناطق المساندة للوطنية الثورية منذ ابعد الفترات هي جبال الإدوغ و بلاد زردازة.

وبلغ عدد مناضلي حركة انتصار الحريات الديمقراطية حوالي 1953 "...7.239 مناضلا... بالقطاع القسنطيني، أي ثلث عدد المناضلين في كامل البلاد. وتتميز في هذه العمالة مناطق قوية العدد: وهي عنابة وقالمة وسوق أهراس و تبسة..."[2].

ولتحسيس مختلف الفئات الاجتماعية ونشر المثل العليا الوطنية، كان عمل الحزب يعتمد على الجمعيات والمنظمات الثقافية والرياضية مثل الاتحاد الرياضي الإسلامي ببون، أو على المجموعات مثل تُجمع النساء...

ولكن التركيز كان قائما على تهيئة الثورة المسلحة، التي قررت أثناء انشاء *"المنظمة الخاصة"* سنة 1947. وكان لعنابة–بون مكانها في أجهزة *"المنظمة الخاصة"*. إذ قسمت عمالة قسنطينة إلى ثلاث نواحي، وكانت عنابة–بون جزء من الناحية الشمالية والأفواج التي كانت تتكون منهم المنظمة في مدينتنا كانت تتنظم وتتشئ

(1)Moh. Harbi, *"Aux origines du FLN"*; p. 88

(2)محمد حربي، المصدر السابق، ص.88

الأجهزة والامكانيات المادية للدخول في العمل. ولما حدثت *"قضية المنظمة الخاصة"* سنة 1950، والتي أُكتشفت اثرها المنظمة، اجتاحت المدينة موجة من الآعتقالات من شهر مارس إلى شهر جويلية 1950: فسجن حوالي مائة مناضل من المنظمة بالسجن المدني بعنابة-بون. وعاشت سنة 1951 تعدد المظاهرات واضرابات الجوع، وخاصة شاهدت عملية هروب شهيرة قام بها عدد كبير من مناضلي *"المنظمة الخاصة"* من سجن عنابة-بون، ومنهم أحد ابطال الحرب التحريرية الشهيد زيغود يوسف.

حـــرب التحريـــر الوطنيـــة 1962 - 1954

تـــحضيـــر اول نوفمبـــر1954

وتجتاز عنابة–بون، مثل بقية الامة، الازمة التي انتابت البلاد إما من جراء اكتشاف *"المنظمة الخاصة"* وإما من جراء المشكل الذي طرحته ازمة *"حركة انتصار الحريات الديمقراطية"*.

وتختار عنابة–بون، مثل جهات الوطن الاخرى، الشروع في الثورة المسلحة وهيأت لها تهيئة مكثفة.

وهذه شهادة أحد من شارك في العمل :

"وقع في اوائل سنة 1954 انقسام في صفوف حزب الشعب الجزائري (...)، واشرفت المنظمة الخاصة على اجتماعات بعنابة كلف اثرها الاخ عراري خميسي بالالتحاق ببروكسال (في بلجيكا) للاتصال بالاخوان المهاجرين بالشرق الأوسط بمناسبة انعقاد مؤتمر هورنو (Hornu) (...). وعند عودته من هذا المؤتمر، التحق الاخ عراري بمدينة السمندو (زيغود يوسف حاليا) للنظر في انطلاق الثورة. وتعرفت آنذاك بالاخ بن عودة مصطفى (...)، فكلفني بتجنيد مناضلين ثوريين واقتناء الأسلحة (...)، ثم شرعنا في البحث عن الرجال والعتاد وكانت لنا اتصالات متوالية مع الاخ سي عبد القادر (ديدوش مراد) بكوندي سمندو أين آنتصبت قيادة الناحية الشرقية (...). وأذكر أن كلما اتى ابن عودة، اتوجه إلى عين أم

الرخاء أين التقي به عند بالرحال مختار، ومن هناك احضره إلى بوحديد مكان مخبئنا عند الاخ راشدي محمد. وبمناسبة احدى زياراته طلب ابن عودة من عراري خميسي وراشدي محمد ومني اداء اليمين "بأن لا نخون الثورة وأن نحافظ على السر وأن نكافح حتى الموت" (...). وبعد اداء اليمين صرح لنا ابن عودة أن اندلاع الثورة قرر للفاتح من نوفمبر. فقال له عراري خميسي : "ولكننا لا نسع السلاح". ولم يبق على اول نوفمبر إلا أربعة أيام. وشرع كل منا في جمع رجاله. وكان تحت قيادتي أربعة عشر رجلا. اشتريت لهم أمواسا وأحذية "باطوغاس" وملابسا (...). وحددت لهم موعدا بمقهى ابن سالم. وكان لي أيضا أربعة مسدسات (...). وفي أمس اول نوفمير التحقت بسيدى مبارك أين انتظرني ابن عودة وعراري خميسي مع رجالهم (...). وعرفنا ابن عودة على مخطط هجوماتنا الاولى. فكان من المقرر الهجوم على محطة الرادار "ببوزيزي" (...). وشرعنا في التحضيرات من أجل الهجوم (...) فقرر ابن عودة تفجير معمل البارود بوادي الذهب، ولكن في آخر المطاف ترك هذا المشروع لأن تحقيقه يؤدي إلى هلاك جميع سكان هذا الحي.

(...) وتلخص عملنا إذن في توزيع منشور يعلم باندلاع الثورة وانشاء جبهة التحرير الوطني (...). ولم يكن لدينا في هذه الليلة الاولى من نوفمبر سوى بعض السكاكين، وبندقية قديمة

"موسكتون" بدون ذخيرة، وبندقية صيد وأربعة مسدسات و175 سنتيما لمشترياتنا!

ولم تبدأ العمليات بعنابة إلا بعد مرور بعض من الزمن (...)"[1].

والشهادة الثانية التي تقدم روايتها للاحداث تصف الجو السائد بين الشبيبة الوطنية آنذاك:

"بعد انشاء *"اللجنة الثورية للوحدة و العمل"*، استعد العديد من الشباب لتحرير البلاد. وكان مؤمنا أن الكفاح المسلح هو السبيل الوحيد للحصول على الآستقلال (...). وكانت فرق عديدة على استعداد. وكنت من مناضلي حركة انتصار الحريات الديمقراطية. وبعد انقسامها انشئت *"اللجنة الثورية للوحدة و العمل"* المؤلفة من شبان *"المنظمة الخاصة"* الذين كانوا يناهضون كل عمل لا يؤدي إلى آستقلال الجزائر التام وكل مواقف الأحزاب القائمة آنذاك. فبعضهم مثل شق من "حركة انتصار الحريات الديمقراطية" يحبذ الانتظار، وآخرون يطالبون بالحكم الذاتي، *"وجمعية العلماء"* تحبذ استعمال المنهج الديني... الخ. أما الشباب فكانوا ينتظرون بفارغ الصبر حمل السلاح.

"ففي يوم 22 أكتوبر 1954 انعقد نوع من المؤتمر التحضيري بسيدي مبارك، في منزل عائلة راشدي، وحضر

---

(1)شهادة الحاج بونموس ، نشرت بمجلة "العنابي"رقم 3–نوفمبر 1981، ص 9-10

الاجتماع الاخوة زيغود يوسف وديدوش مراد وعبد الله ابن طوبال وابن عودة. وكان لزاما في بادئ الأمر اقناع سياسيي المدينة أنه حان الآوان لاندلاع الثورة المسلحة. وبطبيعة الحال منهم من اعترض متعللا بانعدام الأسلحة وأن الشعب غيرمُهيًّا. فاجاب اخوان *"المنظمة الخاصة"* أن كل شيئ جاهز ولم يبق إلا التصويت بالموافقة أو بالاعتراض. وصوتنا بالموافقة بالطبع (...) وانتهى وقت الانتظار وشعارات "الجزائر الحرة" و"الايقافات التعسفية "بالقوة آنتصبت فرنسا و بالقوة تخرج".

"وكانت ولاية عنابة جاهزة للاشتراك في هذا العمل قبل الفاتح من نوفمبر بكثير. ومن أجل هذا نظم التنسيق والاتصالات بين *"المنظمة الخاصة"* والمسيرين بالخارج. فكان تحديد موعد اول نوفمبر وضبط الزمان والمكان لتوزيع الأسلحة وتعيين نقاط الهجوم الاول. وظهر في هذا المجال خلل في التوازن بين المناطق. فالقطاع الغربي الذي يقوده سي ابن عودة، والذي يمتد إلى السمندو يملك الأسلحة، أما القطاع الشرقي فلم يكن له منها شيئا. فكان على فريقنا أن يقتني الأسلحة المستجلبة من القطر التونسي عبر تبسة؛ ولكن الشاحنة الناقلة للأسلحة لم تتعرف على نقطة التسليم. فعند وصول الناقلين إلى مندوفي (الذرعان حاليا) اتصلوا بشخص لم يكن ينتمي إلى *"المنظمة الخاصة"* فرفض استلام الأسلحة خوفا. وفي النهاية لم تصلنا الأسلحة إلا يوم 25 ديسمبر 1954. وكان

الباجي مختار قد شرع في عمليات بجهة بني صالح. أما نحن فبقينا في الانتظار مشتتين. وقد التجأت بصحبة بوطياج أحمد إلى برج قديم يسمى البرج الخالي في حي بوحمرة (...) وبقينا هكذا حوالي ستة أشهر ننتظر الاتصال. واول اتصال وقع مع الباجي مختار. وبعد وصولنا و قع اشتباك سقط أثناءه في ساحة الشرف الباجي مختار (...). وبعد هذا الاشتباك توجهنا نحو عين أم الرخاء أين كان لي صديق أمين، كان مستشارا بلديا، وثوريا كبيرا وهو بالرحال مختار. وهناك اخذتنا خلية تحت رعايتها وكان لها مخبأ بوادي العنب عند الشيخ يونس. فسلمت لنا ألبسة عسكرية وبنادق صيد. ثم قررنا تلك الليلة أنا وصديقي الالتحاق بقطاعنا (منطقة القالة) وتابعنا الطريق مارين بمزرعة القديس فنسان وبئر الحنش للوصول إلى سيدي مبارك، عند الحفائصي جنان، الذي خبأنا مدة يومين في دهليز المزرعة (...). وعند وصولنا إلى الشافية فوجئنا بلقاء رفاقنا من مدينة عنابة بصحبة أهل القرية، وهم ثوريون عظام مثل قريشي والصادق "راتو" والهادي ابن الحاج مسعود وسي حسن الذين كانوا على استعداد منذ 1954. ثم التحق بنا عمارة بوقلاز الذي اسند القيادة لعمار ابن زاودة لأنه أكبر الفريق سنا. وجرت اول عملية بالكاف الأحمر في شهر ديسمبر 1955. فكان اول التحام مع جنود الجيش الفرنسي. وقع ببوقوس أين كان يمر ركب يتكون من شاحنة من نوع "ج.م.س" فنصبنا لهم كمينا على الطريق

الذي يسلكونه لتموين مركز أمامي بجبل فدان. وقد انتقلنا من منزل حارس الغابة شاذلي نواري وهو وطني من الرعيل الاول. وأسفر الكمين على الاستيلاء على أسلحة وأربعة اسرى قضي على إثنين منهما في عين المكان لأن بندقيتاهما قتلتا جنودا منا، وألحق الإثنان الآخران بهذه المناسبة بجيش التحرير الوطني وهما سعد أبو حجة ورابح بوريحانة. واشتملت الغنيمة من الأسلحة على بندقية رشاشة وبندقية من نوع 86 وبندقيتين من نوع الموسكتون ومسدس رشاش ..."[1].

*

** **

انطلاق الكفاح المسلح

إن *"اللجنة الثورية للوحدة والعمل"* ثم *"جبهة التحرير الوطني"* اللتان تتكونان من مناضلين صهروا في نفس القالب الوطني الثوري، شرعتا-في شهر نوفمبر 1954- في عمل ذي هدفين هما الخروج بالحركة الوطنية الثورية من المأزق الذي وجدت فيه بين 1951 و1954، والشروع في الكفاح العنيف من أجل الآستقلال. ولهذا الكفاح حاجة إلى مساندة جميع الجزائريين مهما كان انتماؤهم من جهة، وإلى العدة والعتاد من جهة أخرى.

---

(1) شهادة السيد بالرجم عبد المجيد، نشرت بمجلة "العنابي" رقم 3 ؛ نوفمبر 1981، ص. 10 و11 و12.

وهي لحقيقة ان في شهر نوفمبر 1954 لم يكن مناظلو "*جبهة التحرير الوطني*" إلا عددا قليلا بالنظر إلى المهمة التي فرضتها الجبهة على نفسها. وما كان حقيقة على المستوى الوطني كان كذلك بالنسبة لمدينتنا ولجهتنا وتؤيد هذا الشهادتان اللتان قدمناها آنفا تأييدا صريحا.

وطوال السنة الاولى من الكفاح سهرت "*جبهة التحرير الوطني*" في مدينتنا على تمكين الجميع-مهما كان أفقهم الوطني-من ضمير الصراع والكفاح معا، ووضعت الأجهزة والرجال لذلك: ولعل هذا هو المظهر المثير لثورة نوفمبر 1954 في تعبئة جميع مستويات وجميع فئات الضمير الوطني، تعبئة تجرف في تيارها العاتي من كان شديد الخوف أو ضعيف الحماس.

تنظيم الكفاح

وتتبع عنابة-بون الولاية الثانية (الشمال القسنطيني) في تقسيم التراب الوطني الذي وضعته "*جبهة التحرير الوطني*". وهي جزء من المنطقة الرابعة، وتكوِّن مع الإدوغ احدى نواحي هذه المنطقة. و تشرف هذه الناحية بدورها على قسمين. وإبتداء من 1960 تعد عنابة-بون ثلاث نواحي.

وتقوم على رأس الناحية قيادة سياسية عسكرية، مكلفة بابلاغ التعليمات وتوزيع المهام والتنشيط. كما تعمل بالتنسيق مع

الإدوغ الذي تمر عن طريقه التعليمات وخطط العمل.

وقسمت المدينة إلى عدة قطاعات: المدينة القديمة والمحافر، لوريي روز وحي البرتقال، بوحمرة وسيدي ابراهيم، وسيدي سالم فيما بعد.

وفي كل قطاع منها نظم أعضاء "*جبهة التحرير الوطني*" حسب نوع العمل إلى خلايا المسبلين المكلفين بالإعلام والدعاية والمخابرات والعلاقات، وإلى خلايا المالية ومهمتها جمع المال والشراء والتموين واعالة أهل الجنود والفدائيين، وإلى خلايا الفدائيين القائمة بالعمل المباشر. وكان مبدأ الانعزال بالنسبة للفدائيين مبدء صارما، ويخضع كل منهم مسبقا لامتحان كما يقوم بالتدريب.

وبما أن التنظيم المدني عنصر من تنظيم الولاية الثانية فإنه كان متصلا عضويا بتنظيم وحدات جيش التحرير، إذ كان عمل الاول مكملا لعمل الثاني داخل "*جبهة وجيش التحرير الوطني*". وعلى كل حال، فعند اتساع رقعة الكفاح وتعزيز جيش الآضطهاد، أصبح تمرين الفدائيين ولجوءهم يقومان بين صفوف "*جيش التحرير الوطني*".

أما الجناح الحربي فيتكون من هياكل "*جيش التحرير الوطني*" الذي كان مقر قيادته لمنطقتنا قائما في جبل الإدوغ. وتنظيمه هو ذاك الذي ضبطه ميثاق الصومام. وإضافة إلى الجيش

في الإدوغ، كان جيش منطقة القالة ومنطقة الشافية يعملان بالتنسيق مع عنابة–بون.

سيـــر العمليـــات

إن استقراء تسلسل أحداث الكفاح بعنابة–بون يبين أن العمل بقي نشيطا إلى سنة 1962. وكانت مرحلة نوفمبر 1954 إلى مارس 1955 فترة وضع الهياكل والعتاد وخطط العمل. نعم أصيبت التحضيرات بصدمة فقدان *"شبكة راشدي التنظيمية"* و آثاره، إلا أن الكفاح المنطلق لم يقف عند هذا العائق.

وانطلقت العمليات الاولى بالمدينة بعملية احراق مستودع الفلين بطريق "لوريي روز" يوم 29 ماي 1955، وبنصب كمين لدورية من الجندرمة "بالمحافر" في الليلة بين 2 و3 جوان 1955. ويضاف إلى ذلك الحملة المضادة للتبغ.

أما الجيش فقد قام بأول هجوم يوم 11 أفريل 1955 بعين أم الرخاء (دوار شركة). وكتبت صحيفة *"لادبيش دوليست"* (La Dépêche de l’ Est) في عددها المؤرخ 7/6 نوفمبر 1955 قائلة: "وتدريجيا تكثفت حول بون منطقة غيرآمنة من غير المجدي اخفاء ضخامتها، إذ أصبح من الواضح أنها تفرض وجودها على سكان الريف والمدينة".

ويرمي العمل في المدينة وفي الأرياف إلى النيل من المستعمرين والخونة، وإلى الاتيان على قوة الآستعمار الاقتصادية.

وتشتد في سنة 1956 حملة الفدائيين في المدينة وهجومات فصائل *"جيش التحرير الوطني"* في الأرياف. وقامت بهذه الحملة الهجومية في عنابة-بون وحدة من أحسن وحدات جبهة التحرير التنظيمية التي كانت تمضي عملياتها بإسم "السيف الأسود". وزرع أعضاء هذه الشبكة الرعب في صفوف المعمرين والقوات الآستعمارية. واحدى عملياتهم الرائعة سنة 1956، عملية الرشاشات بالساحة (ساحة الثورة حاليا) خلال شهر أكتوبر. وبلغ مستوى التعبئة الشعبية إلى حد أنه خلال شهر مارس اضرب أطفال المدارس الجزائريين عن تناول الأكل في المطاعم المدرسية، وفي شهر ماي قام تلاميذ الثانويات بترك الأقسام للالتحاق بصفوف الكفاح.

أما المعمرون فاستمروا في تجاهلهم لضخامة الحركة تاركين الأمر للشرطة والجيش كانما القضية كانت مجرد حدث يتعلق "بالقانون الزجري". وتذكر صحيفة *"لادبيش دوليست"* في مارس 1956، أنه وقع قتل أكثر من مائتين من المستعمرين والخونة، وأن الخسائر ثقيلة في ميدان تخريب الرصيد الاقتصادي، وان 46 مدرسة دمرت في مفتشيتي "بون"، وتنهي الصحيفة قائلة إِن الثورة تهدف إلى *"تدمير عمل فرنسا"*.

وتستمر سنة 1957 على انطلاقة السنة الماضية. وكان العمل في نفس الكثافة والنشاط. وتميز هذا العام بمعارك حقيقية دارت رحاها بالمدينة وضواحيها. فواجهت قيادة أركان المنطقة

الجيش الآستعماري في معركة حامية يومي 24 و25 جانفي 1957 استشهد أثناءها بلعيد بالقاسم في منطقة "الجسر الأبيض" وجرت معركة بوادي القبة يوم 24 أفريل استشهد فيها فيمن استشهد طوارف نوار وبوخطوطة حسين وقنز عزيز. وكان حي وادي الذهب مسرحا لمعركة يوم 30 جوان. ونصب كمين للعدو في حي "لوريي روز" يوم 13 أوت، استشهد اثره عيدلي عبد المجيد، ونشبت معركة بالإدوغ يوم 29 سبتمبر استشهد فيها بوزراد حسين. وكان ثمن الكفاح باهضا، إذ أنه إضافة إلى هؤلاء الشهداء وقع القبض على جزء من اعضاء الشبكة "السيف الأسود" نتيجة لتضافر عمل الشرطة الآستعمارية والوشاة.

ويستمر العمل سنة 1958 أصعب مما كان عليه ولكنه يسجل نوعا من الفتور. وتعيد *"جبهة التحرير الوطني"* تنظيم الشبكات والفرق، بيد أن المدينة عاشت معركة حقيقية في حي "الطرقات الأربعة" وحول "مركز الشرطة الثالث". وتُميز هذه السنة معطيات جديدة، فالمعمرون الذين كانوا مطمانين إلى جيشهم حتى ذاك الحين بادروا بالتدخل مباشرة في الحرب وذلك باحداث لجنة خلاص عمومي (14-5-1958) وهو حدث يسجل انطلاق السياسة الديغولية وهي سياسة "التآخي" و"الإدماج"...الخ. وتأكدت هذه السياسة منذ شهري أكتوبر ونوفمبر الماضيين عند احتدام الحملة الآنتخابية التشريعية التي حاولت أثناءها السلطة الآستعمارية

خلق "القوة الثالثة" وقد لاقت هذه المحاولة بعض الصدى لدى قلة معينة من الجزائريين. إلا أن نتائج الاقتراع تظهر امتناعا صريحا لسكان عنابة-بون: فمن مجموع 65.243 مسجلا لم يعبر عن أصواتهم سوى 38.839 وهي في الاغلبية أصوات المعمرين. فالمواطنون الجزائريون في اغلبيتهم الساحقة موالون *"لجبهة التحرير الوطني"* التي برهنت على سيطرتها على الميدان أثناء محاكمة "شبكة العمل المباشر" المسؤولة على أحداث سنتي 1957 و1958، خلال شهر أوت وأثناء محاكمة "شبكة المخابئ والمخابرات" خلال شهر جوان.

ويبدو أن سنة 1959 كأنها تسجل نوعا من الارتخاء بالمقارنة إلى السنوات السابقة. وبالرغم من ذلك كانت ضاحية العلاليق مسرحا لمعركة كبرى يوم 24 جوان. ودارت المعركة بين جمع من الكومندوس يتكون من 90 مجاهدا تحت قيادة الشهيد حيدوش، بضاحية سيدي سالم (على7 كم شرقي المدينة) والجيش الفرنسي. واستعمل الجيش الآستعماري جميع الوسائل: آلاف الجنود والأسلحة الثقيلة والطيران. ولكن المعركة التي بدأت على السادسة صباحا يوم الأربعاء دامت يوما كاملا وكانت هزيمة سياسية مدوية للآستعماريين.

بيد أنه على المستوى السياسي تبين أربع محاكمات كبيرة لمجاهدي مختلف الشبكات الحضرية أن البديل مستعد بدون انقطاع؛

فكلما سقطت شبكة خلفتها آنا الشبكة البديلة. وهذه المحاكمات هي محاكمة فريق الفدائيين "ابن داوود ودهيمي ورفاقهم"، في شهر جانفي، وجَرَت عملياتهم خاصة أثناء سنتي 1957 و1958 وصرح المجاهدون أثناء المحاكمة: "لقد قمنا بما كان علينا"، ومحاكمة جماعة "بيرم وبهلول" في شهر جانفي ومحاكمة مجموعة "معمري" في شهر مارس ومحاكمة شبكة "المخابرات والإعلام والصحة" في شهر مارس و أفريل.

وتستمر الحرب سنة 1960. وتابعت حرب العصابات الحضرية عملياتها الفردية. وحسب الآستعمار أنه احل بالثورة ضربة قاضية عند اعتقال ومحاكمة محافظة الناحية الاولى السياسية أثناء شهر أكتوبر إلا أنه غلط. إذ اكدت له الأحداث أنه كلما سقط فريق من المجاهدين خلفه حينا فريق أقوى منه.

أيام ديسمبر 1960

وفي نهاية هذه السنة، حتى يؤكدوا أن *"جبهة التحرير الوطني"* و*"جيش التحرير الوطني"* والحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية هي تعبير لإرادتهم فإن جزائريو مدينة عنابة–بون اطاحوا بالآستعمار هزيمة نكراء. وكبرهان على أنهم لا يخشون الآضطهاد ولا التعذيب، واحباطا لمناورات الآستعمار الجديد، نزل الجزائريون إلى شوارع عنابة–بون طيلة الأيام من 9 إلى 16 ديسمبر 1960.

الأحد 11 ديسمبر

"حوالي الساعة الواحدة والربع بعد الزوال تكونت مجموعات من خمسين أو مائة متظاهر يحملون علم جبهة التحرير الوطني ويهتفون بشعارات "الجزائر جزائرية" و"الجزائر المسلمة" بالاحياء الجانبية (حي أوزاس، حي البرتقال وأسفل حي بني غماس) وبالمدينة القديمة أيضا بشارع بابيي.

وعندما حاولوا الاتجاه نحو بني غماس اعترض سبيلهم جنود اللفيف الأجنبي واطلقوا النار صوب الأرض ففر المتظاهرون ولكن البعض منهم اصيب بجراح خفيفة من جراء تطاير العيارات من الأرض. والتقت سيارة الشرطة بحي البرتقال "نهج ميرابو" حوالي الساعة الثانية بعد الزوال بشابين مسلمين يركبان دراجة سكوتر ويحملان شعار جبهة التحرير الوطني. وكان الاضراب عاما في المدينة على الساعة الثانية والنصف ووقف الاوروبيون بساحة برطانيا، الشارع الرئيسي للمدينة، يعلقون على الأحداث (...). وتدخل جنود اللفيف الأجنبي أيضا في حي أوزاس ضد المتظاهرين المسلمين الذين قتل منهم البعض وجرح آخرون (...)؛ و كان عدد القتلى أربعة والجرحى حوالي العشرة"[1].

*

**   **

(1)Paul Appaldo, " *Le Monde* ", 19-10-60

"رافق جمع من 2.000 شخص، كلهم مسلمون، نعوش ثلاثة قتلوا من بينهم أثناء حوادث امس البارحة ودار الجزء الاول من الدفينة بدون حواذث و لكن بعد الدفن وبينما كان الناس ينصرفون في تؤدة، حلت سيارة يركبها خمسة أشخاص منهم إمرأة ونشر ركاب السيارة أعلاما خضراء وبنود جبهة التحرير الوطني .فاوقفت السيارة من طرف سيارة الشرطة والقي القبض فورا على ركابها وصودرت الأعلام وبعد لحظات من هذا الحدث وقعت مشادة بين المتظاهرين و قوات الأمن"[1].

*

** **

الاثنين 12

وقعت أمس بعد الظهر حوادث خطيرة ببون، آخر مرحلة من سفرة الجينرال ديغول، واطلق أثناءها النار جنود اللفيف الأجنبي ومصالح الأمن. وحسب وكالة الأنباء الفرنسية خلفت الطلقات سبعة موتى منهم ثلاث نساء وطفلان وعدداً غير معين من الجرحى بين المسلمين، وقتيلين و15 جريحا من بين الاوروبيين. وفي بداية الظهيرة، بنهج سادي كارنو، وقع تفريق جمع من الجزائريين يحمل علما أخضر من طرف الشرطة ووقعت خمسة عشر ايقافا. وكانت هذه المظاهرة الاولى من نوعها من

"La Presse" , A F P ; 14/12/60 (1)

مجموعة مظاهرات انطلقت في الواقع إبتداء من حوالي الواحدة والنصف بعد الزوال في جميع الأحياء الجانبية من بون، وفيها اتجه في كل مكان جماعات من المسلمين تكثر أو تقل نحو قلب المدينة ويرفع البعض منهم علم جبهة التحرير الوطني. وعلى الساعة الثانية بنهج جوم، في كولون راندون، اصطدم اللفيف الأجنبي بجمع هام واستعملوا أسلحتهم.

وعلى الساعة الرابعة والنصف بعد الزوال بحي أوزاس استعملت قوات الأمن أسلحتها أثناء مظاهرة مسلمة عنيفة. فقتل ثلاثة مسلمين وجرح إثنان. وقد وقعت أثناء الصبيحة بساحة الأسلحة في المدينة القديمة مظاهرة نظمها المسلمون وكانت تقود المتظاهرين النساء وبعضهن يحملن العلم الأخضر"[1].

*

** **

الساعة الرابعة والنصف بعد الزوال

في حي أوزاس وأثناء مظاهرة عنيفة نظمها المسلمون استعملت مصالح الأمن ثانية أسلحتها. فقتل ثلاثة مسلمين وجرح قرابة الخمسة عشر وقد مات أربعة منهم من جراحهم. ومن بين الأموات المسلمين ثلاث نساء وطفلان يبلغان من العمر ثلاث عشرة أو أربع عشرة سنة"[2].

(1) *"Libération"*, 14/12/1960

(2)*"Le Figaro"*; 14/12/1960

خــلاصــة

جند الآستعمار منذ 1954 جميع وسائل القمع والدمار. واخذ التعذيب طابعا لم يسبق له مثيل. فبالنسبة لعنابة-بون، برج الجنان (بالذرعان) المشؤوم الشهرة كان قاعدة التعذيب بالمنطقة.كما عرفت الفترة من 1955 إلى 1960 وضع حلقة جديدة في آلة الحرب، ألا وهو "مخطط قسنطينة". فالآستعمار، تحت ستار التصنيع يحاول اخضاع ثروات البلاد التام إلى الرأسمالية الفرنسية والرأسمالية العالمية. وكانت جهة عنابة-بون مسرحا من مسارح هذه الحرب الاقتصادية بإقامة "مشروع صناعة الصلب البوني".

ويوهم رسميا البرنامج الغولي أن هدفه انماء الجهة واحداث نشاط عصري خلاق للشغل، كأنما كان سبب انطلاق ثورة نوفمبر 1954 نتيجة التأخر الاقتصادي أو البطالة. وهكذا يعتبر الجهاز الآستعماري آثار وضعية أسبابها الأساسية.

وأحبط ديسمبر 1960 نهائيا المناورة الآستعمارية وابتدأ نَزْعُ الآستعمار وسيدوم سنتين. ويدخل الكفاح من جانفي 1961 إلى جويلية 1962 في مرحلة أنشط : تحتفظ فيها المقاومة في المدينة بكامل حيويتها. وأثناء هذه المرحلة تفتح رعشات الآستعمار المحتضر جبهة جديدة اثر فشل الانقلاب الانفصالي (أفريل1961). إذ كان على الثورة المسلحة أن تصارع في آن واحد آلة الإدارة الآستعمارية الحربية ومنظمة الجيش السري التي انطلقت في

إطارها مجمَوعة المعمرين في عملية يائسة. ومنذ شهر ماي 1961 خاضت منظمة الجيش السري (O A S) حرب ابادة بعنابة–بون، فكانت الحملات العنصرية تتلوها عمليات القتل والاغتيال وتدمير كل التجهيزات الأساسية.

ولكن انتصار الثورة المسلحة المكتسب منذ ديسمبر 1960 أُثْبِتَ في جويلية 1962 .

وتنطلق مرحلة جديدة هي مرحلة التشييد.

الإعمار الحضري من التاريخ القديم
إلى القرن العشرين

صـــورة هبون الملكية ابتداء من 46 ق. م.

كانت هبون العتيقة تمسح 60 هكتارا حسب تقديرات بعض المؤرخين وعلماء الاثار. وكان الحوز البلدي يمتد إلى 32 كلم غربا و50 كلم شرقا. واشتمل هذا الحوز البلدي ضيعات كبيرة عديدة من الراجح أنها موروثة عن تنظيم *ماسنسا* الريفي. فكان عمران الريف آنذاك أكثف مما هو عليه اليوم، وتوجد بقايا هذه الضياع وديارها المريحة في كامل الجهة وبجميع الأراضي الزراعية[1].

ولم تتغير هيئة هبون اجمالا بعد اخضاعها للحكم الروماني، فعند آنتصابهم بها، ادخل الرومان تعديلات في التفاصيل حتى يضفوا طابعا رومانيا على المدينة. واصبحت هبون إبتداء من عهد *أوغست* مدينة ذات كيان قانوني. ومن الناحية المعمارية أُدْخِلت مجموعة بنايات من أبرزها : الفُرُوم والمسرح والسوق ومعبد الآلهة الاثني عشر (وهو مَجْمَع كبار الآلهة الرومانية المسمـــاة Dii Consentes)؛ ولم تبق من هذا المعبد إلا القاعدة. وقد تعود مظاهر الحضور الروماني هذه إلى عهد *أغشت*[2] . وإلى جانب هذه البنايات الجديدة تواصل بناء أو ترميم بعض المباني الأخرى،

---

(1)أنظر "الأطلس الأثاري" ورقة رقم 9 Atlas archéologique

(2)حسب J.P.Morel في مجلة الأثار الجزائرية B.A.A. III. ص. 35-85.

بخاصة منها جدران الواجهة البحرية التي قد يعود تاريخها إلى منتصف القرن الاول ق.م.[1]

ونشير أنه إبتداء من القرن الاول ميلادي. تقهقر البحر فمكنت الأراضي المكشوفة المدينة من الاتساع على ضفة الخليج، وطوال الوادي بين التلين: ربوة غرف الارطغان وربوة القديس اوغستين. ويتعزز هذا الاتساع إبتداء من القرن الثاني بعد الميلاد، والمحتمل أن يكون هذا التوسع ذاك الذي نشاهده اليوم أمامنا؟

وكانت الطرق التي تربط المدينة بخارجها عديدة: طريقان محاذيان للشاطئ وهي طريق غربي يصل إلى روزكادا (سكيكدة) مارا بمدينة تكاتوا (شطايبي)، وطريق شرقي يتجه نحو تونيزا (القالة القديمة) وثابرقا (طبرقة)، وتربط هبون بداخل البلاد ستة طرقات: طريق قرطة (قسنطينة) وطريق تيبازا الشرقية (تيفاش) وطريق قرطاج مارا بثاغست (سوق أهراس) وشقبنارية (الكاف) وطريق قرطاج مارا بسِيمتُّو (شمتو) وطريق غربي مارا بجهة الخرازة وبحيرة فزارة.

أهـــم بقايـــا هبـــون الملكيـــة

إن التنقيبات والبحوث الاثرية التي شُرِع فيها منذ بداية القرن العشرين مكنت ابراز مساحة واسعة تؤكد الدور الذي لعبته

---

(1)حسب نفس المؤلف السابق الذكر

هبون خلال تاريخ الإقليم. ولكن البحوث بعيدة عن الانتهاء لأنها- إلى حد الآن- سلطت الجهد على العهد الروماني ومكمله العهد المسيحي؛ فلا تزال العهود السابقة والموالية للعهد الروماني في حاجة إلى البحث والدراسة.

فـرُوم هبـــون

هو أوسع وأقدم فروم كشف عليه في شمال افريقيا: طول صحنه 76 م. وعرضه 43 م. ولا تزال آثار الأعمدة التي كانت تزين الباحة المحيطة بالصحن قائمة. ومن ملحقات الفروم التي تستحق الذكر هناك من جهة *الكورية* (وهي مقر اجتماع المجالس الرئيسية منها مجلس الشيوخ المحلي Curie) الموجودة في زاوية الباحة الغربية، ومن جهة أخرى بقايا معبد الثالوث الكابتولي (وهو معبد *يوبتر* وزوجته *مينرفة* وابنته *يونو*) الموجود جنوب صحن الفروم. وقد أُكتُشف تمثال النصر (*طروفي* Trophée) المشهور بالفروم، وهي قطعة فخمة طولها 2,60 م. مسبوكة من البرنز.

الســـوق

هذه السوق الانيقة والواسعة تتركب من جزئين: ساحة رحبة ذات الرواق تتوسطها طارمة وتحيط بها الدكاكين من جهات ثلاثة. ويتركب الجزء الثاني من ساحة واسعة بلاطها من الفسيفساء الهندسية.

الحـــي المسيحـــي

هذا الحي الموجود قرب "الواجهة البحرية" ينفرد ببقايا بازليكة كبيرة احتمل بعضهم أنها البازليكة الكبرى أو بازليكة السلام التي كانت مقر الأسقف اوغستين.

حـــي الواجهـــة البحريـــة

ينفرد هذا الحي بجدرانه المرضومة و بالفيلات.

الجـــدران المرضومـــة

يبدو أن هذه الجدران المتقونة البناء كانت جزء من جهاز السور والدفاع عن المدينة، وكانت تلعب أيضـــا دور الحـــمـــايتة من أخـــطـــار وأمـــواج الـــبـــحـــر والفيضانات القوية، ومن الممكن أنه كان بهذا المكان مرسى قبل غور البحر.

الفيـــلات

بنيت هذه الاقامات الجميلة مستندة على الجدران الضخمة أو متخذة اياها أساسا. وهي أنيقة وتمتاز بأرضيتها المصنوعة من فسيفساء جيدة الاتقان. وقد رفعت من هنا لوحات الفسيفساء المعروضة بالمتحف.

لوحـــــات الفسيفســـاء

فسيفساء *انفتريت* Amphitrite

يؤطرها افريز عريض ويزين كل زاوية منها رأس *اقيانوس* (Oceanus).

فسيفســـاء منظــر عـــام من هبـــون

تمثل هذه اللوحة منظرا عاما من هبون اخذ من عرض البحر: فترى، من جهة، المدينة على شاطئ البحر، وعلى اليسار الخليج أين يقوم منظر لعملية صيد بحري ويترامى كامل الطنف إلى رأس الحمراء.

فسيفســـاء الصيــد

وهي أحد اللوحات التي وصلتنا سالمة وكاد اتقانها يبلغ الكمال، وتمثل هذه الفسيفساء مشهدًا من صيد الوحوش المخصصة لألعاب السرك.

الحمـــام الكبيـــر الشمالـــي

يمثل هذا البناء الاستحمامي مجمّعا واسعا، اقيم أثناء القرن الثالث م. فقد شيد المهندسون المعماريون مجمعا جليلا أين نسقت علميا مختلف قاعات الاستحمام المقدمة للجمهور وساحة التمارين البدنية، وأين كثر البذخ بإقامة البرك وأحواض السباحة المرمرية.

المســرح

شيد المسرح أسفل سفح ربوة القديس أوغستين وبنيت المدرجات على جانب الربوة ببذخ جعل هذا المسرح شبيها بنماذج المسارح المتأثرة بالفن اليوناني. وتعطي اللواحق الجانبية لمسرح هبون اتساعا اجماليا نادرا يبلغ 100 م. تقريبا؛ وللمرسح، الذي جذم منه الطريق المار فوقه جزء، امتداد كبير.

المدينة أثناء العصور الوسطى والحديثة

تعد مدينتنا من المراكز الحضرية الجزائرية التي لم تتوقف عن الوجود. فهبون التي لحن آسمها فأصبح بونة، لم تترك موقعها الأصلي بالرغم من اعادة انشائها في القرون الوسطى. فتاكدت استمرارية العمران الحضري بها منذ التاريخ القديم.

المخطـط العمرانـــي الاول

لم يرد في المصادر أي ذكر لحدوث غزوات الفتح الإسلامي بهبون. وآسمها بونة تحريف لآسمها القديم. واستمر الموقع القديم يأوي المدينة بدون انقطاع منذ ظهور الإسلام في الجهة.

ولا تقدم مختلف الروايات عن بونة-هبون، في شهادات نهاية القرن العاشر ميلادي. وصفا لها؛ كل ماورد هو أن المدينة توجد-بشريا-في مجال قبيلة اوربة البربرية. ويجب انتظار ابن حوقل للحصول على وصف موجز لبونة في القرن الرابع هـ/ العاشر م. وهي لا تزال بموقع هبون[1]، كما أشار إليها في نفس الفترة القاضي النعمان الشيعي. وعلما أن ابن حوقل زار المغرب الإسلامي بين 947/336 و 51/340، فمن الراجح أن بونة التي وصفها هي هبون القديمة التي استمر عمرانها أيام حكم الاغالبة ثم الفاطميين. وفي كتابه الذي حرره بين 985/375 و988/378،

(1) أنظر النص [I]، ص. 87

يشير المقدسي إلى بونة قائلا: *"وبونة بحرية، مسورة..."* واشارة المقدسي تتعلق بالمخطط الاول الذي وصفه ابن حوقل؛ وأهميته تكمن في ذكره السور المحيط بالمدينة.

وتؤكد الشهادة الثانية، أي وصف البكري لبونة[1]، واقع استمرار اعمار موقع هبون أثناء القرون الاولى من تاريخ المغرب الأوسط الإسلامي، ولا يترك نص البكري مجالا للشك في خصوص وجود بونة "العتيقة". فيعلمنا أن المدينة كانت تسمى: مدينة سيبوس وكذلك مدينة زاوي. ونسبت إلى سيبوس لأن الوادي يصب في الخليج بالقرب من جنوب-غرب موقع هبون. واسم: مدينة زاوي، من الراجح أنه متصل بأحد عمومة الملك الزيري باديس بن المنصور (406-386/1016-996)، و يبدو أن هذا العم تولى شؤون بونة. وبالفعل اعتمد باديس بن المنصور بن بلكين على عمومة أبيه ومقربيه في إدارة شؤون الثغور[2]. فمن الممكن أن بونة وهي آنذاك مدينة-ثغر كان يتولاها عمال قائمون بأنفسهم، حسب عبارة ابن حوقل، من المقربين للحكام الفاطميين والزيريين إلى نهاية القرن الرابع هـ/العاشر م. واشهر هؤلاء العمال القائمين بأنفسهم زاوي بن زيري. فالمحطة الاولى لبونة دامت حتى ذهاب زاوي بين سنة 387 و389/997-999 على الأقل.

---

(1)أنظر النص [III]، ص.89.

(2)أنظر ابن خلدون، *تاريخ...*" المجلد السادس في *"اخبار الطبقة الاولى من صنهاجة و ما كان لهم من ملك"*

ومهما يكن من حال، فإن بونة "العتيقة" كانت أساسا ثغرا يراقب المسلك البري والبحري القائم على محور القيروان-بجاية؛ كذلك كانت المركز التجاري للقبائل المجاورة.

وبآثار هبون ادلة على استمرارية إِعمار الموقع القديم أثناء القرون الاولى من السلطة الإسلامية. فمكنت الحفريات من استخراج مصابيح وكسور فخار فاطمية وحمادية وكذلك بعض الصنوج. ويبدو أن بونة كانت تتموقع .من القرن الثامن إلى القرن العاشرم. بالجانب الجنوبي الشرقي من هبون القديمة. ويطابق ذلك حي الواجهة البحرية من الآثار (المطل اليوم على الطريق الوطني رقم 16) وامتداده شمالا، وكذلك جنوب الآثار على حافتي السكة الحديدية الرابطة عنابة بقسنطينة، وتشرف على الكل ربوة "غرف الارطغان" (وعلوها 22 م. وأين يوجد المتحف). وبسفح الربوة على الحد الغربي لحي الواجهة البحرية، عثر على مايبدو أنه جزء من سور يمثل خطا دفاعيا ثانيا. فإن تحقق أنه جزء من الأسوار، يكون ذلك تأكيدا لما أورده المقدسي.

وأخيرا يلاحظ بالمعلم "ذي الخمس سواري" بقايا بناء نصف دائري على سطح الفسيفساء، موجه إلى الجنوب – جنوب – شرق، يوحي كأنه اثر محراب؛ وبالتالي ربما حول هذا المعلم إلى مسجد.

المخطــط العمرانـــي الجديـــد

ولنعد إلى البكري[1]. فروايته تؤكد في جزئها الاول استمرارية قيام هبون العتيقة تحت تسمية جديدة وهي بونة، وتخبر ان بونة تحولت على بعد ثلاثة اميال إلى الشمال وتسميها بونة الحديثة. ويشير مؤلفنا انها لازالت على نحر الخليج، ويدقق طوبوغرافيتها ذاكرا انها على *"نشز"* منيع. فالموقع الجديد اقيم على منحدر نازل من الإدوغ إلى البحر. وهذا المنحدر المائل من الشمال والشرق نحو الجنوب والغرب يتراوح علوه من 32 م. إلى مُترين أو ثلاثة. وبالتالي فالمنحدر يشرف على الموضع السابق للمدينة وعلى السهل. ويضيف البكري تفصيلا آخرا يهم الدفاع قائلا: "وقد سورت بونة الحديثة بعد الخمسين وأربعمائة [1058-59]". ويزود المدينة ماء *"بئر النثرة"* المتواجد على الشاطئ.

متى خططت المدينة الحديثة ؟ كانت بونة ثغرا تابعا للزيريين أولا. و تمثل مركزا استراتيجيا لابد من مراقبته، خاصة عندما دب الانقسام بين حماد بن بلكين الذي أصبح سيد القطاع الغربي من الفضاء الصنهاجي إبتداء من 1015/405، و"مولاه" وابن اخيه باديس بن المنصور صاحب القيروان. ومثلما سهر حماد على مراقبة الحدود الغربية بالاعتماد على اشير ومليانة والجزائر، فكذلك سهر على تعزيز "الحدود" الشرقية بالاعتماد على مراكز

---

(1)أنظر النص [III]، ص. 89

منها بونة. ويشير البكري بوضوح إلى مثال عن القيمة الاستراتيجية لبونة في نهاية القرن الخامس هـ/الحادي عشر م. قائلا إنّ المدينة "في نشز من الأرض منيع".

فبالنظر إلى هذه الأهمية، يبدو أن زيادة إلى التخطيط القديم الموروث عن هبون، ضاعف الفاطميون أو اول امراء الزيريين دفاع المدينة ببناء رباط على النشز الذي سيقام فيه الموقع الجديد. فهناك احتمال وقوع مرحلة اولى في آحتلال الموقع الجديد أثناء القرن الرابع هـ/ العاشر م. ثم قويت حركة اعمار الموقع الجديد مع تولي الزيريين الحكم في افريقيا والمغرب الأوسط منذ إعلان حكم بلكين بن زيري (972-984/361-373)، وخاصة عند ولاية زاوي بن زيري، وانتهت عملية الإعمار بتشييد السور"بعد الخمسين وأربعمائة [1058-59]"، ربما أيام حكم الأمير الحمادي الناصر ابن علاناس (1062-1089/454-481) الذي جعل من بجاية عاصمته الجديدة أين اقام ابتداء من 1069/461؛ ولا شك أنه امر بتعزيز بونة الحديثة ببناء الأسوار؟ إذ أن الموانئ وخاصة تلك الرابطة بالأندلس، توفر أمنا أكبر، خلافا للمسالك البرية المهددة من طرف غزوات الهلاليين. ودعت الضرورة أيضا إلى حماية السواحل من هجمات السردينيين ونورمان صقلية وغيرهم.

لماذا هذا الانتقال؟ يبدو أن لذلك سببان. فمجمل الموقع ملتقى طرق برية و بحرية. إذ استعمل المرسى كقاعدة في المواجهة بين

الثوار الفاطميين والدولة الاغلبية. وعند قيام الدولة الصنهاجية وخاصة الحماديين لم يكن المرسى يتوفر على كامل الشروط التي تجعل منه ثغرا ناجعا. ولذلك كان تخطيط المدينة بموقع مرتفع يمكن من الدفاع وحراسة الساحل والبر بفعالية. *لأن*"مدينة بونة برية بحرية". ويذكر البكري السبب الثاني للانتقال قائلا: "يصح بها السودان ويقسم البيضان". فهبون العتيقة تقع على ارتفاع مترين أو ثلاثة، ومنذ بداية القرون الوسطى ظهرت حولها المستنقعات، نتيجة لما أحاط بها من مصب وادي بجيمة شمالا ووادي سيبوس جنوبا. أما الموقع الجديد فيضع المدينة في مأمن من هذه المستنقعات ويحل جزئيا مشكلا صحيا.

وصف بونة الحديثة

ذكر الرحالة و الجغرافيون *بونة-بلد العناب-بون* منذ القرن الرابع هـ/العاشر م. إلى حوالي سنة 1525. و باستثناء البكري وحسن الوزان (ليون الافريقي)، فإن روايات الآخرين تكشف عن القليل من أوصاف المدينة. وتَعَسَّر وضع خريطة مقاربة لما كانت عليه بين القرن العاشر م. والقرن الخامس عشر م. بيد أنه بالإمكان وضع مخطط عام بالاستنجاد بما ورد عن المدينة في بداية القرن السابع عشر م.

وبالفعل فمن بين الوثائق الخاصة بالمدينة يوجد نص يصف المدينة ومخطط يرسم تفاصيلها، أُلِّفَا في نهاية سنة 1607 أو في

بداية سنة 1608. وبالرغم من أنه متصل بفترة متأخرة فإن هذا المخطط يُمَكِّن من محاولة وضع وصف لبونة في العصور الوسطى داخل اسوارها و خارجها.

فوصف البكري بونة في القرن الخامس هـ/الحادي عشر م. وكذلك الادريسي في القرن السادس هــ/الثاني عشر م.[1]. واعاد المؤلفون، من القرن الثاني عشر إلى القرن الخامس عشر م. ما اورده البكري أو الادريسي، أو هم اوجزوا الوصف. ووجب انتظار حسن الوزان (ليون الافريقي) للحصول على وصف لبونة في نهاية القرن الخامس عشر م.[2]. واخيرا رسم "مجهول" لوحة عن المدينة عندما حرر نوعا من "الروبرتاج" عن تحضيرات ووقائع غزو بونة الذي قام به دوق طصكانا "فردناند" وملك فرنسا "هنري الرابع" في أوت وسبتمبر 1607، فكتب:

"كان من الصعب آحتلال المدينة عنوة آحتلالا تاما، لأن المسجد الذي يشبه شكل حصن مدرع يسيطر على الكل... وانتشر الجنود في كل الشوارع الضيقة والملتوية إلى حد أنه لا يمكن لإثنين السير فيها سويا... وكانت الشوارع تشبه في التوائها التواء الثعابين... وتعد المدينة الفي منزلٍ تعلوها سطوح منبسطة محل السفوف... وشيدت المدينة على ربوة حسنة تعززها من الجانب

(1)أنظر نصي [IV] و[V]، ص.90-91

(2)أنظر نصي [VI] و [VII]، ص.93-96

البحري صخور ضخمة تجعل المدينة منيعة جدا، ويكفيها مناعة بروج المراقبة القائمة على النقاط العالية. ولا ترى المدينة تقريبا من عرض البحر، بيد أنها تطل برا على منظر جميل من السهول والجبال، ويبلغ محيطها حوالي ثلاثة أرباع ميل، ويحيط بها سور قديم ولكنه متين وعالي، معزز بعدد من الأبراج المتوجهة نحو البر. ولها ثلاثة أبواب، باب من جهة القصبة والآخر من جهة البر والثالث من جهة البحر لكنه مطل أيضا على البسيط. وهي من أهم مدن بلاد البربر، قديمة، آهلة ومشهورة... وبها كثير من المواجل إلا أن ماءها غير لذيذ أو هو مالح... ويقارب عدد سكانها عند الهجوم عليها ثمانية إلى عشرة آلاف ساكن، وربما بلغوا أكثر من ذلك لو لم يصبهم الطاعون فاتى على ثلثهم ثلاث سنوات قبل الهجوم عليها... وبالقرب من القنطرة توجد ساحة السوق المسورة بجدران من الحجارة، بنيت ملاصقة لها عدة حوانيت، ويجتمع الناس في الساحة مرة كل أسبوع يفدون من الإقليم ومن المناطق المجاورة، راجلين أو راكبين، ويبلغ عددهم أكثر من ستة إلى سبعة آلاف يأتون للبيع والشراء... وبالمسلك المؤدي من المدينة إلى القصبة، لا يوجد إلا القبور والقبب المورسكية مقامة على ربوة صغيرة وكل منها أجمل من الآخر حسب الوضعية الاجتماعية للمدفونين. وبعض المدافن عبارة على جنان وبساتين جميلة ومريحة محاطة بحائط قصير وتتوسطها قبة دفن تحتها المتوفى،

لونها أشد بياضا من الثلج يشبه الفضة الرقيقة تحت أشعة الشمس..."[1].

المدينـــة داخــل الســور

إن مختلف العناصر المادية الملتقطة من مختلف التآليف من القرن الحادي عشر إلى القرن السابع عشر م. ومخطط بونة المعاصر لنص "المجهول"، تمكن من وضع التصور الآتي للمدينة:

* فمن البكري إلى "المجهول" يتأكد أن بونة الحديثة شيدت على "نشز من الأرض" و"شيدت المدينة على ربوة حسنة تعززها من الجانب البحري صخور ضخمة تجعل المدينة منيعة جدا..."

* إن السور الذي يحد المدينة والمشيد "بعد الخمسين وأربعمائة" يبدو أنه ذلك الذي يقدمه "المجهول" (مؤلف "الهدايا الملكية") ذاكرا أنه "يحيط بها سور قديم و لكنه متين و عالي معزز بعدد من الأبراج..."

* وحسب مخطط 1607 فالمدينة خماسية الأضلع، مقاس الضلع الغربي 390 م. تقريبا والواجهة الشمالية ترسم ضلعين مقاسهما 390 م. و295 م. تقريبا، ومقاس السور الشرقي 429 م. ومقاس السور الجنوبي 390 م. تقريبا. وبذلك يكيل المحيط حوالي 1.900 م. ويذكر مجهول *"الهدايا الملكية"* : "ويبلغ

(1)أنظر نصي [IV] و[V]، ص.90-91

محيطها حوالي ثلاثة أرباع الميل". أما مساحتها فتغطي حوالي 22 هكتارا، فهي "ليست بالكبيرة و لا بالصغيرة" كما تقدمها نصوص القرن الحادي عشر والقرن الثاني عشر م.

* ويذكر مجهول *"الهدايا الملكية"* أن السور ينفتح على الخارج بواسطة ثلاثة أبواب: باب بالجهة العليا من السور الشمالي يفضي إلى القصبة، وباب آخر بالجهة السفلى من نفس السور يفضي إلى البر، ويوجد الباب الثالث في الطرف الجنوبي من السور الغربي. بيد أن مخطط 1607، يرسم بابا رابعا على السور الجنوبي ينفتح على البحر. والخلاصة أن بالسور أربعة أبواب رسمها المخطط الذي وضعته الهندسة العسكرية الفرنسية سنة 1832.

* يبدو أن المخطط العمراني ينطلق من الرباط أو من قلعة بالجهة الجنوبية الشرقية من المدينة أين يبلغ الارتفاع حده الأعلى ويتكئ هذا المبنى على السور الشرقي. ويبين التمعُّن في مخطط 1607 نوعا من القلعة المكونة من مسجد– وهو مسجد ابي مروان– ودار الإمارة؛ والكل محاط بسور ويحتل معظم الجزء العالي من المدينة. ويبدو هذا الترتيب شبيها بتنظيم مخطط قرطبة، الشيئ الذي يسمح باثبات تأثير أندلسي في تخطيط بونة الحديثة.

* إن الثلاث وثلاثين مجموعة بنائية التي تكون مخطط اشغال الأرض الواردة في مخطط 1607، ترسم أشرطة متجهة من

الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، تفصلها انهج ترسم نوعا من الخطوط المقوسة قليلا المتناسقة مع منحنيات المنحدرات. و رغم أن الانهج تبدوا متساوية العرض، إلا أنه يتضح من بين هذه الانهج محور أساسي يربط أعلى المدينة شرقا بباب الواجهة الغربية؛ أما بقية الانهج الاخرى فيبدو أنها تصب في اتجاه أبواب السور الشمالي.

* وفي وصفه لهذه الانهج يقول مجهول *"الهدايا الملكية"* إِنها: "..ضيقة وملتوية إلى حد أنه لا يمكن لإثنين السير فيها سويا... وهي تشبه في التوائها إلتواء الثعابين ..." إلا أن "طوماس شاو" يلاحظ و جود "ثلاثة شوارع جهزت بالحجارة على الطريقة الرومانية"[1].

* ويلاحظ حسن الوزان :"أن الديار الجميلة قليلة". أما مجهول *"الهدايا الملكية"* فيثبت أن المنازل "تعلوها سطوح مبسطة محل السقوف"...، وفي حين يقدر الاول عدد المنازل "بثلاثة آلاف" فالثاني يقدره "بألفي منزل".

* وتمثل المجموعات البنائية المذكورة اعلاه النسيج الحضري الممتد غرب الفضاء الحكومي المحصن. والظاهر أن وجد بهذا النسيج مسجد وهو الجامع العتيق الذي لم يذكره غير أحمد بن قاسم البوني ولكن بدون تحديد موقعه. ومنطق تخطيط

---

(1)أنظر*"صورة بونة-عنابة..."*نص. [VIII]، ص.99.

المدينة يفرض وجود هذا المسجد، إذ أن المسجد المسمى بابي مروان والذي سماه أحمد بن قاسم البوني جامع السلطان يوجد داخل الحرم السلطاني المحصن. فالمسجد العتيق كان إذن المسجد الجامع المشيد "وسط المدينة" والمخصص للجمهور.

* لم تتناول النصوص المتوفرة وصف توزيع المجموعات البنائية حسب وظيفتها. لذا لا يمكن إلا تقديم افتراضات اعتمادا على معلومات تتصل بفترات لاحقة. فالمخطط الذي رسمه الجيش الفرنسي سنة 1832 يعرف ببابين مفتوحين في السور الشمالي وهو الباب الأعلى المسمى باب المقابر والباب السفلي المسمى باب السكان. فيمكن استخلاص أن الأحياء السكنية تحتل أساسا شمال المدينة. أما الأسواق المذكورة في مختلف المصادر فتوجد بجنوب المدينة، وهذا الافتراض جائز لأن المجموعات البنائية لهذه الجهة متصلة رأسا بباب البحر وباب السور الغربي (المسمى باب قسنطينة) وهما بابان يفضيان إلى مرسى بونة وكذلك إلى السوق الأسبوعي القائم خارج السور الغربي. ومن الراجح أن كان الجامع العتيق قائما على الحد الفاصل بين الفضاء السكني والفضاء الاقتصادي.

* بيد أنه يبدو ان كانت بونة الحديثة تعاني من مشكلة التموين بالماء، تعرض إلى ذكرها البكري وحسن الوزان. فالاول يشير إلى بئر بالساحل وهو بئر النثرة الذي يسقي أكثر السكان، أما

الثاني فيلاحظ غياب العيون في المدينة التي تدارأت العائق ببناء المواجل لتجميع مياه الأمطار.

فضـــاءات خـــارج المدينـــة

* وللمدينة سوق أسبوعي اشار إليه حسن الوزان وذكر أنه يقام كل يوم جمعة. ومجهول *"الهدايا الملكية"* لاحظ بأكثر دقة أنه قرب قنطرة وادي بجيمة توجد *"ساحة السوق المسورة بجدران من الحجارة بنيت ملاصقة لها حوانيت.."* ورسم مخطط 1607 هذه الجدران خارج السور الغربي بطرفه الجنوبي الأقصى.

* وأخيرا اقيمت المقابر بالرُّبَى الموجودة بين الواجهة الشمالية للسور والقصبة. وخصص مجهول *"الهدايا الملكية"* وصفا شاعريا لهذه القابر.

*

** **

ملحقـــات المدينـــة

وللمدينة المرصعة بين أسوارها ملحقات متصلة بوظائفها كمخرج اقتصادي وكثغر دفاعي: وهي الميناء والقصبة.

مينــــاء بونــــة-عنابـــة

إن جون الازقاق الواقع بأقصى شرق الجزائر يرسم شكل عروة فسيحة الاتساع يحدها غربا رأس الحمراء وشرقا رأس

بوفحل. إذ بهذه الواجهة الغربية من الخليج الغني بالمآوي المتيحة للاتقاء والدفاع، آنتصبت المنشآت البشرية: من مراكز حياة ومراسي تجارية ومواقع دفاعية. وتتمتع الملاحة خاصة بالمنطقة الممتدة من رأس الحمراء إلى مصب وادي سيبوس مرورا بجون القلعة الجنوية وجون الخروبة وجون بونة. ويشكل هذا المجموع الموقع المينائي الكبير لبونة أثناء القرون الوسطى. فكل هذه المآوي بها امكانية التزود بالماء، ومن نقاط الماء عين عشير بمنطقة رأس الحمراء وعيون منطقة القلعة الجنوية ووادي قبة بمنطقة خليج المرجان والخروبة، وبئر النثرة على ساحل خليج بونة الذي يمونه وادي سيبوس ووادي بجيمة. وكل هذه النقاط في مأمن من الرياح الغربية خاصة عند تقلب الطقس. وجميعها مراسي ممكنة حسب ساعة الوصول وحسب الأحوال الجوية، فتتمتع بونة بموقع مينائي يمتد من `36°53 إلى `36°58

ويسيطر هذا الموقع المينائي على الخليج، إذ هو الممر المحتوم للملاحة و"رأس القنطرة" للجواز من الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط إلى الحوض الشرقي منه؛ ويبعد اقصى جنوب جزيرة سردينيا بمسافة 234 كم عن رأس بوفحل. فالخليج مدخل "للمضيق" السرديني-الصقلي-الافريقي الذي يوجد مخرجه بعد مرسى قليبية بالقطر التونسي.

ويتركب "المجموع" الميناﺋﻲ من مجموعة مراسي. وأول النصوص التي تصف هذا "المجموع" يعدد تعاقب المراسي على الواجهة الغربية من الخليج: فمن تكوش (شطايبي حاليا-هربيون سابقا- وطقطوا قديما) يصل المركب " إلى رأس الحمراء ثم إلى مرسى ابن الالبيري ثم إلى مرسى الخروبة ثم إلى مرسى منيع وهو مرسى بونة" (البكري).

وفي خصوص تسمية مرسى بونة يقول مجهول *"الاستبصار"*، وهو مصدر من القرن الثاني عشر م: "يسمى ميناء بونة مرسى الازقاق". وقد وردت هذه التسمية عند الادريسي قبله الذي يتحدث عن"جون الازقاق وهو جون صغير". ويضيف: "وفي آخر [الجون] مرسى الخرز". فالازقاق، اسم خليج بونة، يحده غربا رأس الحمراء وشرقا رأس بوفحل. ويبدو أن جذر كلمة الازقاق *"زق"* الذي نجده في كلمة *"زقاق"*، والمعنى مناسب لموقع هذا الخليج عند دخول الممر أو "المضيق السرديني الصقلي الافريقي"؛ وتذكرنا العبارة بمصطلح *"زقاق"* المستعمل في تسمية مضيق جبل طارق.

فيتكون "ميناء" بونة من ثلاثة مراسي أساسية تمتد شمال وجنوب بونة الحديثة، واقدم مرسى يوجد بخليج بونة-سيبوس؛ وبهذا الجانب من "الميناء" ترسو الغربان وتلجأ بمصب سيبوس عند

سوء الأحوال الجوية؛ ويوجد المرسى الثاني شمال المدينة بجون الخروبة، وشمال هذا المرسى يوجد الثالث وهو مرسى ابن الألبيري المسمى حاليا شاطئ البرج الجنوي، والذي يسميه "شـــاو" (Shaw) مرسى البربر. واستمرت الوضعية على هذا الحال طيلة العصور الوسطى. فالمدينة المشيدة على علو 32 م. تقريبا والمحاطة بأسوار والتي توجد واجهتها البحرية على منحدر وعر مشرف على البحر، تتوفر على ميناء خارج الأسوار. والسفن تستعمل هذا المرسى أو الآخر حسب حمولتها، وحسب الأحوال الجوية وحسب توجيهات مجهزي السفن وأصحاب التأمينات وربما حسب الوضع الأمني.

التجهيـــزات

مرت "المنشآت الميناثية" الموجودة عند أبواب المدينة بمرحلتين تاريخيتين. فالمرحلة الاولى هي تلك التي كانت فيها بونة لا تزال بموقع هبون العتيقة وتسمى مدينة زاوي أو مدينة سيبوس. ففي هذه الحقبة كان "الميناء" يستعمل المجال الموجود بين الموقع القديم للمدينة ومصب وادي سيبوس. ويبدو أن المرسى وجد آنذاك أسفل الجهاز الدفاعي الذي تشاهد بقايا منه اليوم بمنطقة "حي *الواجهة البحرية*"، وبضفة مصب وادي سيبوس أين وقعت الإشارة إلى "*ورف روماني*" في القرن التاسع عشر، شرق موقع هبون. بيد

أن شح المصادر المكتوبة، وأشغال التهيئة في القرن التاسع عشر والقرن العشرين، وتحويل مصب وادي سيبوس تحول دون العثور على ادنى اثر.

والمرحلة الثانية هي التي آحتلت عندها مدينة بونة الحديثة موقعا جديدا على بعد ثلاثة كم شمال الموقع القديم. وأثناء هذه الحقبة نظم الميناء في المراسي الثلاثة التي مر وصفها، بدون التخلي النهائي على موقع أوائل القرون الوسطى. وبالنسبة لهذه المرحلة كذلك فإن الوثائق لا تشير إلى تهيئة تجهيزية خاصة. كما انعدمت الوثائق المادية في الاشارة إلى ذلك. فالملاحة والملاحون استعملوا التهيئات الطبيعية للساحل. وللاشارة فإن وجود بئر النثرة يعود إلى تاريخ مبكر وهيئ لاحتياجات السكان وكذلك للسفن التي ترسوا عند أسوار المدينة. فمجموع المراسي التي تكون "المجمع الميناتي" لبونة هي من تهيئة الطبيعة أساسيا.

وبفضل وجود غابات كبيرة، ومنها غابة الإدوغ خاصة، بالقرب من الساحل، فقد وجدت صناعة للسفن أو على الأقل اصلاحها. فتخبر شهادة تعود إلى بداية القرن السابع عشر (*الهدايا الملكية Les Estraines Royales*) بوجود معمل لتزفيت السفن (Espalmoir) على مسافة حوالي 4,5 كم من المدينة وبالتالي بجون البرج الجنوي.

مراسي طبيعية إذن مشكل أمن، خـــاصـــة أن الخليج يمثل

مدخل (أو مخرج) "المضيق السرديني الصقلي الافريقي". فمجمل مراسي بونة بما فيها مرسى خليج بونة- وهو مرسى منيع - تستوجب اعتناء أمنيا ودفاعيا خاصا لوجودها في البسيط. وكان الميناء معرضا باستمرار إلى التهديد. فالتغطية الدفاعية ضرورة قطعية. وبالفعل، بساحل خليج بونة مواقع طبيعية مؤهلة للحراسة والدفاع: من الطنف الذي يمتد من رأس الحمراء إلى رأس بوفحل. فالخليج يقع تحت مراقبة الرأسين. ومن الصعب اعتقاد عدم تهيئة أبراج مراقبة بهذين المركزين الذين يتحكمان في الممر المتجه من الشرق إلى الغرب وكذلك في مدخل الخليج للإرساء ببونة. ألم تكن آثار مبنيين أشار إليها "شو" بقايا لمنشاة حراسة أو دفاع؟ وتشير المصادر إلى تهيئة الدفاع على مستوى خليج بونة. فابن حوقل يذكر وجود رباط ببونة في القرن العاشر م. وهذا الدفاع مؤكد جليا بتسمية مرسى بونة *"بمرسى منيع"* حسب قول البكري. وهناك نقطة دفاعية ممكنة أخرى موجودة على بعد حوالي 4,5 كم شمال المدينة وتسميها الخرائط اليوم البرج الجنوي ويسميها البكري *"مرسى ابن الالبيري"*. ولا تزال بقايا هذا البرج قائمة وتعطي، لافتراض تشييد جهاز دفاعي من طرف السلطة الأهلية في القرون الوسطى، أساسا جديا.

إلا أن القطعة الأساسية في جهاز الدفاع عن الميناء والمدينة تبقى بدون منازع القصبة التي شيدت على قمة جبل عابد (109 م)

والتي تهيمن على كامل الجهاز الدفاعيَ للمدينة و الساحل. وإضافة إلى ذلك نشير إلى قيام مجموعة من القبب كان من أدوارها مراقبة السواحل؛ وقد شيدت القبب على المرتفعات المطلة على الخليج.

ويرسو بالميناء نوعان من السفن: صنف الشواني (مفرده، شاني) وهي سفن حربية يذكرها البكري ويبلغ طولها 46,65 م. والصنف الثاني يسمى الغراب وهو أصغر من الشاني، وكان يستعمل أيضا في النقل التجاري. وذكر هذا الصنف في قصيدة من القرن السابع عشر م. بمناسبة الهجوم على المدينة أثناء القرن الرابع عشر م. وقد ذكر العبدري أيضا ذلك الغزو. وبالنسبة للقرن الخامس عشر م. تذكر المصادر صنفا آخرا وهي "الغاليوت" (Galiote). وفي فترة قريبة من القرون الوسطى، عندما آحتل الإسبان بونة سنة 1535، فالسفن المستعملة من طرف خير الدين والأسطول الإسباني كانت من صنف الشواني. وفي سنة 1607، عند غزوة الطوصكانيين، استقبلت مياه بونة الشواني و"الفرقاطات" (Frégates) و"البروتونات" (Bretons) و"طريضة" (Tartane)، فإذن كانت سفن حربية من حجم كبير تأوي إلى ميناء بونة، بيد أنه كان يستقبل أيضا. سفنا تجارية من صنف "البريغنتين"(Brigantin) ومن نفس حمولة الشاني. وكان الميناء يستقبل مركبات صيد ونقل المرجان وكذلك مركبات من نوع الشبك التي تقوم بالملاحة الساحلية والآتية من السواحل التونسية أو من بجاية.

القصبـــة

ويشرف على التل الذي شيدت به بونة الحديثة على مسافة 500 م. شمالا، جبل عابد أين بنيت القصبة. وترتفع ربوة القصبة بقدر109 م . وهي أعلى نقطة على محيط كيلومتر. فمن أعلاه تشرف قمة الربوة على أفق الساحل إلى رأس الحمراء شمالا؛ وشرقا، على بعد 500 م. تقريبا تشرف على رأس حمام ومن هناك على الخليج؛ وجنوبا تقع المدينة في مجال رؤياها؛ وغربا تفسح قمة التل المجال للنظر على كامل الفضاء داخل البر المكون من جبل إدوغ والسهل أين تلتقي طرق قسنطينة وقالمة وسوق أهراس. فالوضع الجغرافي لهذا الموقع يفسر اختياره كموقع استراتيجي للدفاع أثناء القرون الوسطى وكذلك أثناء التاريخ القديم. ففسيفساء *"منظر عام من هبون"* التي تقدم بوضوح الساحل من رأس حمام إلى رأس الحمراء، رسمت بناء دائريا على مستوى ربوة القصبة، وهذا البناء الدائري يبدو أنه كان منشأة دفاعية قديما. وبذلك ومنذ التاريخ القديم فرض هذا الموقع وضعيته الدفاعية التي تأكدت بتشييد قلعة القصبة عند ارتقاء الحفصيين إلى الحكم في القرن الثالث عشر م.

وتثبت المصادر التاريخية وجود القصبة منذ منتصف القرن الرابع عشر م. على الأقل. بيد أن هذه المصادر لا تعطي تاريخا محددا لتشييدها. ولكن بحوزتنا نقشا وضع على رأس باب المبنى.

ومقاس اللوحة من المرمر 1,30م x 0,45 م. والأحرف بها ناتئة، إلا أنها تآكلت من جراء رداءة نوعية المرمر مما يجعل قراءتها صعبة. والخط مغربي منحط نقش بدون اعتناء كَافٍ. وفيما يلي نص النقيشة:

الباقية الصالحات–الباقية الصالحات–الباقية الصالحات [قرآن، 46/XVIII]

1 – بسم الله الرحمان الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وسلم

2 – غفر الله تعالى لسيدنا ومولانا الباشه المعظم أبي محمد صالح بن [......] وصاحب

3 – الجزائر كان الله وليا وناصرا معين اليه أنفق ماله على بنا هذا الحصن المنا

4 – ع والمطل على باب بونة الغرا امنه الله تعالى ممتثلا لقوله تعالى" والذين

5 – ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم

6 – أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون" [قرآن، 262/II] وكان النايب له في البنا

7 – العبد الفقير عمر بن محمد كان الله له وليا وناصرا أساله سامع [.....]

8 – وسبيله وسمح ما له فرضا لله ورسوله فاننا علمنا ببركاته باذن الله كتب.

بالرغم من نقيصتين لم يفقد محتوى النص مفاده الأساسي. فتذكر النقيشة تفصيلا اولا في خصوص حد تأريخه الماضي وهي كلمة *"باشا"* الواردة بالسطر الثاني؛ مما يجعل النقيشة تعود إلى مابعد العهد الحفصي. والتفصيل الثاني الوارد في نفس السطر يكمن في التعبير على تسمية الباشا: الكنية والإسم. وذاك مايضعنا في فترة قريبة من آنتصاب السلطة التي خلفت الحفصيين. وبإضافة كلمة "صاحب" من السطر الثاني إلى كلمة "الجزائر" من السطر الثالث تحصل العبارة "صاحب الجزائر". وبالتالي فإن الباشا، صاحب الجزائر أبا محمد صالح، هو الذي أمر بترميم القصبة. ورئيس السلطة بالجزائر آنذاك المسمى صالح وله ابن آسمه محمد، هو صالح رايس الذي حكم من 1552 إلى 1556؛ وابنه محمد معروف إذ حكم الجزائر سنة 1557.

فهذه النقيشة تذكر بتجديد بناء وترميم معلم سابق للقرن السادس عشر م. والذي عانى بين 1535 و 1540 آثار الآحتلال الإسباني.

وفي المصطلحات المغاربية خاصة تعني كلمة قصبة: قلعة وحصن وحسب *"موسوعة الإسلام"* (Encyclopédie de l’ islam) فالقصبة حصن مرتبط بمدينة

محصنة، ولكنه منفصل عنها بحيث يمكنه مواصلة المقاومة بعد سقوط المدينة أو يصلح ملجأ للوالي في حالة ثورة سكان المدينة ضده. وبالتالي تحدد موقعه أحسن استراتيجية وفي بعض الأحيان يطابق موقعه موقعا عسكريا سابقا.

ولم يبق من القصبة الحفصية إلا الأسوار. بيد أن وثائق تعود إلى ما بعد العصر الوسيط، وهي أساسا من الرسوم، تمكن من تصور هيكل القصبة. والقصبة تشرف سويا على المدينة جنوبا، وعلى داخل البر غربا، وتراقب بسهولة الطنف شمالا والخليج شرقا. والقصبة منفصلة عن المدينة على بعد 500 متر تقريبا، وهذه الوضعية تميزها عن قصبة قسنطينة و قصبة بجاية إذ اقحمتا داخل مخطط المدينة. ولكن يربط القصبة بالمدينة جدار يجعل التحركات بين الحصن والمدينة مؤمنة.

وتمثل القصبة مستطيلا ينتهي بطرف ضيق جنوبا، وهذا الجزء منها يوحي بمقدمة سفينة.

وتبلغ دائرتها 590 م. تقريبا ومساحتها تغطي حوالي 13.263 مترا مربعا، وذاك مايمثل 5,9 بالمائة من مساحة مدينة بونة. ويذكر مجهول *"الهدايا الملكية"* أن للقلعة باب واحد. وفي سنة 1830، كان السور "يتكون من جدار وعر علوه خمسة إلى سبعة أمتار يعلوه خائط مسنن علوه مترين". وهذا السور بقي على حالته الاصلية كما يبدو، وتعزز السور عشرة أبراج مراقبة.

وداخل القصبة وحسب مخطط 1607، يمكن مشاهدة مسجد جنوب الحصن ونص مجهول *"الهدايا الملكية"* يؤكد ذلك إذ يقول : "ولم يبق للاتراك ملجأ سوى صومعة المسجد". كما وجد شمال المبنى مسجد آخر وهو جزء من مجموعة معمارية ثانية.

وتوجد بشمال القصبة بيوت السكن منها سكنات الوالي وسكنات أصناف اخرى من المقيمين. وكان للقصبة منشآتها لجمع الماء التي كانت مقامة بالجزء الجنوبي منها. وابتداء من سنة 1838 ادخلت على القصبة تغييرات عديدة تشاهد اليوم آثارها.

*

** **

المبانـــي الدينيـــة

كانت مدينة بونة-عنابة تعد مباني دينية عديدة، حدد موقع أربعة لم يبق منها سوى مسجدَ أبي مروان المشيد في القرن الحادي عشر م. ومسجد صالح باي المشيد سنة 1792. أما المسجدان اللذان أشار إليهما مخطط سنة 1832 فوقع تهديمهما؛ وكانا متواجدين بشمال المدينة كما شيدت داخل المدينة وخارجها أضرحة ومصليات.

مسجـــد أبي مــروان

إنه أقدم مسجد ولكن شوهته العديد من عمليات البتر والتغيير. وأصلا كان المسجد جزء من رباط. وعندما أصبح الرباط

دار الوالي ابان توسع المدينة الحديثة، سمي المسجد جامع السلطان. ولم يبق من المجمَّع إلا المسجد؛ وبما أنه كان قاعدة المذهب المالكي الذي كان يدرسه هناك أبو مروان، خصص المسجد لهذا المذهب غداة القرن السادس عشر م.

ويتموقع المسجد بأعلى منطقة من بونة-عنابة، بالقرب من الزاوية الغربية من المدينة. ويتركب المسجد من قاعة صلاة يلاصقها سطح شمالا وشرقا؛ وتنفتح القاعة على صحن يؤطره رواق معمّد.

ومقاسات قاعة الصلاة 19,64م x 19.21م؛ وتتركب القاعة من سبعة أروقة عمودية وسبعة أروقة أفقية. وأغلب الأعمدة التي تحمل السقف تعود إلى التاريخ القديم؛ اوتي بها على الأرجح من هبون. بيد أنه إلى جانب التيجان المعاد استعمالها وجدت تيجان من الفن الإسلامي المتصل بالعهد الصنهاجي.

وبني المحراب على شكل مقوس. وكانت تعلو قاعة الصلاة أصلا قبتان احداهما وجدت بوسط الرواق الداخلي، والثانية تتقدم سقف المحراب. وزين ظهر قبة الرواق القبلي بمفصصات ملتوية. ومع الأسف فعند الآحتلال الآستعماري حول المسجد إلى مستشفى عسكري مما أدى إلى اتلاف القبتين من أجل بناء قاعات علوية.

وتبين رسوم ليتوغرافية صحنا تحيط به أروقة معمدة لم يبق ظاهرا منها اليوم إلا الرواق القبلي. وتحتل الصومعة الزاوية

الشمالية الغربية .من الصحن. وقد مس الضرر أيضا اجزاءها العلوية؛ إلا أنها احتفظت بهيئتها الأصلية. فمخططها مربع؛ وتتركب من ثلاثة طوابق يتقلص كل واحد منها من أسفل إلى أعلى. وتذكر هيئة هذه الصومعة هيئة صومعة مسجد القيروان. وبداخل الصومعة درج يصل إلى أعلاها ومنه الدخول إلى قاعة صلاة صغيرة بمحرابها. وهذا نموذج نادر من وجود قاعة صلاة بداخل الصومعة، ومن المحتمل أن ينتمي نمط هذا المبنى إلى نمط معمار الرباط الخاص، وتجدر مقارنة هذا النمط بنمط برج الاشارات التابع لقصبة سوسة بالقطر التونسي.

وهيئت دهاليس على مستويين تحت الأرض، من جهة السطح. ومن الراجح أن آستُعْمِلت الدهاليس كمخابئ ومستودعات، وهذا مايبرهن على الدور العسكري لهذا المبنى الذي كان المسجد أحد مكوناته.

ووقع تشييد المسجد بين نهاية القرن العاشر م. وبداية القرن الحادي عشر م. ومن الأكيد ان أدخلت عليه تغييرات وترميمات أثناء القرنين السابع عشر والثامن عشر م. وعند اعادة المسجد للعبادة الإسلامية غداة الحرب العالمية الثانية، لم تبق من هيئته الأصلية إلا قاعة الصلاة والصومعة والصحن والرواق القبلي.

ونالت المسجد أضرار عقب انفجار باخرة محملة بالذخيرة الحربية سنة 1964. ولم يبق أثر من المدرسة التي كانت فرعا من المسجد.

*
** **

مسجـــد البـــاي

ويحتل المسجد الثاني وسط المدينة، محاذيا ساحة 19 أوت (ساحة السلاح سابقا) من الجهة الجنوبية: وهو مسجد الباي.

ويتركب من قاعة صلاة ومن صحن ومن صومعة ومن فروع.

فقاعة الصلاة تكيل 14,50م x 12, 75م؛ وتتركب من ثلاثة أروقة تقسم القاعة إلى أربعة أجزاء متفاوتة الحجم. ويرسم المحراب شكل نصف دائرة. وقد خصص جناح للنساء مرتفع على سدة من الخشب.

وتعلو سطح القاعة قبة على مستوى الرواق الرئيسي. ولم يحتفظ الصحن من الأروقة الأربعة المحيطة به إلا على الرواق المحاذي لبيت الصلاة؛ وهيئت مختلف الفروع بالأروقة الاخرى. وبنيت الصومعة في الطرف الشمال الشرقي، خارج بيت الصلاة، وشكلها الأسطواني يدرج المسجد في نمط المعمار الديني العثماني.

وحجب الواجهة الأصلية رواق بني أثناء 1853-1852.
ويتركب الرواق من أعمدة مصففة، يعلوه نوع من بريج يحمل ساعة. كما يتقدم الرواق مبنى كان برج حراسة ثم حول إلى محكمة شرعية ومدرسة قرآنية؛ ثم عوض كل ذلك بحجرة للإمام. أما الميضاءة التي كانت داخل المبنى بغربيه، فقد اضيفت لقاعة الصلاة في السبعينات لتوسيعها.

ورغم احتفاظه بمكونات هيكله الأساسية وبمعماره الأصلي، فإن المسجد تعرض هو الآخر إلى تغييرات قبل 1962 و بعدها.

ودوّن تاريخ المبنى في قصيدة تذكارية نقشت على لوحة رخامية وضعت أعلى الباب الموجود بنهج بوروغة محمد (نهج القاضي سابقا)، و تقول القصيدة:

" لعمرك بيت الله للسر جامع	مشيد أركان به السر ساطع
بيت دونه زهر الكواكب رفعة	به بونة للسعد منها مطالع
به جاد تاج الدين والمجد "صالح"	إلى درج العلياء راق وطالع
أمير البرايا زاد ظفــرا ونصرة	ومؤيد دين الحق الشرع تابع
فمن أسس البيت الرفيع على الهدى	أأرخــه للخير برك جــامع"

فذكر البيت الثالث إسم "صالح" وهو الآمر بالبناء. وهو باي قسنطينة من 1775 إلى 1792. أما تاريخ المبنى فأتى في البيت الخامس ويُهتَدى إليه بجمع قيمة كل حرف من العجز،

أي سنة 1206 هـ/ 92-1791م. وخصص المسجد للمذهب الحنفي وهو مذهب الدايات الرسمي.

*

** **

مصليات و أضرحة

فداخل المدينة وخارج الأسوار شيدت أغلب المصليات والأضرحة بين القرن السادس عشر والقرن الثامن عشر؛ وتشييدها تكريم لشيوخ العلوم الدينية ورؤساء الطرق الصوفية. و"الزوايا"- خاصة المشيدة خارج المدينة- إضافة إلى كونها مراكز صلاة وتجمع مريدي مختلف الطرق، فهي تكون نقط ايواء للمسافرين الذين يَصِلُون عند الغروب إلى بونة-عنابة وكذلك بيوت صلاة الجمعة للمصلين من الوافدين من خارج المدينة إلى السوق الاسبوعي؛ وتكون أيضا نقط مراقبة في حالة نشوب نزاعات حربية.

فداخل المدينة، آخر الزوايا التي وصلت إلى القرن العشرين هدمتا عمدا : وهي زاوية الشيخ بلعيد (بنهج جعطوط) وزاوية اخيه عبد القادر (نهج كسيرات). ولم يبق إلا المصلى الذي شيد تكريما للشيخ خليف، وراء مبنى قاعة سينما "الرجان" سابقا.

وخارج المدينة يوجد بمفترق الطرق المؤدي إلى القالة وقسنطينة مصلى وزاوية من أشهر المصليات، شيد تكريما للشيخ

ابراهيم بن التومي. وإذا كان تاريخ وفاة الشيخ يعود إلى سنة 1087 هـ/1676م. فإن تشييد المصلى حقق في تاريخ لاحق. إذ خطت أبيات شعرية تذكر ببناء المصلى. ويستخرج تاريخ البناء من جمع قيمة أحرف كلمات عجز البيت الأخير: أي سنة 1182هـ/1768م. كما تذكر النقيشة إسم أمين البنائين الذي أشرف على البناء وهو محمد بن سطا. ووقع إنجاز بناء القبة والمصلى أيام حكم باي قسنطينة أحمد بن علي القلي.

وتقول النقيشة:

"سمي خليل الله هـذا مقامه به بونة أضحت تحلى وتحمـد

لئن ساد تومي أبوه فجـده فمرداس الجد بذا القطب سيـد

على طين طين (؟) وحسبك قطبه وبونة أمن كل يوم مجدد

فقلت لبانيه ابن سطا مؤرخا: سعدت ببر يـا أمين محمد"

المدينـــة وحوزهـــا حوالـــيى 1832

في ذلك التاريخ، استمرت عناصر الاعمار المذكورة في الصفحات الماضية في تكوين المنظرِ الحضري والشبه الحضري لبونة–عنابة. إذ مكنت الوثائق الكولونيالية من تاكيد بعض العناصر أو اتمام رسم اللوحة.

المركـــز التجـــاري

وجد المركز في النصف الجنوبي من المدينة منحصرا بين مسجد أبى مروان شرقا والسور الجنوبي والسور الغربي ومسجد صالح باي. و كان منظما اسواقا متخصصة:

- سوق الحوكـــة (أعلى نهج عيسات إيدير)
- سوق الحجامينن (نهج نغرة محـــمـــد)
- سوق الجزاريـــن (نهـــج شمنتي عزوز)
- سوق النجاريـــن (نهـــج الأهـــــرام)
- سوق الفخاريـــن (نهـــج الأهـــــرام)
- سوق العطاريـــن (نهج غزيري زيـــنـــة)
- سوق الجياريـــن (قرب باب قسنطيـــنـــة)
- سوق الحدادين (أسفل نهج عيسات إيدير)
- سوق الخرازيـــن (وسط نهج عيسات إيدير)

الأحيــاء السكنيــة

تمركزت هذه الأحياء أساسا في الجانب الشمالي من المدينة. وكانت تحمل غالبا أسماء مباني عمومية للخدمات:

- حي كوشة العصافري (نهج دالي علي)
- حي عبرة اوحومة اليهود (نهج الفداء)
- حي العقبة (نهج القديس أوغستين القديم)
- حي حمام القايد (النهج الملكي سابقا)
- حي بئر جرادة (نهج الجزائر)

التمويــن بالمــاء

قبيل 1830، موَّنت المدينة 17 عينا تاتيها المياه عن طريق الاكدوك (قنطرة ماء) الذي ينزل من جبل الإدوغ. ويعزز هذه الاعين قادوس رئيسي من الفخار ياتي بالماء من وادي فرشة على مسافة 5.500 م. وينتهي إلى صهريج مقام في موضع ساحة اسطنبولي حاليا (قرب حديقة الحرية).

المبانــي العسكريــة

حتى بداية القرن الرابع عشر، يبدو أن الدفاع مركَّز داخل المدينة نفسها معتمدا على الرباط الذي كان مسجد أبي مروان جزء منه. وابتداء من القرن الرابع عشر اصبحت قلعة القصبة الجهاز الأساسي، آنتصبت بها الحامية والقيادة العسكرية. وتعزِّز الحامية

داخل المدينة ثلاث ثكنات سميت قبل آحتلال المدينة سنة 1832 الطبانات و هي:

- طبانة القصبة، مقامة قرب مسجد أبي مروان؛
- طبانة المقابر، ملاصقة لبرج المعدمين (المشنقة)، متكئة على السور الشمالي؛
- طبانة القلعة، مقامة فوق باب البحر، متكئة على السور الجنوبي.

الفضـــاء خـــارج الســـور

الأســـواق

ويمثل القطاع الاقتصادي سوقان اسبوعيان: سوق الحبوب أو الرحبة وسوق الحيوانات ويسمى سوق المواشي وهو امتداد للاول وينتهي إلى وادي بوجمعة (أو بجيمة) وتقام التجمعات والمبادلات كل يوم جمعة.

الفضـــاء الفلاحـــي

وتغطي الفحص الشمالي وخاصة الغربي البساتين والزياض التي ترويها السواقي المنطلقة من جداول المنطقة، مثل وادي القبة ووادي فرشة ووادي الذهب...

القبـــب والمقابـــر

وبالقرب من سور المدينة الشمالي، بالجانب الغربي من جبل عابد، اقيمت سبع قبب وسميت *"السبعة رقود"* (لم يبق منها اليوم سوى قبة واحدة مخربة) وسط مقبرة *"الطُّلْبَة"* أي اهل العلم والتصوف؛ والموقع يطابق الموقع الحالي لقصر الماء ومستشفى "فرانز فانون".

وشيدت قبب أخرى بالجبال والربى المحيطة بالمدينة.

التنظيـــم الحضــري الكولونيالـــي

انجر عن الحرب من 1830 إلى 1832 تخريب بونة-عنابة ومحيطها القريب: فخربت بساتين الخضر واتلف جهاز الري والتموين بالماء حتى أن المياه السائحة خلقت مساحات من المستنقعات على حساب السهل. ونتيجة للحصار هجر المدينة اهلها، فلا يربو من بقي بها من السكان على أكثر من 1500 شخص. فكان همّ الحملة العسكرية المنتصبة ببونة-عنابة، التي سميت منذ ذاك التاريخ "بون"(Bône)، هو تهيئة المدينة لفائدة الآستعمار.

التنظيـــم الحضــري العسكــري

كانت الاولوية في تنظيم المدينة والآنتصاب بها للعسكر. وإذا كانت المدينة قد اكتُسِحت سنة 1832 فالمقاومة التي كانت تخنقها اجبرتها على أن لا تكون سوى ملجإٍ دفاعيٍّ. ولم يستطع الجيش الفرنسي توسيع سيطرته على داخل البلاد إلا بين 1845 و1850. فاجبرت وضعية الاختناق المحتل على تهيئة اعمارية مكتسبة طابعا امنيا. فقام الجيش بعمليات التهيئة و لفائدته.

ولضمان الأمن العام وقع ترميم أسوار المدينة. ولتهيئة مطاف الحرس الداخلي بأعلى الأسوار وقع هدم البيوت المحاذية للسور.

وبالتالي فإن المدينة التي ابقي عليها داخل أسوارها القديمة، حُوِّر مخططها مع ما انجر عن ذلك من بتر معماري وجمالي. فتحقيق مشروع ترصيف انهج المدينة المقرر سنة 1833، احدث تربيع المدينة بتهيئة محاور مرورية اوسع، موجهة-على التقريب- شمالا-جنوبا/شرقا-غربا. فبدلت الواجهات أو جدد بناؤها، نتيجة لتبديل أو تجديد بناء العمارات التي خلفت تلك التي هدمت. ومن 674 بيتا محصيا حوالي 1833 لم يبق سوى 604 سنة 1836.

واحدث "بوسط" المدينة ساحة وهي "ساحة السلاح" تنطلق منها وتنتهي إليها الانهج المعادة تهيئتها. ولما كان اهتمام الجيش موجها إلى جنوده، فإنه استولى على 266 بناية لتخصيصها للثكنات، واقعة أساسا شمال وغرب المدينة وآنتصبت المصالح المدنية بإثنين وعشرين بيتا.

وهُيِّئت احدى هذه البيوت كنيسة، بالطرف الجنوبي الغربي من المدينة. وترك للدين الإسلامي مسجد الباي إذ اخلي مسجد الرمانات وكان قائما بشمال المدينة، وخصصت للدين اليهودي بيعة عوض القديمة التي كانت قرب السور الشمالي وهدمها الجيش الفرنسي.

ونظم القطاع الصحي بالجانب الشمالي الشرقي من عنابة- بون، إذ حُوِّل مسجد أبي مروان وسبعة بيوت مجاورة له، إلى مستشفى عسكري. وحلت مستودعات الإدارة العسكرية بجوار باب

البحر شرقي المدينة.

وفي انتظار بناء مقر الإدارة سنة 1842، حلت الإدارة "المدنية" بدار قنصل فرنسا القديمة. وموازاة لاصلاح قنوات تموين المدينة بالماء، وضع الدوق "دي أومال" (Duc d'Aumale)، عند زيارته لعنابة-بون، حجر الأساس لبناء فسقية بساحة السلاح يوم 19 سبتمبر 1844.

وبعد 1840 عندما ابتعد خطر المقاومة عن المدينة، اخذ الكولون في الاقامة خارج الأسوار، غربا، على جانبي طريق الإدوغ الذي شرع في تهيئته ابتداء من سنة 1841 ودشن يوم 2 ماي 1842. وهكذا انطلق بناء "حي لاكولون" (La Colonne). واستجابة لحاجات الكولون الفلاحين احدثت مشتلة وبساتين ابتداء من 1843 خارج السور.كما اقيم خارج المدينة سوق (الفندق) بين 1832 و1844. ووقع يوم 30 أكتوبر 1842 تحويل الذراع الأمامي الأيمن للقديس أوغستين-من بافيا (Pavia بإيطاليا) إلى عنابة-بون- وعرض في قبة يعلوها تمثال برنزي للأسقف، واقيمت القبة بالربوة التي ستشيد بها لاحقا "البازليكة".

*

** **

المخطط العمراني الحضري الكولونيالي

اول مخطط عمراني كولونيالي لعنابة-بون، مقترح في جوان 1844، وقع تبنيه سنة 1845. فاضيفت إلى المدينة التاريخية

مدينة جديدة. وهكذا برزت المدينة الكولونيالية التي اخذت تتجسم ابتداء من سنة 1845.

وارتسم حوز المجموعة العمرانية الجديدة لمدة قرن تقريبا مع انتهاء بناء الأسوار الجديدة حوالي 1861، وتهديم أسوار بونة التاريخية حوالي 1868 بعد رفع صفة التصنيف القانوني عنها. وتضم الأسوار الجديدة، شمالا، جبل عابد و"السبعة رقود"، ثم تعرج يسارا–على مستوى قصر الثقافة حاليا–لانشاء الجبهة الغربية، وتعرج ثانية يسارا–على مستوى محطة النقل الحضري الحالية–لتتصل بالبحر لتكوين الجبهة الجنوبية.

وينفتح السور الجديد على الخارج من باب هبون وباب خرازة وباب "راندون" وباب قنطرة الماء وباب القصبة وباب الخروبة.

وداخل الحوز الجديد، اجريت تهيئات وظيفية ببونة التاريخية. فانجز سنة 1849 مقر "نيابة العمالة" (Sous-préfecture) بساحة النوميديين، شمال غربي بونة. والمحل الذي اسسبت به مدرسة ابتدائية سنة 1846، تحول من سنة 1853 إلى سنة 1905 إلى ثانوية (نهج القديس نيكولا بشرق المدينة). وتَجمّل منظر "ساحة السلاح" بتشييد واجهة جديدة لمسجد صالح باي سنة 1853. وفي سنة 1882 شيدت محكمة صلح والمكتبة البلدية بموضع مسجد الرمانات الذي هدم.

ونما المركز الكولونيالي داخل السور، غرب المدينة التاريخية. فشمالا شيدت الكنيسة بين 1846 و1852، التي آحتلت طرف المدينة، تحدها ربوة "السبعة رقود". وانفتحت رحبة الكنيسة على محور شمالي جنوبي ينتهي إلى البحر وكون ساحة الساحة الوطنية (Cours national)، ثم ساحة "بيرطانيا" (Cours Bertagna)، ومثّل هذا المحور حدا جليا بين المركز العمراني الحضري القديم والمدينة الجديدة.

ويشهد قطاع *الساحة* بروز مجموعة معمارية مكونة من مباني عمومية وعمارات لا تزال اغلبها قائمة اليوم. فظهر إلى الوجود المسرح (26 أفريل سنة 1854) ثم هدم سنة 1951 ليفسح المجال للمسرح الحالي.كما شيد في نفس الفترة نزل الشرق. ومكن تدفق الأموال من تشييد دار البلدية (1884-1888) وكمل انجاز قصر العدالة و السجن وثكنة الجندرمة سنة 1882. وهيئ الجانب الشرقي من الساحة وكذلك الجناح الغربي السفلي بانجاز أروقة معمدة. وفتحت مجموعة من المقاهي الكبري *بالساحة*.

ومن وراء *الساحة، في* اتجاه الغرب أساسا، قامت عمارات سكنية وغيرها. وبرزت هذه المجموعة نهائيا سنة 1886.

وجهزت المدينة بمستشفى مدني سنة 1887 (مستشفى "فانون" الحالي)، وقد بني اسفل قلعة القصبة.

واصبح المعهد الثـــانوي الاول ضيقـــا، فـــحـــول ســـنـــة 1906-1905 إلى محل مـــدرســـة أوغستين الإكـــليركـــيـــة (Séminaire Saint Augustin)؛ وهناك انتهت اشغال بناء ثانوية أوغستين الجديدة سنة 1937. وتقرر بناء ثانوية للبنات سنة 1907 وراء الكنيسة. وملاصقا للجهة الجنوبية للمدينة التاريخية، انطلق بناء "القصر القنصلي" (Palais Consulaire)، مقر الحجرة التجارية سنة 1909.

ومكان السوق الأسبوعي القديم انشئ سوق جديد سمي "السوق العربي" وهي "الرحبة". وآنتصب سوق المواشي بموقع محطة القطار الحالية، ثم حول إلى موقع آثار هبون. وفي سنة 1860 تقرر بناء سوق مغطى واعيد تهيئة "الرحبة" سنة 1885 واصبحت تسمي "الفندق".

وانطلقت الاشغال لبناء طريق يربط قلعة القصبة بالمدينة سنة 1843. وللوصول إلى الطنف عن طريق الميناء فتح ممر عبر ربوة "السبعة رقود" ابتداء من 1889، وآنتهى العمل ببناء قنطرة حديدية معلقة ومتابعة تهيئة أرصفة الميناء بفضل الردم الحاصل من تهديم الربوة.

وآنتهى تهديم ربوة "السبعة رقود" إلى اتلاف القبب التي لم يبق منها إلا واحدة. بيد أنه على مستوى المخطط العمراني احدث اختفاء الربوة فتح افق توسع المدينة باتجاه الشمال الذي كانت الربوة حاجزا له قبل 1900. وهكذا برزت في بداية القرن العشرين

أحياء سكنية جديدة خارج السور وتوسعت في اتجاه "المنادية" والوجه الغربي لجبل عابد (حي الخروبة) والشواطئ.

وبحلول "الخمسينيات" ازيلت الأسوار الكولونيالية، فلم يبق منها إلا شواهد منها: زاوية تحيط بقصر الثقافة الحالي، ومنها بقية من باب قنطرة الماء بنفس المكان، وادى الهدم إلى اختفاء الحد الجداري والمادي الذي كان قائما بين مختلف الاجزاء المكونة لعنابة-بون.

بيد أنه وجدت عناصر تركيبية ترسم الفصل بين المجموعات العمرانية *فساحة* "بيرطانيا" (ساحة الثورة حاليا) تفصل بين بونة التاريخية و العمران الكولونيالي؛ وتمتد الساحة شمالا في اتجاه الاحياء السكنية المنفصلة غربا عن احياء "لاكولون" (حي القديسة آن "Faubourg Sainte Anne") المتواضعة التي تفصلها بدورها عن المركز الإداري ومركز الأعمال حديقة "راندون" (حديقة الحرية حاليا).

وجنوبا، على ساحل الخليج، انطلق، سنة 1856، بناء الميناء الذي انجز في أفريل 1912. وبنفس المنطقة احدثت السكة الحديدية الرابطة بين مقطع الحديد وهبون وبون سنة 1861 لنقل الحديد الخام؛ ووقع تمديدها إلى غاية الميناء سنة 1885. وفي سنة 1879 وقع توسيع محطة القطار التي ينتهي اليها خط "بون-قالمة". وسيعاد بناؤها غداة الحرب العالمية الثانية.

وبالحوز الخارجي للمدينة وقع تشييد مبنيين تكريما للقديسة "مونيكة" وابنها القديس أوغستين. ففي سنة 1870 شيدت كنيسة القديسة "مونيكة" ومأوى لليتامى عند سفح جبل إدوغ. وفي أكتوبر 1881 وضع حجر الأساس لبناء البازليكة المكرسة للقديس أوغستين، وكمل بناؤها ووقع تقديسها يوم 29 مارس 1909.

وتجدر الملاحظة أنه في مجال الدفاع، إضافة إلى بناء الأسوار واعادة تهيئة قلعة القصبة، جهز الخليج بمجموعة من بطاريات مدافع من الميناء إلى رأس الحمراء.

وادخلت تغييرات على جهاز التموين بالمياه، فأصلحت القناة القديمة التي تاتي بالماء من وادي فرشة سنة 1832، فكان الماء ينتهي عبر "السبعة رقود" إلى صهريج بنهج الاخوة جعطوط (حاليا)، و اضيفت، سنة 1862، قناة جديدة آتية من الإدوغ انطلاقا من "عين الامير"(Fontaine du Prince) ثم من "بوزيان". ومن سنة 1887 إلى سنة 1894 وقع توسيع شبكة توزيع الماء انطلاقا من "بوقلاز" و"بورديم" (60 كم شرق عنابة) تنتهي إلى صهاريج "هادريان"(Hadrien) بهبون.

ومن 1945 إلى 1962 توسعت المدينة في نفس الاتجاهات المفروضة منذ سنة 1845 أي في اتجاه الشمال والغرب وبنفس المواصفات. ويسجل انجاز مجموعة من عمارات سكنية في إطار

مخطط قسنطينة لسنة 1958 (عمارات "بلفدير" و"الألف سكن" بالمناديا...)

*

** **

مكانة الاهالي في التنظيم الحضري الكولونيالي

ويعود النفع أساسا إلى المعمرين في تنظيم الاسكان اثناء هذه الفترة. فأقام الاهالي في البداية بالمدينة القديمة من جهة أو بالموضع الحالي للمركز الصحي ودار الثقافة الحالية. وعندما توسع السور سنة 1868 ليمر بهذا الموضع اجبر السكان الاهالي إلى التنقل للاقامة بحي "بني محافر" وهو التل الذي يوجد على الجهة اليمينية لوادي قبة على الطريق الغربي نحو الإدوغ.

وفي القرن العشرين كانت "الاحياء العربية" إضافة إلى "المدينة القديمة" هي حي *سيدى ابراهيم* (أوزاس سابقا) وحي *غابة البرتقال* و حي *المحافر* (بني غماس).

والبناية الدينية الوحيدة التي شيدت في هذا العهد في الاحياء الجديدة هو مسجد حي *المحافر* الذي بني بفضل اكتتاب أهل المدينة حوالي سنة 1951.

ويستمر التطور.. فطيلة الخمس والأربعين سنة
من استعادة السيادة الوطنية، عاشت عنابة
انطلاقة قوية كانت أثناءها لحركة التقدم
وتيرة مكثفة تقلصت فيها المراحل.
فارتقت عنابة من وضعية مركز عادي
لإحدى ولايات الشرق الجزائري
إلى صف حاضرة جهوية تشع
على أقصى الشمال الشرقي من الوطن
إشعاعا تاريخيا وجامعيا وثقافيا وعلميا
واقتصاديا وسياحيا.

بيبلوغرافيا مختصرة

* تآليف عامة

- ابن الاثير، عزالدين الشيباني "*الكامل في التاريخ*"؛ بيروت، 1965.
- عبد الرحمان ابن خلدون "*كتاب العبر.... في ايام العرب والعجم والبربر...*"؛ بيروت، 1983 .
- عماد الدين ادريس "*عيون الاخبار*"؛ بيروت، 1985.

- JULIEN, Ch. A. «*Histoire de l'Afrique du Nord*», Paris.
- GSELL, St. «*Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*», Paris.
- GSELL, St. «*Atlas archéologique de l'Algérie*», feuille n ° 9.
- CAMPS, G. «*Massinissa*», dans Libyca, T. VIII 1er sem. 1960.
- BOUROUIBA, R. «*L'art religieux musulman en Algérie*» Alger ; 1972.

* مصادر

- ابن حوقل "*صورة الارض*"؛ بيروت؛ بدون تاريخ.
- القاضي النعمان "*افتتاح الدعوة*"؛ تحقيق ف. دشراوي؛ تونس 1970
- البكري "*المسالك والممالك*"؛ الجزائر 1857.
- الشريف الادريسي "*المغرب العربي*"، من كتاب "نزهة المشتاق"، تحقيق م. حاج صادق؛ الجزائر 1983.
- العبدري "*الرحلة المغربية*"؛ تحقيق ا. ابن جدّو؛ الجزائر .
- أحمد بن قاسم البوني "*التعريف ببونة افريقيا، بلد سيدي ابي مروان*"؛ تحقيق س. دحماني؛ عنابة 2001.

- أحمد باي/ م. ع. الزبيري "*مذكرات احمد باي*"؛ الجزائر 1972.
- مجهول "*الهدايا الملكية*" (*Les estraines royales*)؛ تحقيق وترجمة س.دحماني؛ عنابة 2002.

- Anonyme/ FAGNAN «*L'Afrique septentrionale au XII ème siècle*»,dans Recueils de Constantine, 1909.
- L'AFRICAIN, J. – L. «*Description de l'Afrique*» ; Paris 1957.
- MARMOL «*Description de l'Afrique*» ; Paris 1667.
- ANONYME «*Les estraines royales*» ; Paris 1608.
- SHAW, Th. «*Voyage dans la régence d'Alger* » ; Tunis 1980.
- VAYSSETTES, M. E. «*Histoire de Constantine sous la domination turque*», dans Recueils de Constantine, 1867, 1868 et 1869.
- De CORNILIER-LUCINLIERE «*La prise de Bône et de Bougie*», Paris 1895.

* مونوغرافيات

- سعيد دحماني "*عنابة*"؛ الجزائر 1984.
- سعيد دحماني "*الكفاح ضد الاضطهاد في عنابة عبر الاجيال*"؛ عنابة 1984.
- سعيد دحماني "*هبون الملكية*"؛ الجزائر 1991 .
- سعيد دحماني "*فسيفساء هبون*"؛ عنابة 1993.
- جماعي مجلة "*الاصالة*" عدد 34/35 خصص لتاريخ عنابة؛ الجزائر 1982.

- BOUYAC, R. *«Histoire de Bône»*, Bône 1891.
- MAITROT, Capitaine *«Bône militaire, 44 siècles de luttes»*, Bône 1912.
- ARNAUD, L. *«Bône, son histoire... ses histoires»*, Constantine. S.d.
- TOMAS, Fr. *«Annaba et sa région (organisation de l'espace dans l'extrême- est algérien»*, Saint-Etienne 1977.
- DERDOUR, H. *«Annaba, 25 siècles de vie quotidienne et de luttes»*, Alger 1982.
- Saïd DAHMANI « Site et plan d'urbanisme de bûna au Moyen-âge », dans « Acts du VIII[e] colloque international sur l'histoire et l'archéologie de l'Afrique du Nord »; tabarka (Tunisie), mai 2000; p.255-268
- Saïd DAHMANI « Hippone dans les sources arabes » ; dans « Hippone », sous la direction de X.DELESTRE, Edisud/Inas 2005, p.41-46
- Saïd DAHMANI « Hippone , mémoire algérienne universelle », dans " Universelle Algérie, les sites inscrits au patrimoine universel", Z. Bouzid Editions 2005, p 219-231.

- سعيد دحماني : *"أوغسطين من تاغست إلى هبون"* أعمال الملتقى الدولي الأول 01-04 أفريل 2001، الجزائر- عنابة حول *"أوغسطين، افريقيته وعالميته"*، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر 2003 ج2، ص : 247-254.

فهرس لوحات الخرائط والصور

صورة الغلاف الداخلي : منظر من المدينة المطل على الخليج

ملاحظة : الخرائط والصور من عمل سعيد دحماني

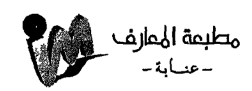
الفهرست

تم الطبع بمطبعة المعارف

حي بلعيد بلقاسم، رقم 18 – عنابة

الهاتف: 49 06 83 030 – الفاكس: 83 42 86 038

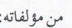
www.elmaaref.com – email : info@elmaaref.com



أ.د. سعيد دحماني



أصيل خنقة سيدي ناجي (بسـكرة)، من مواليد **1937** بتونس، أحرز على شهادة الإجازة (الليسانس) في التاريخ و الجغرافية من جامعة السوربون (بـاريس) و على دكتوراه في التاريخ الوسـيط المغاربي من الجامعة نفسها بأطروحة عنوانها: **"فتح افريقية و روادها"** (تحقيق و ترجمة جزء من كتاب **"معالم الإيمان في معرفة القـيروان"** للدباغ و ابن ناجي). و يسعى حـاليا إلى إنجاز عمل عن تكوين الشعب و المجتمع بالمغرب الأوسط من خلال تاريخ ابن خلدون.



من مؤلفاته:

- **هبون الملكية** باللغتين (العربية والفرنسية)
- **عنابة** (ضمن مجموعة "فن و ثقافة")
- **فسيفساء هبون** باللغتين (العربية والفرنسية)
- تحقيق **"التعريف ببونة افريقية بلد سيدي ابي مروان"**، لاحمد بن قاسم البوني.

شارك في العديد من المؤتمرات الدولية والوطنية.

درّس الأستـاذ سعيد دحماني بثانوية مبارك الميلي و ثانوية القديس اوغستين، و بجامعة عنابة و بمركز التكوين الاداري، و ترأس دائرة عنابة الآثارية و إدارة آثار و متحف هبون.

هذا الكتاب :

يقدم هذا الكتاب صورة شاملة عن مختلف مراحل مسار المدينة عبر العصور، تمكن القارئ مِنَ التعرف على تاريخ المدينة دون عناء كبير، كما تتيح للمقبل على البحث المتخصص والدراسة المدققة تعميق محور من المحاور المقدمة وإثرائه.

لكن أهم من يتوجه إليهم هذا الكتاب هم مواطنو المدينة. وذلك لكي يتشبعوا بهوية مدينتهم التاريخية ولكي يتمسكوا بها والدفاع عنها. فهذان الشعوران المتصلان بالوُطَيِّن البلدي أساس التمسك بالوطن الكبير وإجلاله.

